صراع الأمراء

علاقة نجد بالقوى السياسية في الخليج العربي

١٨٠٠-١٨٧٠

دراسة وثائقية

عبد العزيز عبد الغني إبراهيم



صراع الأمراء

عبد العزيز عبد الغني إبراهيم

صراع الأمراء

علاقة نجد بالقوى السياسية في الخليج العربي

١٨٠٠-١٨٧٠

دراسة وثائقية



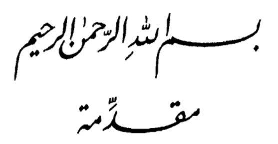
دار الساقي

الطبعة الأولى ١٩٩٠
الطبعة الثانية ١٩٩٢

ISBN 1 85516 042 0

DAR AL SAQI
United Kingdom: 26 Westbourne Grove, London W2 5RH
Lebanon: P.O.BOX: 113 / 5342, Beirut.

دار الساقي ص.ب: ١١٣/٥٣٤٢ بيروت، لبنان



يُعدُّ امتداد نجد في الدولتين السعوديتين القديمة (الأولى) والوسطى (الثانية) وما بينهما تجاه الخليج العربي، وتأثيرها وتأثرها سلباً أو إيجاباً بسياسات أمرائه والقوى الدولية الوافدة إليه، من الموضوعات التي لم تجد حظّها من المعالجة الجادة رغم وفرة المادة وتعدد المصادر وأهمية الدراسة.

نفضت نجد عن نفسها في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي الجمود السياسي الذي ران عليها قروناً طويلة امتدت من صدر الإسلام. ظهر في نجد الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي نادى بفكر جديد واكتسب أتباعاً انتظموا تحت راية آل سعود، أمراء الدرعية، فتوحدت نجد وقامت الدولة السعودية القديمة (الأولى) التي أصبحت مع مطلع القرن التاسع عشر الميلادي مهيأة لتؤدي دورها في المجالين الإقليمي والعالمي.

بدأت نجد تكتسب أهمية لم تكن لها من قبل، وأصبح لها بحكم التلاصق المكاني ثم التلاحم السياسي مع الحجاز أرض الحرمين الشريفين، أهمية قصوى عند المسلمين بعامة والدولة العثمانية بخاصة. ولم يكن هذا التلاصق المكاني محسوساً من قبل حيث كانت نجد مفككة موزعة بين عدة أمراء لا تتجاوز قوة كل منهم أسوار حاضرته، وبين البدو الذين تفرق بينهم

مساوىء البداوة. دخل أمراء آل سعود في صراع مع أمراء المدن والحواضر النجدية الأخرى حتى ظفروا بالسيادة على نجد ثم ما لبثوا أن تغلّبوا على أمراء بني خالد، أمراء الإحساء، الذين كانوا يسيطرون بشكل أو بآخر على المجريات السياسية في نجد ذاتها. وحين انهار أمراء الخوالد امتد السعوديون إلى الخليج واتضحت أهمية موقع نجد للقوى العالمية وقتها. فقد ربطت تلك المنطقة بين الإحساء التي هزمت نجد أمراءها وبين الحجاز التي كانت تسعى إلى ضمها وأدركت بغيتها أخيراً، أو بين الخليج والبحر الأحمر.

أقام أمراء آل سعود امبراطورية جعلوا عاصمتها في قلب نجد، وكان ذلك في عصر شهد امتداد الامبراطوريات الاستعمارية إلى الشرق، وأصبح على أمراء آل سعود أن يتعاملوا مع تلك الامبراطوريات، وخصوصاً البريطانية، سلماً وحرباً. وتجاوزت الدعوة الوهابية التي حمل آل سعود لواءها الحدود الإقليمية لنجد والإحساء بل وشبه الجزيرة العربية قاطبة لتخرج مع الركبان الراجعين بعد أداء المناسك والمأخوذين بذلك الفكر، إلى العالم الإسلامي لتنتشر في أوساط المسلمين مع اختلافهم في كنهها بين مؤيد ومعارض.

بدأ الصراع بين أمراء آل سعود والقوى الإقليمية المختلفة في الخليج في منطقة الإحساء. ولذلك عالج الفصل الأول من دراستنا الصراع بين أمراء آل سعود وأمراء بني خالد في تلك المنطقة. فالإحساء بحكم موقعها هي نقطة التماس بين نجد ومياه الخليج، أو نقطة وصل بين وسط شبه الجزيرة والتيارات السياسية في الخليج التي ظلت تحركها طوال الفترة التي نحن بصددها رياح السياسة البريطانية في الهند تهب في أشرعة الخلافات التي نسجها أمراء الإقليم حمايةً لأنفسهم من بعضهم البعض. والإحساء ـ بحكم موقعها أيضاً ـ هي منطقة التقاء الدروب البرية والمسالك المائية التي تربط نجد بالساحل العماني والبريمي وعمان عموماً والبحرين وفارس والدولة العثمانية. تمكن أمراء آل سعود بعد ضم الإحساء من الاتصال بالسياسات العمانية والفارسية والعثمانية،

كما استلفتوا نظر البريطانيين في الخليج. وهذا مما دفعنا للنظر في فصلنا هذا في امتداد الدولة السعودية إلى الإحساء وتعاملها على المستويين المحلي والإقليمي مع القوى المختلفة في منطقة الخليج العربي.

نظرنا في الفصل الثاني من هذه الدراسة في الأثر الذي أحدثه ظهور القوة السعودية في دولتها القديمة في سياسات الخليج الإقليمية والعالمية ومحاولات أمراء آل سعود، نبت الصحراء، فرض سيادتهم على مياه الخليج ومطالبتهم المبحرين فيه من القوى الإقليمية والدولية أداء الزكاة ودفع الضرائب والرسوم. وقد تعارض هذا الأمر ـ بطبيعة الحال ـ مع مصالح وأهداف القوى الإقليمية الأخرى التي ما كانت تعرف لنجد المنغلقة على نفسها في الصحراء سيادة على تلك المياه. لم تكن عمان المنفتحة على البحر وتجارته منذ أقدم العصور والتي وصلت بأشرعتها وبسيادتها سواحل شرق القارة الأفريقية بمثيلاتها في غرب القارة الهندية، والتي ضربت بقوتها البحرية أوائل المستعمرين من البرتغاليين في الخليج وطردتهم من مياهه، لم تكن ترضى الامتداد السعودي أو توافق على أن تفقد البحر لصالح قوةٍ أخرى. ولهذا ساد الصراع في البر والبحر علاقات الأمراء السعوديين وأمراء عمان. وتعارض هذا التطلع السعودي للسيطرة على البحار مع مصالح الشركة البريطانية في الهند التي كانت تريد خليجاً آمناً لا يعكره تعارك الأمراء المحليين لكي تبلغ أربها باستثماره. وتبلور هذا الأمر في معسكرين: أحدهما بزعامة أمراء آل سعود، كان أمراء القواسم الغافريين المؤمنين بالفكر الوهابي من أبرز عناصره، وآخر ضم أمراء عمان الذين حالفهم البريطانيون. ومن خلال هذين المعسكرين حدثت الفجوة وتم التباعد الذي انساب من خلاله التدخل البريطاني عنيفاً حتى غمر المنطقة بعدئذ وسيطر على مقدراتها. أما أمراء أبو ظبي فبالرغم من أنهم كانوا غالباً في المعسكر العماني إلّا أن بعضهم كان يتنسم رياح النصر ويميل مع الهوى. ولم يكن لحكام البحرين جبهة ثابتة، فهم يعملون في كل الجبهات ومع كل القوى يضربون بعضها ببعض ليسلموا. فنجدهم تارة مع السعوديين وتارة أخرى مع العمانيين

ولكنهم كانوا دائماً وأبداً مع مصالحهم الخاصة فقط. ولم تؤدِّ سياسة القفز المستمر فوق الحواجز إلاّ إلى استقرارهم بلا حراك في ظل حكومة الهند البريطانية.

يبرز الفصل الثالث من الدراسة دور نجد السياسي في الفترة ١٢٣٦ - ١٢٤٧ هـ / ١٨٢٠ - ١٨٤١ م. حكمت نجد في هذه الفترة قوى سياسية محلية ووافدة. عالجنا في بداية هذا الفصل الأثر الذي أحدثه الأمير تركي، مؤسس الدولة السعودية الوسطى (الثانية)، في سياسة المنطقة ثم تتبعنا ابنه الأمير فيصل في عهده الأول. وينتهي هذا الفصل بالنظر في امتداد محمد علي باشا من خلال نجد إلى الخليج العربي والدور البريطاني في مكافحة ذلك الامتداد حتى انحساره عن نجد تاركاً الأمير خالد بن سعود في مواجهة الأمير ابن ثنيان. ولعل أهم ما يميز هذه الفترة غياب القوة السعودية المؤثرة في المجال الخارجي في حين تفتقت أذهان البريطانيين في الهند عن فكرة الأمن الهندي. وباتت نجد - بحكم موقعها - ذات أهمية استراتيجية كبرى حيث حرصت حكومة لندن - انطلاقاً من فكرة أمن الهند - على ألا يمتد محمد علي باشا من خلال هذه المنطقة إلى العراق ومناطق الخليج العربي.

ينتصر ابن ثنيان على خالد، ثم ينتصر فيصل على ابن ثنيان، وتبدأ فترة أخرى من الصراع السعودي النشط مع القوى الإقليمية في منطقة الخليج جهد فيصل دون التنازع مع القوى الدولية من فارسية وبريطانية أو الزج بالعثمانيين فيه، وبرهنت الأحداث أن ذلك أمر غير ممكن. كانت لفيصل موجدة على حكام البحرين وبه تطلع إلى ثرائها فعمل لفرض سيطرته السياسية على أمرائها. ولهذا فقد عالج الفصل الرابع من هذه الدراسة الصراع بين فيصل وأمراء البحرين الذين اكتسبت جزرهم أهمية استراتيجية قصوى في مجال أمن الهند البريطانية. في هذه الفترة (١٨٤٢ - ١٨٧٠ م) أدرك البريطانيون أن السيطرة على البحرين وأهلها ميسورة غير صعبة. فهي جزيرة ولن تستطيع بصفتها هذه أن تخرج من

هيمنة الأسطول البريطاني سيد البحار في ذلك الوقت. كما أدرك البريطانيون أنهم بسيطرتهم على البحرين يصيبون عدة أهداف، حيث تصبح البحرين نقطة مراقبة للبريطانيين لما يجري في الساحل العربي، وتقدم لهم قاعدة بحرية يعملون منها لضبط تحركات أمراء نجد وغيرهم من القوى الإقليمية الأخرى. وكانت البحرين ومغاصات اللؤلؤ فيها تهب للقوة المسيطرة عليها سيطرة على عصب اقتصاد الخليج ومراقبة لتحركات القوارب الوطنية فيه العاملة في سواحل اللؤلؤ الخاصة بأمراء الساحل وأثريائه، بل بأواسط أهله وعبيده العاملين على تلك القوارب؛ فحرصت حكومة الشركة وحكومة الهند التي ورثتها على السيطرة التامة على البحرين. وساعد البريطانيون في تحقيق هدفهم عدة عوامل منها: ذلك الصراع الذي نشأ في هذا الوقت بين أمراء الأسرة الحاكمة في البحرين، والاضطرابات العامة الناجمة عن ذلك الصراع، ثم الخلاف الذي قام بين أمراء البحرين والأمراء الحاكمين في نجد، وكذلك عدم ثبات أمراء البحرين في معسكر واحد وتقلبهم بين القوى المحلية والوافدة. تمكنت سفن الخليج البريطانية من تحقيق أهداف البريطانيين على المستوى الإقليمي. أما على المستوى الدولي فقد تمكنت الدبلوماسية البريطانية في الأستانة وطهران والمناطق المعنية الأخرى كالبصرة وبغداد وغيرهما من أن تباعد الشقة بين أمراء البحرين والأمراء السعوديين والعمانيين، كما أبعدت تلك الدبلوماسية البحرين عن التبعية للدولة العثمانية وحجبت عنها خطر تطبيق السيادة الفارسية.

خصصنا الفصل الخامس والأخير من هذه الدراسة للنظر في علاقات الأمراء السعوديين في دولتهم الوسطى (الثانية) مع أمراء الساحل العماني وأمراء عمان وبعض أمراء ساحل عمان والكويت، ونظرنا في الأثر الذي أحدثه التعارك المستمر بين هؤلاء الأمراء في السياسة البريطانية تجاه المنطقة. أراد الأمير السعودي فيصل أن يصل مع سلطات الهند البريطانية في الخليج العربي إلى سياسة متكافئة ولم يستطع، فقاطع البريطانيين سياسياً. ويأخذنا هذا الفصل للنظر في علاقة الأمير عبد الله بن فيصل مع الأمراء المحليين على ساحل الخليج

والدور البريطاني في تلك العلاقة .

خلصت هذه الدراسة إلى أن هذه الفترة كانت فترة تعارض مصالح وتباين أهداف على المستويين المحلي والإقليمي، وضعت المنطقة تحت براثن الأسد البريطاني الذي أصبح فارسها وحارسها والمهيمن على أمنها. ومع اعترافنا بأن التباين والتعارض في المصالح والأهداف والأفكار سنّة تسير عليها الجماعات المختلفة عبر التاريخ، إلاّ أننا نأمل أن يكون أمراء المنطقة قد استشرفوا أخيراً عصر التعاون حقّاً. ونسعد بأن بدأ العمل الجاد لمعالجة تعارض الأهداف بالتفاوض والتنسيق، ودرء التباين بالتسامح والتصالح، لينتهي الأمر إلى جسد مترابط عصبه القربى والثقافة المشتركة، ولحمته وحدة الهدف والمصير، وفكره خدمة القضايا الإسلامية والعربية والإنسانية في عالم يندفع عن التكتل والترابط وتسوية الخلافات. وتسعى هذه الدراسة أيضاً إلى التذكير بأن الخلافات الموروثة التي تعيشها المنطقة هي صناعة محلية طوّرها الوجود البريطاني لتصبح قنابل عنقودية تنفجر دون سابق إنذار وتخرج عن السيطرة حتى تتم دورتها وتؤدي دورها المرسوم .

قامت دراستنا هذه ـ كما هو شأن دراستنا السابقة ـ على الوثائق البريطانية . ولا ندّعي بحال أن وثائقنا قد أحاطت بالأحداث من نواحيها كافة وأغلقت الرتاج دون البحث في هذا الموضوع. فالعلم في ظننا هو الإضافة لما ورثنا منه أو رتق ثقب فيه . ومع كامل إدراكنا أننا غير مسبوقين بدراسات وثائقية في هذا الموضوع، إلاّ أننا نعرف تماماً أن في نسيجنا عدداً من الثقوب يتسع خرقها أو يضيق، ولكننا آلينا على أنفسنا ألا نرتقها بالإنشاء والتعبير والفذلكة الاعتباطية التي تميّز كتابات بعض الذين يؤلفون في التاريخ ويدرّسونه . يرفض هؤلاء العاطلون الوثيقة البريطانية ولا يعرفون أنها ليست دائماً بريطانية الهوية إنما هي بريطانية الدار. ولا يفقه هؤلاء الذين أوغلوا ـ بإفلاسهم ـ في المحلية أن دور الوثائق البريطانية تضم من الخطابات والآثار المكتوبة لأمراء الخليج في

هذه الفترة ما لا تضمه دار أخرى في العالم على إطلاقه. لهؤلاء نقول إن التاريخ علم يسعى للحقيقة ويلتزم بها لا يريم. والوثيقة هي الحقيقة ولا حقيقة أخرى سواها في علم التاريخ الحديث. وحين يتعذر الحصول على الوثيقة فعلى التاريخ أن يصمت وعلى المؤرخين ألا يسترقوا السمع إلى الثرثارين الذين يؤلفون التاريخ بحسبانه قصصاً خيالية أو روايات غرضها الامتاع والإرضاء وتعداد المناقب، وهدفها الحصول على المناصب والظفر بالألقاب.

نرجو أن نكون قد وفقنا فيما سعينا إليه فليس وراء التوفيق للمرء مطمح. وما التوفيق إلّا من عند الله، إليه نضرع أن يثيبنا من فضله علماً ويقيناً. ورحم الله عبداً قال آميناً.

عبد العزيز عبد الغني إبراهيم
أمدرمان ٢٣ رمضان
١٤٠٨ هـ

الفصل الأول

امتداد نجد إلى الخليج العربي

الإحساء ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب:

في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي كانت الإحساء من أثرى مناطق شبه الجزيرة العربية، حيث ظل اقتصادها التقليدي الزراعي والرعوي ينمو في ظل دولة قوية منظّمة مستقرة. وزاد في ثراء أهل الإحساء كسبهم من الغوص وتجارة اللؤلؤ وصيد السمك والمساهمة في تجارة البحرين بقدر.

ورث آل بني خالد حكم المنطقة عن العثمانيين حين تمردوا على سلطتهم في ١٠٧٧ هـ / ١٦٦٦ م، وأقاموا قواعد دولة ذات قوة عسكرية واقتصادية وتنظيمية تجعلها في مأمن من غزوات قبائل نجد وحواضرها المتنازعة فيما بينها.

اعتاد حكام الإحساء ـ عبر التاريخ ـ أن يغزوا نجداً ويرهبوا قبائلها حتى تتهيب جانبهم وتدرك منعتهم فلا تجرأ على مهاجمة الإحساء. واستعان حكام الإحساء من آل بني خالد ـ بشكل أو بآخر ـ ببعض الحواضر النجدية ومكّنوا بعض حكامها من امتلاك الضياع في الإحساء، واشتروا بذلك ولاءهم. وأصبحت تلك الحواضر نوعاً مما اصطلح على تسميته بالدول العازلة Buffer States ترد عن الإحساء غارات البدو، وتتحمل عنها الضربة الأولى، وتكون رأس حربة موجهة ضد كل من تسعى الإحساء إلى تأديبه من أمراء نجد. وعن طريق هذه الأحلاف عملت تلك الحواضر النجدية على حماية تجارة الإحساء مع الداخل والحفاظ على مصالحها التجارية والأمنية.

ومما لا ريب فيه أن الإحساء أسبق عهداً من نجد كثيراً بالحياة المستقرة، وأثبت عهداً بحياة المدنية والحكومة والدولة المنتظمة، سواء إن كان ذلك تحت حكام نصارى أو مسلمين، سنيين أو غير ذلك، محليين أو وافدين.

كانت الإحساء بحكم وضعها التنظيمي هذا أقدر على توجيه الغزوات والسرايا من حواضر نجد المختلفة، وخصوصاً تلك التي كان يحكمها شيوخ لا تتعدى سلطاتهم أسوار حواضرهم، أو تلك التي كانت منقسمة على نفسها حتى أن الحكم فيها كان قسمة بين جماعة غالباً ما تفرقها الأهواء[1]، ولا يجمع بينها إلا الشقاق والتحاسد الأسري.

لم يشهد التاريخ الحديث قبل عهد الدولة السعودية الأولى، بل منذ عصر الفتوحات الإسلامية، أية غزوة أتت الخليج العربي من نجد أو من اتجاهها. وكانت نجدطوال هذه الفترة إمارات مدن ومشيخات وقبائل لا رابط بينها إلا ما جرى به العرف .

تغير حال نجد بظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي ولد في العيينة في ١١١٥ هـ / ١٧٠٣ م في بيت علم وتقى. وكان والده قاضياً في العيينة، وعزل عن القضاء فيها في ١١٤١ هـ / ١٧٢٩ م فتركها إلى حريملاء حيث وُلِّي القضاء فيها أيضاً.

طلب الشيخ محمد بن عبد الوهاب العلم منذ نعومة أظفاره ونبغ فيه يافعاً واغترب يطلب العلم من مناهله في تلك الأيام. وقصد الشيخ إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة والبصرة. وعجز بسبب ضيق ذات اليد عن أن يمد في دائرة أسفاره فرجع إلى الإحساء، فحريملاء حيث كان أبوه، وفيها بقي حتى أعلن دعوته في ١١٥٢ هـ / ١٧٤٩ م لات وفاة أبيه. وتبنت حريملاء دعوة الشيخ ربما لتقوى بها على العيينة حيث كان النزاع يسود علاقات الحاضرتين.

كانت هناك حروب متصلة بين البلدتين في الفترة ١٠٩٥ ـ ١١٣٢ هـ /

١٦٨٣ - ١٧٢٠ م خفت حدتها في الفترة التالية. وكان العلماء والقضاة هم الذين يرافقون السرايا، وهم الذين يوجهون الفكر السياسي في حواضرهم. ولا ريب أن المدن ومراكز العمران والتحضر كانت تسعى تحت رايات علمائها إلى الوحدة التي هي دعوة العقل والدين. وأدى تفرق العلماء بين هذه المراكز الحضرية وتفرق كلمتهم، حيث سعى كل منهم لنصرة حاكم بلدته، إلى تثبيت الإقليمية الضيقة، وتعميق أسباب النزاع والخلاف.

خلّص الشيخ نفسه من الإقليمية حيث اتسع أفقه بفضل مطالعاته وأسفاره[١ - أ] . أعلن الشيخ - وهو ابن العيينة - دعوته في حريملاء. وحين وجد معارضة في حريملاء انتقل إلى العيينة ثم استقر بعد ذلك بدعوته في الدرعية التي آمنت بها، ودافعت عنها، وحملت اللواء حتى استشهدت دونه.

لم يدعُ الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى حاكم بعينه أو إلى منطقة بذاتها، إنما دعا إلى فكر بعينه. واستنصر شيوخ نجد وحكامها واستنفرهم يبشر بمن يستجيب منهم بالعز والتمكين. وبهذا خرجت دعوة الشيخ من إطار الإقليمية الضيقة والوطنية المحدودة إلى دعوة للرجوع إلى السلف الصالح على النهج الوهابي، وأصبحت دعوة تسمو فوق الحدود المحلية والإقليمية والوطنية.

لم تُصغ تلك الدعوة من أجل العيينة أو حريملاء، أو الدرعية أو الرياض إنّما هي - في اعتقاد صاحبها والمؤمنين بها - دعوة تصحيحية هدفها الرجوع إلى نقاء الإسلام، وهي بذلك موجهة إلى كل مسلم في أرض نجد أو ما وراءها. وضمنت الدعوة بهذه الصفة انتشارها وازدهارها.

تميز صاحب هذه الدعوة عن علماء عصره بفكر سياسي فاقهم به، حيث لم يتعدَّ فكرهم السياسي أسوار الحواضر التي تضمهم. لم يهتم الشيخ محمد بن عبد الوهاب أن تكون حريملاء أو العيينة أو غيرهما من الحواضر مركز انطلاق دعوته. فحين لم تتحمل حريملاء تبعات الدعوة الوهابية استجاب الشيخ ابن

عبد الوهاب لدعوة الشيخ عثمان بن معمر حاكم العيينة وسعى إليه. ومن العيينة ذاعت أخبار الشيخ ولف صيته البلاد في شبه الجزيرة العربية حتى بلغ اليمن. وبدا وكأن العيينة قد قامت لتؤدي دورها توحد البلاد والعباد تحت راية فكر ذلك الشيخ وبدعوته.

بداية الصراع بين دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأمراء بني خالد:

كانت الإحساء في هذه الفترة تحت حكم بني خالد الذين كانوا أكبر التجمعات القبلية في المنطقة عدداً وأعزّ نفراً. استولى الخوالد على المنطقة من العثمانيين في ١٠٧٧ هـ / ١٦٦٦ م وآلت السلطة في الإحساء لآل حميد، وهم أصغر فروع قبيلة بني خالد التي منها المهاشير والجبور والعماير.

استولى آل حميد بقيادة برّاك آل عرير على بلد الإحساء وذلك بمساعدة محمد بن حسين بن عثمان ومهنا الجبري[٢]. ولما كان آل شبيب من أقوى بوادي الإحساء شقّ عليهم استيلاء آل حميد على السلطة في المنطقة. ولهذا قام رئيسهم راشد بن مغامس لغزو برّاك ومناصريه، واندحر ابن مغامس أمام برّاك فجلا وقومه إلى العراق. وبهذا تم لبرّاك في ١٠٨٠ هـ / ١٦٦٩ م التخلص من المنافسة الجادة وتفرغ لشئون الحكم، فأقام له قصراً في المبرز[٣]، ومنه بدأ يشن حملات جادة لإسكات الشغب الذي تحدثه بعض القبائل. كانت الظفير من أقوى القبائل المعارضة لبرّاك الذي أحدث عليها في ١٠٨١ هـ / ١٦٧٠ م نصراً. ولم يأتِ عام ١٠٨٦ هـ / ١٦٧٥ م حتى تمكن برّاك من أسر سلامة بن سويط شيخ الظفير. وبدأت نجد تحس بقوة سلاح برّاك حيث وصلت جماعته المسلحة في هذه السنة حتى سدوس[٤]. وقبل أن يتوفى برّاك في ١٠٩٣ هـ / ١٦٨٢ م كانت وطأته العسكرية محسوسة عند حدود الدرعية.

تولى محمد بن غرير الحكم خليفة لوالده وازداد قوة ومنعة. وقبل وفاته في عام ١٠٩٨ هـ / ١٦٨٧ م كانت قواته قد وصلت إلى الحاير موطن سبيع في جنوب الرياض[٥]. واستمرت قوة آل حميد في النماء والازدهار، وتزايدت

الحملات في اتجاه نجد، وباتت بلادهم حصينة الجانب قوية الشوكة، وظلت كذلك حتى وفاة سعدون بن محمد بن براك في ١١٣٥ هـ / ١٧٢٢ م حيث حدث شرخ قوي في بنيان سلطتهم. وكان ذلك نتيجة للنزاع الذي شب بين دجين بن سعدون وعمه سليمان بن محمد بن براك والذي حسمته الأحداث لصالح سليمان في ١١٤٩هـ/ ١٧٣٦ م. وكان على سليمان أن يواجه دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب التي انطلقت راشدة من العيينة التي كان لها صلات سياسية واقتصادية مع حكام بني خالد.

خرج الشيخ محمد بن عبد الوهاب من حريملاء إلى العيينة تلبية لدعوة تلقاها من أميرها عثمان بن معمر الذي وعده بالمساندة والدعم. ولم يكن أمر العيينة ودأب حكامها بالشيء السهل أو الغفل في نجد، فقد كان للبلدة تاريخ حافل كدولة مدينة City State.

تقول الروايات بأن العيينة تأسست في عام ٨٥٠هـ/ ١٤٤٦ م حين اشترى حسن بن طوق من آل يزيد موقعها من بني حنيفة وهاجر إلى هنالك مع أبنائه وأتباعه من ملهم في سدير. وآل الأمر بعده إلى ابنه حمد بن حسن بن طوق الذي بلغ من منعة أمره حداً جعل ربيعة بن مانع المريدي يلجأ إليه حين نافسه ابنه موسى على إمارة الدرعية[٦].

توالى على مشيخة العيينة بعد حمد إبنه معمر، ثم أحمد بن معمر، وناصر بن أحمد بن معمر الذي ثار عليه عمه دواس بن حمد بن أحمد وأقصاه عن الحكم في ١٠٥٧ هـ / ١٦٤٧ م. ولم يستقر الأمر لدواس طويلاً حتى قتل في السنة التالية لاستقلاله بالحكم، وذلك في ثورة أحدثها عليه ابن أخيه المدعو محمد بن أحمد بن معمر الذي ما فتىء بعدها يكابد في إعلاء شأن بلدته حتى توفي في ١٠٧٢ هـ / ١٦٦١ م. وآل الأمر من بعده إلى ابنه عبدالله بن محمد بن حمد الذي ازدهرت العيينة في عصره، وزاد عدد سكانها، وازدانت واتسع عمرانها، وازدادت بالتالي ثروة الأمير حتى «لم يذكر مثله في زمانه ولا

قبل زمانه في نجد في الرياسة وقوة الملك والعدد والقوة وامتلاك العقارات والأثاث»[٧].

توطدت صلات عبد الله بن محمد مع أمراء الاحساء وامتلك هنالك أملاكاً واسعة، كما حالف بعض أمراء آل سعود في الدرعية. اتبع عبد الله بن محمد سياسة معادية فاشلة تجاه حريملاء كلفته وكلفت المنطقة كثيراً. وانتهى أمر عبد الله بوفاته بالطاعون الجارف الذي اجتاح العيينة وحصد الكثير من أهلها، كما توفى بهذا الطاعون أيضاً خليفة عبد الله وابنه المدعو حمد، وبهذا انتقل الحكم في العيينة لمحمد بن حمد بن عبد الله الملقب خرقاش، وبعهده بدأ تدهور العيينة السياسي[٨].

وقع بين خرقاش في بداية عهده والشيخ عبد الوهاب بن سليمان آل مشرف،قاضي العيينة ووالد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، خلاف أدى بالشيخ عبد الوهاب إلى أن يترك العيينة وينتقل إلى حريملاء[٩] العدو التقليدي للعيينة، وهنالك أصبح هذا الشيخ قاضياً.

خلف محمد بن حمد (خرقاش) على إمارة العيينة أخـوه عثمان بن حمد بن عبد الله ابن معمر في ١١٦٣ هـ / ١٧٥٠ م. وكان أمر الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد انتشر في حريملاء التي لم تعد قادرة على تحمل ذلك العبء. ويبدو أن عثماناً قد اعتقد أنه باستطاعته أن يستعيد مجد العيينة بمؤازرة الشيخ ليرتفع نجمها الآخذ في الأفول. سعى عثمان للشيخ واستماله لكي يتخذ العيينة مركزاً لدعوته، ووعد عثمان الشيخ بكل ما يملك من دعم[١٠].

ذاع أمر الشيخ حين حلّ العيينة، وباتت البلدة محط أنظار الكثير من المخلصين الذين سعوا إلى مدرسة الشيخ، وتسابق إليها الركبان من فجاج نجد، وطارت سمعة الشيخ حتى بلغت مسامع حكام الإحساء. وأثار التطبيق الفعلي لحدود الله الذي أحدثـه الشيخ في العيينة ثائرة حكام الإحساء الذين باتوا يخشون أن تحمل العيينة رأياً وفكراً يقوض أركان حكمهم.

أرسل سليمان بن محمد الخالدي ١١٤٩ - ١١٧٥ هـ / ١٧٣٦ - ١٧٦٢ م إلى عثمان بن معمر شيخ العيينة يطالبه بطرد الشيخ لأنه - على حد زعم سليمان - أفسد قوانين كلية وأخل بقواعد أصلية في حكومات نجد[١١]. وهدد سليمان عثماناً بأنه سيقطع عنه ريع جنته ذات النخيل في الإحساء التي يصل نتاجها إلى ما يربو على ٦٠٠,٠٠٠ ريال في السنة[١٢]. ولم يجد عثمان بُداً من أن يتملص عن وعده للشيخ بالمساندة والدعم، ولم يجد الشيخ إلا أن يتجه صوب الدرعية التي كان له فيها أنصار ومريدون.

تطور الصراع بين امراء آل سعود وأمراء بني خالد:

وجد الشيخ في الدرعية، موطن آل سعود، سهلاً وحل أهلاً. وقام اتفاق بين الشيخ وبين محمد بن سعود حاكم الدرعية أصبحت به الدرعية منارة الدعوة، ودخلت بموجبه حلبة الجهاد لنصرة الدين[١٣]. أما في الإحساء فلم تستقر الأمور لسليمان بن محمد الذي غدر به المهاشير، وانهزم لاجئاً إلى الخرج، وفيها توفي، وصار الحكم في الإحساء لعريعر. وما لبث أن غدر به قريبه حماد، فانهزم عريعر بدوره لاجئاً إلى جلاجل. ثم ظهر عريعر مرة أخرى فهزم حماداً واستولى على مقاليد الحكم[١٤] الذي بدأت هيبته في التقلص لكثرة المؤامرات.

عزم عريعر على مناهضة دعوة الشيخ التي اشتد في الدرعية عودها، فخرج في عام ١١٧٢ هـ / ١٧٥٧ م بأهل الإحساء واستنفر أهل الوشم وسدير ومنيخ وأهل منطقة الرياض ومناطق الخرج وغيرها من حواضر وبوادي نجد وقصد بذلك الجمع إلى الجبيلة[١٥] التي كان فيها مقاتلون تابعون لآل سعود. ولما همّ عريعر بدخول الجبيلة منع وقوتل دونها قتالاً عنيفاً، وحين لم يدرك هنا بغيته انصرف قافلاً إلى أرضه ولم يسر نحو الدرعية لأنه «هجس ركاكة في عسكره الذي نالت منه حرب بلد صغير»[١٦].

أدرك السعوديون أنهم قد حققوا نجاحاً كبيراً حين ثبتت أطرافهم أمام

تهديد قوة إقليمية كبرى، واستطاعت أن تقف صامدة في موقف الدفاع ولم تهتز. ونال هذا الموقف من سمعة ملوك آل بني خالد وسط القبائل، بل إن الدرعية باتت لا تخشى بأس هؤلاء الأمراء وتجرأت بعد هذا لأخذ زمام المبادرة بيدها والإغارة على ديار أمراء آل بني خالد لاختبار قوتهم الحقيقية.

أرسل الأمير محمد بن سعود في ١١٧٦ هـ / ١٧٦٢ م حملة بقيادة ابنه عبد العزيز لغزو الإحساء. زحف عبد العزيز حتى أناخ بالمطريفي وتمكن منها، ثم أغار بعد ذلك على المبرز وانبرى مرتداً عن الإحساء(١٧) التي بدأت تحس التحدي من قوة ناشئة، والتي عرفت لأول وهلة، قوة السعوديين وجرأة المؤمنين بالدعوة الوهابية الصاعدة.

أراد ملوك آل بني خالد أن يقضوا على خطر السعوديين قبل أن يستفحل ويهز موازين القوى، التي بدأت تختل حين بدأت الدرعية في استقطاب وضم بعض الحواضر التي ما كانت تعرف قوة في المنطقة سوى قوة الإحساء. وحين قامت الدرعية بتحريض بعض الفئات القبلية لمناهضة هذا الحكم المستقر صار القضاء عليها أمراً لازماً. وحانت الفرصة للقضاء على الدرعية حين سمع عريعر بغزو حسن بن هبة الله المكرمي، صاحب نجران، لنجد، فأراد أن يحالفه.

كان الغزو النجراني من أبرز الأخطار التي تعرضت لها الدولة السعودية الناشئة. تحرك حسن بن هبة الله المكرمي إلى نجد في حشود كبيرة حين استنفره بعض ذوي الأصول اليمنية من القاطنين في قذلة في نجد طالبين منه أن يثأر لهم من عبد العزيز الذي غزاهم في ١١٧٧ هـ / ١٧٦٣ م حين استنجد به فريق من سبيع يسكنون الحاير.

أحاط النجراني بأسوار الدرعية، وضيّق على السعوديين الخناق، ولكنه تراجع عن أسوارها بعد أن عقد معه الأمير محمد بن سعود معاهدة صلح. أسرع عريعر في نفر من رجاله ليسهم مع النجراني في إسقاط الدرعية. وبلغ عريعر مشارف الدرعية ونزل على بعد نصف فرسخ من عسكر النجراني الذي كان

بدوره يعسكر على بعد فرسخين من الدرعية، ولكنه وصل في ذات اليوم الذي وقع فيه الصلح بين القوتين[١٨].

خاطب عريعر حسن بن هبة الله المكرمي في الهجوم مجدداً على الدرعية ولم يوافقه المكرمي بل ردّ بقوله: «لو كان هذا الاتفاق (المزمع) قبل أن يجري الصلح بيننا وبينه لانتظم الأمر وفق خاطرك.. لا يمكننا إبدال القول. أما أنت فمختار بحربك معه»[١٩]. وبهذا وجد عريعر نفسه مع رجاله أمام أسوار الدرعية التي أنهكها النجراني سلفاً، ولكنه مع هذا لم يدرك نصراً فتراجع عنها بعد أن أقام نحو عشرين يوماً يقاتل عند أسوارها.

سقطت الرياض للسعوديين في ١١٨٧ هـ / ١٧٧٣ م وكان سقوطها انتهى عنده تردد حواضر نجد بين الولاء للدرعية وحكامها من السعوديين والتبعية لمعارضيها.

بدأ عهد الأمير عبد العزيز (١١٧٩ هـ - ١٢١٨ هـ / ١٧٦٥ - ١٨٠٣ م) كاسحاً قوياً، وبدأت جماعاته العسكرية تسير في أرض نجد دون أن تجد معارضة قوية، بل تعدتها حتى المناطق المتاخمة لحدود الإحساء وأرض الرافدين. وبات واضحاً لعريعر الخطر السعودي المحدق به عاجلاً أو آجلاً. أراد عريعر أن يشغل الدرعية بمهاجمة الحواضر التي دخلت في طاعتها، فأغار في ربيع ١١٨٨ هـ / ١٧٧٤ م على القصيم، ونازل بريدة التي كانت موالية لآل سعود[٢٠]، فحاصرها وأخذها عنوة، ثم أقصى أميرها عبد الله بن حسن وأسرته الموالين لآل سعود عن السلطة، وعيّن عليها راشد الدريبي الذي كان من المناهضين لنفوذ السعوديين، وبقي الدريبي حاكماً للبلدة حتى استعادها الأمير عبد العزيز في السنة التالية.

حقق عريعر نصراً كبيراً حين تمكن من بريدة وخرج منها مستعرضاً قوته حتى نزل الخابية قرب النبقية في حشود كبيرة من آل بني خالد وبوادي الإحساء. واشتد أمره حين اتصل به بعض رؤساء نجد يهادنونه أو يعاهدونه، يتقون شره أو

يطلبون خيره. وبدأ عريعر يعد حشوده للزحف على الدرعية ومن في ذمتها ، غير أن منيته عاجلته في الخابية فتوفي ، وتولى ابنه بطين على تلك الحشود(٢١) .

لم يَصْفُ الأمر لبطين فقد تآمر عليه إخوته دجين وسعدون وأردياه خنقاً. وبهذا صار الأمر لدجين الذي لم ينعم به إلا فترة وجيزة توفي بعدها ـ كما يشاع ـ مسموماً بواسطة أخيه سعدون، ونجح الأخير في الوصول إلى سدة الحكم(٢٢) الذي أضحى نهباً للمؤامرات.

استقر الأمر لسعدون بعد أن أسكت ثورة أشعلها أهل الإحساء. ولما استتب الأمر له استأنف في ١١٩٢ هـ / ١٧٧٨ م العداء التقليدي لأسرته تجاه الدرعية وتوابعها. ويمكن أن نشير هنا إلى أنه يمكننا اعتبار عهد سعدون بن عريعر ١١٨٨ ـ ١١٩٩ هـ / ١٧٧٤ ـ ١٧٨٥ م حداً فاصلاً بين فترتي القوة والضعف في تاريخ حكم أمراء آل بني خالد. لم يتمكن السعوديون في هذه الفترة من أية أرض تابعة لحكم آل عريعر إنما كانوا يشنون غارات خاطفة ثم يتراجعون. غير أن الدرعية تمكنت ـ حتى هذه الفترة ـ من صد هجمات ملوك آل بني خالد، وإفشال خططهم الرامية إلى الحيلولة دون قيام دولة موحدة في نجد تسير على نهج غير النهج الذي ألفه آل عريعر في السياسة والرياسة. كما تمكنت الدرعية ـ حتى هذه الفترة ـ من أن تبسط سلطانها على أغلب أرض نجد، وأن تفرض نفوذ السعوديين وسطوتهم فوق أرض نجد كلها. وأصبحت الدرعية تتطلع إلى حكم الإحساء بعد أن أدركت عملياً ضعف ملوك بني خالد، وانقسام الأسرة الحاكمة فيما بينها، وتمرد الأهالي عليها(٢٣).

دخول الإحساء في طاعة السعوديين وانفتاح الطريق إلى الخليج:

استأنف سعدون في ربيع ١١٩٢ هـ / ١٧٧٨ م عملياته العسكرية تجاه نجد حيث أغار على الخرج ولم يصب نجاحاً، فهادن عبد العزيز بن محمد بن سعود واضطر إلى طلب الصلح، فأجابه الأمير عبد العزيز إلى طلبه. وقامت بين الطرفين اتفاقية صلح كرّ بعدها سعدون راجعاً إلى بمبان في العارض، وإنحاز

منها إلى مبايض قرب سدير، وهناك أقدم على نقض عهد الصلح، ولكنه لم يصب نجاحاً يذكر، فانحدر أدراجه ظاعناً إلى الإحساء[٢٤].

عاد سعدون إلى نجد في السنة التالية ١١٩٣ هـ/ ١٧٧٩ م مناصراً لأهل الزلفى وحرمة الذين استنصروه ضد الأمير عبد العزيز حين دخلت المجمعة في طاعته إذ طلب هؤلاء إلى سعدون أن يعينهم على المجمعة. وخرج أهل حرمة في حشودهم ولحقت بهم جموع الزلفى وأحكمت الحصار على المجمعة، ولحق سعدون بن عريعر بهؤلاء ليسدد الضربة القاضية.

ولم يفلح الجمع في اجتياح المجمعة، إذ قام حسن بن مشاري بن سعود الذي كان أميراً على جلاجل بإرسال مدد عسكري استطاع أن يخترق الحصار ويمكِّن المجمعة من الثبات أمام المحاصرين[٢٥]. وعرف سعدون أن أمد الحصار سيطول بعد وصول هذا المدد، وأن جنده الذين استنفرهم من البوادي لن يصبروا عليه، فسنّة البدوي النهب والإفلات، ولا صبر له على الحرب الطويلة الممتدة.

كان من عادة ملوك بني خالد الموروثة التي دأبوا عليها أن يقضوا الصيف في الإحساء، حتى إذا سكن القيظ وأقبل الشتاء خرجوا منها لتأديب من يخرج على طاعتهم[٢٦]. وهكذا صار دأبهم مع الدرعية وتوابعها حيث استمرت غارات سعدون في المنطقة متتابعة سنوية في فصول الشتاء أو الربيع، وذلك لكي يساند الخارجين على سلطة السعوديين، ويعين البيوت الثائرة عليهم في المناطق الموالية لهم، ويتعقب الجيوش السعودية إذا خرجت لإخماد حركة أو لتثبيت سلطان.

قام سعود بن عبد العزيز في عام ١١٩٤ هـ / ١٧٨٠ م لتأديب المتمردين في الزلفى وردهم إلى الطاعة، وتلاه في إداء هذه المهمة ذاتها عبد الله بن محمد بن سعود. وكان سعدون يترقب ويتحفز ويسترق السمع في اتجاه الزلفى حتى عرف برجوع عبد الله بعد أن قام بمهمته هناك. وحين جاوز عبد الله رغبة، أذن لأهل سدير وأهل الوشم بالرجوع إلى نجوعهم. تربص سعدون بهذه

الفئة، وكمن لهم في العتك بين المحمل وسدير، فأحاط بهم على حين غرة وتمكن منهم، وأعمل فيهم تقتيلاً ونهباً، ولم ينجُ من بأسه إلا القليل. وقد شحذ هذا النصر في همة سعدون، فتقدم إلى النبطة من سبيع، وغزا ضرما، وكرّ راجعاً إلى الإحساء مرة أخرى(٢٧).

أعاد سعدون الكرّة مرة أخرى في السنة التالية ١١٩٥ هـ / ١٧٨٠ م ولم يكن حظه في هذه السنة كبيراً كما كان في السنة المنصرمة. نزل سعدون على الخرج الذي استعان به ضد قصر البدع الذي بناه سعود بن عبد العزيز قرب السلمية ورتب فيه رجالاً استعمل عليهم محمد بن غشيان أميراً. نزل سعدون إلى الخرج بقوة منظمة من الجند وبعض المدافع ونازل القصر ولم يصب طائلاً فتراجع مرتداً(٢٨).

وفي السنة التالية ١١٩٦ هـ / ١٧٨١ م استغل سعدون تمرد أهل عنيزة وخروجهم على سلطة السعوديين، وبدا له كأن الفرصة سانحة لضرب الدرعية في القصيم الذي خرجت بلاده عن الطاعة فيما عدا بريدة والرس والتنومة. أقبل سعدون في ذي الحجة من هذا العام بجموع كبيرة من الظفير وشمر وغيرهما من القبائل المؤثرة، وحاصر بريدة التي قاومت وصبرت على الحصار لأربعة أشهر أدرك سعدون بعدها أنها استعصت عليه فتركها وساق حشوده إلى الزلفى. واجتمع عند سعدون هنالك كل قادة المعارضة في نجد ونسقوا أمرهم ضد السعوديين . انتقل سعدون بعسكره بعد هذا إلى مبايض حيث بعث من هناك سرية إلى الروضة التي كانت في طاعة الدرعية لتهاجمها. وعيّن سعدون عون بن ماضي قائداً لهذه السرية. واستطاع عون أن يطرد حامية الدرعية في الروضة ونجح في استعادتها لآل ماضي المعارضين للدرعية . وحين استقر لعون الأمر في الروضة ، لحق به سعدون ورجاله ، وبقي في تلك البلدة نحو شهر ، فاجتمع عنده أهل الزلفى ، وآل مدلج ، وأهل الخرج الذين كانوا تحت راية زامل .

انقلب الوضع العسكري بشكل بيِّن منذ ١١٩٨ هـ / ١٧٨٤ م، حين قامت جحافل السعوديين لغزو الإحساء ولم ينتظروا مبادأة سعدون لهم هذه المرة. فقد سار عبد العزيز في هذه السنة بجنوده تجاه الإحساء وصبّح أهل العيون، وقفل راجعاً إلى نجد بعد أن شن إغارةً ناجحةً أدرك ملوك الإحساء وطأتها. واستعرت الخلافات في الأسرة الحاكمة في الإحساء حيث انشق دويحس بن عريعر عن أخيه سعدون وثار عليه في عام ١٢٠٠ هـ / ١٧٨٥ م بمعاضدة المهاشير وآل صبيح. وسانده في ثورته عبد المحسن بن سرداح بن عبيد الله بن برّاك بن غرير، كما سانده أيضاً ثويني بن عبد الله السعدون رئيس المنتفق عند حدود العراق. وأنزل هذا التجمع بسعدون هزيمة ساحقة في ما عرف بمعركة ضجعة. ولم يجد سعدون من الفرار ملاذاً ففر بجلده ناجياً إلى الدرعية لاجئاً[٢٩] طالباً عون السعوديين على أعدائه. وبهذا دخلت الدرعية طرفاً في نزاع داخلي أتاح لها فرصة أكبر في التدخل في شئون الإحساء، وتسوية خلافات الأسرة الحاكمة هنالك، ورد الحاكم الشرعي إلى مركزه تحت الراية السعودية. وبهذا أصبحت الدرعية عنصراً رئيسياً من عناصر الصراع، وبهذا أيضاً تمكن السعوديون من تقويض سلطة آل عريعر من الداخل.

استأنف دويحس والسرداح اللذان آل إليهما الأمر العمل الحربي المعهود ضد الدرعية والإغارة على المناطق التابعة للسعوديين، وقد قويت شوكتهما بمساندة المنتفق التي ستجر ـ كما سنرى ـ ولاة العراق العثماني إلى النزاع في المنطقة.

سار ثويني بن عبد الله السعدون إلى القصيم في محرم ١٢٠١ هـ / نوفمبر ١٧٨٦ م واستولى على التنومة ثم هاجم بريدة التي نازلها أياماً[٣٠].

وأسرع عبد المحسن السرداح لينضم بقواته إلى ثويني فجهز جيوشه وخرج إلى القصيم، لكنه ارتد على أعقابه بعد أن قطع الدهناء، وعاد أدراجه حين عرف برجوع ثويني ورحيله من القصيم[٣١].

تذبل السلطة في الإحساء ويزيد في خسرانها أنها فقدت قوة المنتفق المتحالفة معها. ففي نفس هذه السنة خرج ثويني على السلطة العثمانية وأغار على البصرة، ولحقت به جيوش الدولة. وانكسر ثويني في الفاضلية قرب سوق الشيوخ، ثم هرب إلى الجهراء فالصمان، واستقر بعدها في بني خالد لاجئاً، وآل أمر المنتفق في ١٢٠٢ هـ / ١٧٨٧ م، بأمر من الوالي العثماني، إلى حمود بن ثامر[٣٢]. وبهذا أوقف العثمانيون ـ دون أن يقصدوا ـ المساندة التي كانت تُمكِّن عبد المحسن ودويحس من الوقوف في وجه الدرعية، وبهذا أيضاً بدت الأمور مهيأة للدرعية كي تتدخل للإجهاز على تلك القوة المناوئة في الإحساء والتي فقدت الدعم والمساندة الخارجية.

جهز الأمير عبد العزيز في عام ١٢٠٢ هـ / ١٧٨٧ م سرية عقد لواءها لسليمان بن عفيصان وأمره بالمسير إلى الإحساء. وتمكن ابن عفيصان أن يصل حتى الجشة التي أغار عليها وتراجع عنها ليغير على العقير كذلك. كما شهدت الإحساء في هذه السنة كذلك حملة سعودية حمل لواءها الأمير سعود ووصل بها حتى المبرز ونازلها وتركها إلى قرية الفضول التي ظفر بها [٣٣]، ثم كرّ قافلاً إلى نجد بعد أن حقق انتصارات في قلب المنطقة. وقد تمكن ابن عفيصان في السنة التالية (١٢٠٣ هـ / ١٧٨٨ م) من أن يقود جماعاته ويعيد الكرّة على الجشة والعقير كما فعل في السنة الماضية، وسار بقواته في تلك المنطقة حتى أوغل في قطر. وخرجت من الدرعية في هذه السنة حملة بقيادة سعود في اتجاه الشرق وهاجمت قرى الطف وتمكنت منها. وتعرف هذه الغزوة في المصادر السعودية بغزوة ويقة[٣٤]. وأغار سعود بعد هذا على المبرز والفضول وغيرهما من الحواضر الواقعة في شرق الإحساء؛ كما سار بجماعاته إلى الشمال حيث أدرك ثويني في ديار بني خالد من أرض الصمان.

يتضح من سياحة سعود العسكرية في الإحساء بأن قوة ملوكها قد وهنت تماماً وأن حكومتها ما عادت قادرة على الحرب والنزال. وانتهت القوة السياسية

المستقلة لملوك بني خالد في عام ١٢٠٤ هـ/ ١٧٨٩ م في موقعة غريميل[٣٥] التي خاضها السعوديون بقيادة الأمير سعود. وكانت تحت رايته، بالإضافة إلى بدو الظفير وأهل العارض، جماعة من بني خالد الذين ارتضوا دعوة الدرعية .

وكان زيد بن عريعر الذي قصد الدرعية في ركاب أخيه سعدون حين لجأ الأخير إليها على رأس حشود بني خالد الموالين لآل سعود. وقد استطاع زيد أن يظفر بثقة حكومة الدرعية وبات منذ وفاة سعدون في ١٢٠٣ هـ / ١٧٨٨ م المرشح السعودي الأول لحكم منطقة الإحساء[٣٦]، خصوصاً بعد أن فرّ عبد المحسن السرداح وابن أخته دويحس بن عريعر من أرض المعركة لاجئين إلى المنتفق بعد موقعة غريميل[٣٧].

اتصال نجد بالخليج العربي والسياسة الدولية:

انفتح الطريق أمام السعوديين إلى مياه الخليج العربي، بالرغم من أن الكثير من القرى الساحلية استطاعت أن تصمد إلى حين. ولا ضير من أن نذكر بأن الحملات السعودية صارت تفد المنطقة سنوياً ترد المارقين إلى الطاعة. كما بدأت أرض الرافدين تحس بوطأة السلاح السعودي حيث كان المنتفق والخزاعل والظفير وغيرها من قبائل العراق وحدوده، تقوم بدور فعال في مساندة آل عريعر ودعم الكثير من الحواضر النجدية التي تخرج عن طاعة السعوديين. سعت الدرعية منذ عهد الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود لتأديب هذه العشائر التي تصدِّر الشغب إلى الأرض السعودية وإلى أطرافها بين الحين والآخر. ونستطيع أن نجد ـ اعتباراً من هذا التاريخ ـ إشارات مقتضبة في المصادر البريطانية عن «الوهابية والوهابيين».

انتهى أمر أبناء عريعر حين لفَّتهم الخلافات وعصفت بهم تماماً في ١٢٠٦ هـ / ١٧٩١ م. أرسل زيد بن عريعر، الوالي السعودي على الإحساء، إلى عبد المحسن السرداح يعلن العفو عنه، فلما وفد عبد المحسن إلى زيد قتله[٣٨]. وأثار هذا الأمر فتنة في أوساط آل بني خالد الذين نقضوا ولاءهم لزيد

واجتمع أمرهم على براك بن عبد المحسن السرداح، واشتعلت الثورة مرة أخرى. كما أرسل الأمير عبد العزيز ابنه سعود في عام ١٢٠٧ هـ/ ١٧٩٢م لتهدئة الإحساء، فخاض سعود شرقي اللصافة ما عرف بمعركة الشيط في أواخر رجب من ذلك العام[٣٩]. انكسر في هذه المعركة براك بن عبد المحسن وفرّ إلى المنتفق لاجئاً. وانبرى سعود يقود رجاله حتى بلغ ماء الردنيات في الطف وهناك أتته الوفود مبايعة بالطاعة معلنة الولاء لا تطلب إلا الأمان والعفو العام، فأجابهم سعود لما أرادوا. وسار سعود من هنالك إلى عين نجم حيث وفد عليه أهل الإحساء خاصتهم وعامتهم مبايعين على الطاعة والولاء. وبهذا دخلت جيوش السعوديين إلى الإحساء وهدمت بعض المشاهد والقباب التي كانت على القبور[٤٠]. ونظّم سعود بعدئذ الإدارة في المنطقة حيث عيّن محمد المحملي أميراً على الإحساء، وجعل حسين بن سبيت على بيت مال الإحساء، ونظّم مرابطين في الثغور، وأقام القضاة والمعلمين. وخرج بعد ذلك سعود إلى الطف حيث أقام بها نحو شهر، وهنالك بلغه تمرد الإحساء، وخروجها عن الطاعة، وقتلها عماله وقضاته. كما عرف سعود أن زيد بن عريعر قد عاد إلى المبرز وتولى من هنالك رفع لواء الثورة[٤١].

عاد سعود إلى المنطقة في ١٢٠٨ هـ / ١٧٩٣ م ليردها إلى الطاعة وخاض من أجل هذا الهدف حروباً متصلة في الشقيق والقرين، كما خاض عند المبرز ما يعرف بواقعة المحيرس. وقام سعود من هنالك لتأديب المارقين في الباطلية والجبيل[٤٢]. وضاق الأمر بأهل الإحساء فأوفدوا براك بن عبد المحسن نيابة عنهم إلى الأمير عبد العزيز في الدرعية مبايعاً عنهم على السمع والطاعة على أن يكف يد ابنه سعود عنهم، فقبل الأمير طلبهم. وعاد سعود إلى الدرعية ليتولى برّاك بن عبد المحسن نيابة عن الدرعية قيادة المعارك في المبرز والحفر والجشة والمناطق التي لم تبايع آل سعود بعد. وقد عاضد الأخير في حروبه هذه، وسانده بالمدد، إبراهيم بن سليمان بن عفيصان[٤٣]. وانتهى بعد هذه المعارك تماماً حكم آل حميد في الإحساء والقطيف وتوابعهما.

كان على الإمام عبد العزيز أن يواصل إرسال الحملات العسكرية سنوياً إلى الإحساء تشد في عضد المساندين وتفت في عضد الآخرين. وقد ظفر إبراهيم بن عفيصان في ١٢٠٩ هـ / ١٧٩٤ م بإبل ومتاع في إغارة له على قطر ظهر بها في الإحساء وباعها هنالك لحساب الخزينة السعودية. كما ظهر إبراهيم بن عفيصان في السنة التالية في بعض مناطق الإحساء لإسكات حركات شغب ثارت هنالك. وتبعه في استكمال هذه المهمة الأمير سعود الذي سار حتى بلغ الرقيقة، وهي مزارع لأهل الإحساء، ونادى في أهل الإحساء بالخروج إليه فخرجوا فعاقب المسيء وكافأ المحسن منهم. وأقام سعود هنالك شهراً كاملاً ضبط فيه الأمور ونظّم الثغور وأقام على رأس الإدارة هنالك رجلاً من عامة أهل الإحساء اسمه ناحم بن دهيم(٤٤).

العمل العسكري السعودي على حدود العراق العثماني:

في ١٢١١ هـ / ١٧٩٦ م عزل الوالي العثماني الشيخ حمود بن ثامر عن ولاية المنتفق وأعاد ثويني بن عبد الله شيخاً عليها. ولم يلبث ثويني أن استأنف عملياته العسكرية السابقة على مناطق الإحساء إذْ قام في هذه السنة بالإغارة على الإحساء وساق عليها جماعات المنتفق وأهل الزبير والبصرة ونواحيهما، خرج بهم من الجهراء وحقق الكثير من الانتصارات في الإحساء. وما زال ثويني في انتصاراته حتى تسلط عليه طعيس، وهو عبد من عبيد جبور من بني خالد، وقتله في محرم عام ١٢١٢ هـ / ١٧٩٧ م في موضع يسمى الشباك. وما لبث جنده أن تفرق بعدها(٤٥).

ازدادت بعد هذا الحادث قوة السعوديين في المنطقة وثبتت، خاصة وأنهم قد وصلوا في عام ١٢١١ هـ / ١٧٩٦ م إلى بعض الجزر المجاورة. وخرج محمد بن معيقل في هذه السنة بجماعات من أهل الإحساء ونجد أغار بهم على أهل جزيرة العماير «وخاض إليهم البحر»(٤٦)، وأخذ منهم الغنائم ورجع بالأموال.

أما في رمضان عام ١٢١٢ هـ / مارس ١٧٩٨ فقد سار سعود بجيوشه إلى الأرض العثمانية، ربما ليثأر من تلك التي قادها ثويني الذي فقد قبل أشهر حياته في الشباك. أغار سعود على سوق الشيوخ، كما أغار على موضع ماء يسمى الأبيض قرب بادية السماوة، ونزل بعد هذا على بوادي شمر، وعربان الظفير، وآل بعيج، وآل زقاريط، وحقق في تلك المناطق انتصارات جزئية[٤٧].

لم يرض سليمان باشا، والي العراق، عن هذه التحركات السعودية التي خرجت عن نطاق الإحساء فسيّر في ١٢١٣ هـ / ١٧٩٩ م جيشاً نظامياً بقيادة علي الكيخيا. وانضم إلى الجنود النظاميين في هذه الحملة عرب المنتفق تحت امرة حمود بن ثامر، كما انضم إليهم عرب آل بعيج والزقاريط وآل قشعم، وأهل الزبير، وجماعات من الظفير، وأهالي شمر[٤٨].

خرجت هذه الحملة التي نجد خبرها في المصادر البريطانية إلى الإحساء ودانت لها أكثر القرى واستعصت عليها، وثبتت أمامها قلعة القطيف في الفترة من ٧ رمضان إلى ٧ ذي القعدة ١٢١٣ هـ / ١١ فبراير - ١١ أبريل ١٧٩٩، وقد كان على هذه القلعة إبراهيم بن سليمان بن عفيصان. وفي الشباك[٤٨-أ]، الموضع الذي شهد نهاية حملة ثويني، كانت نهاية حملة الكيخيا[٤٩] حيث عقد الجانبان العثماني الممثل بالكيخيا، والسعودي الممثل بسعود بن عبد العزيز، هدنة في ذي الحجة ١٢١٣ هـ/ مايو ١٧٩٩[٤٩-أ] مدتها ست سنوات. وعاد الكيخيا بعدها بجيشه إلى بغداد، أما سعود فقد بقي في الإحساء نحو شهرين أعاد ترتيب الحصون والثغور وضبط الإدارة والأمور[٥٠]. ويبدو أن القوة السعودية قد بدأت تستهين بقوة العثمانيين في أرض الرافدين، مما دفعهم للإغارة في عام ١٢١٦ هـ / ١٨٠١ م على كربلاء وتحقيق مبادىء الفكر السلفي في مزارات الشيعة، الأمر الذي كان له عقابيله السياسية والأمنية وأدخل فارس طرفاً في الصراع. ولما لم تكن لفارس القدرة على خوض حروب أو شن غارات فوق رمال الجزيرة العربية فقد أرسلت إلى عبد العزيز، من طهران، أحد عملائها الذي مرّ بمشهد الحسين في كربلاء حيث بُشِّر بالحياة الأبدية. وتقدم الرجل بعد

هذا إلى الدرعية، وسدد إلى الأمير عبد العزيز، وهو ساجد يصلي، خنجراً خراسانياً أودى بحياته. وحين قتل القاتل لحظتها لم يجدوا معه إلا الورقة التي كتبت له في كربلاء تحفزه على هذا العمل، وتمنيه بنعيم الآخرة(٥١).

الامتداد السعودي إلى قطر والكويت والبحرين:

في الوقت الذي لم تحدد فيه الحدود السياسية والإدارية في هذه المنطقة لم تكن هنالك إلا الحدود الطبيعية والحدود القبلية التي تتأثر بالمؤثرات الطارئة من قوة وضعف، ومن جدب وخصب، ومن تخاصم وتصالح. كان لملوك بني خالد نفوذهم الممتد في القبائل الأخرى التي تسكن المنطقة والتي كان أهمها آل بني هاجر الذين يسكنون في الجنوب الشرقي من الإحساء ولهم ديارهم الممتدة حتى مناطق قطر، وآل مرة الذين يقطنون في الجنوب الغربي من هذه المنطقة وتصل ديارهم حتى حدود الربع الخالي، والعجمان الذين تمتد ديارهم في المنطقة الواقعة بين ديار قبيلة بني خالد الذين يعمرون شمال هذه المنطقة وبين ديار القبيلتين المذكورتين آنفاً. كان نفوذ ملوك آل بني خالد أوثق بحكم موقع ديار القبيلة بالقبائل العراقية الجنوبية. وكانت لهم السيادة على حصن الكويت الذي شاده امراؤ هم، وامتد نفوذهم حتى مناطق قطر، وسيطر في أحيان كثيرة على قبائل هذه المنطقة وامتد من خلال قطر إلى البحرين. ولهذا فإن المشاكل والاضطرابات التي كانت تقوم في الإحساء كانت تمتد موجاتها وتؤثر في المنطقة حيث تستنفر قبائلها لصالح هذا النفر أو ذاك، وحيث يأوي بعض الشيوخ الهاربين المنهزمين إثر المعارك إلى أحد الأطراف الأخرى، وبهذا تزج القبائل بنفسها في أتون الصراع.

ما أن بلغ ابن عفيصان في ١٢٠٢ هـ / ١٧٨٧ م مقره في الإحساء حتى رأى أن ينازل عتوب الزبارة في قطر (٥٢)، فكتب للأمير عبد العزيز يخطره بذلك فوافقه عليه، وأرسل ابن عفيصان بعض رجاله لحصار الزبارة «ومنع المترددين عليها عن طريق البر من حطابة وسقاة، والزبارة بغير تردد هؤلاء يضيق بها

المعاش إذ لا ماء فيها ولا حطب يحصل بقربها، فماؤها وحطبها على بعد فرسخ ونصف فرسخ وعند أكثرهم مواشٍ من إبل وغنم وبقر ولا مرعى لها إلا البرية»(٥٣).

استمرت غارات ابن عفيصان على قطر متتالية. ففي ١٢٠٨ هـ/ ١٧٩٣م قام ابن عفيصان في جموع من أهل الخرج وما يليهم من أهل النواحي وقصد ناحية الحويلة(٥٤)، وتمكّن منها، كما تمكن من فريحة واليوسفية والرويضة. وأعاد ابن عفيصان بأهل الخرج الإغارة على قطر في ١٢٠٩ هـ / ١٧٩٤ م وغنم منها مغانم كثيرة رجع يسوقها إلى أسواق الإحساء حيث باعها هناك. وبدأ ابن عفيصان يشدد الحصار ولم يدرك من أربه كثيراً بالرغم من أن السعوديين عززوا حصارهم البري بآخر بحري(٥٦). ولما رأى العتوب(٥٦ ـ أ) محاصرة ابن عفيصان لهم «وأنه لا يندفع إلّا بقوة تامة وهم ليسوا بالمقاتلين له خارج السور اتفق رأيهم بالحمل من الزبارة بالكلية ورحلوا إلى البحرين»(٥٧).

نقل الشيخ سلمان آل خليفة كل أسرته من الزبارة(٥٧ ـ أ) إلى البحرين عام ١٢١٢ هـ / ١٧٩٧م. ولم يستقر المقام بالأسرة طويلاً حتى نجح سلطان بن أحمد حاكم عمان في غزو البحرين في ١٢١٥ هـ / ١٨٠٠ م وأقام أخاه سعيد حاكماً عليها من قبله، وأخذ معه إلى مسقط الشيخ محمد آل خليفة رهينة عنده يتقي به ثورة تلك الأسرة وخروجها على حكمه(٥٨). اضطر آل خليفة إلى النزوح إلى الزبارة مرة أخرى فعادوا إليها ـ في هذه المرة ـ بأمان من آل سعود، وبدأ آل سعود يناصرون آل خليفة ضد سلطان مسقط.

لم تدخل الكويت حلبة النزاع المسلح ولم تعمد إلى مساندة أمراء بني خالد ضد أمراء آل سعود ولكنها ظلت على أية حال ـ تستقبل اللاجئين من أمراء الخوالد. وقد استضافت زيد بن عريعر في عام ١٢٠٥ هـ/١٧٩٣م، والأمير عبد المحسن السرداح في عام١٢١٠هـ / ١٧٩٥ م. ولم تثمر حملة قادها آل سعود ضد الكويتيين في عام ١٢٠٥ هـ / ١٧٩٣ م، وقد أعانت الوكالة

البريطانية الكويتيين في الصمود ضد تلك الحملة. وقامت في عام ١٢١٣ هـ / ١٧٩٣ م حملة سعودية بقيادة مناع أبو رجلين إلى الكويت ولم تصب نجاحاً أيضاً(٥٩). وردّت الكويت بحملة قادها مشارى بن عبد الله آل حسين على أطراف القبائل الموالية لآل سعود ولكنها ارتدت بعد مقتل قائدها(٦٠).

ساد التعاون علاقات عتوب البحرين وعتوب الكويت في الفترة ١٢١٥ ـ ١٢١٧هـ/ ١٨٠٠ ـ ١٨٠٢م، حيث اشترك الكويتيون في رد حملة قادها السعوديون على البحرين، كما نازل هؤلاء قوات سلطان مسقط وقواسم رأس الخيمة في حملة لم تكن ناجحة. وفي عام ١٢٢٣ هـ / يونيو ١٨٠٨ م أفلح الأمير سعود في الوصول إلى الجهراء قرب الكويت، ولكنه تراجع دون أن يهاجمها. ولم تتوال انتفاضات عتوب البحرين ضد حكامها من أهل مسقط خشية على رهينتهم هنالك. وحدث أن توفي رهينتهم الشيخ محمد، فلما بلغهم الخبر طلبوا مساندة الدرعية لاسترداد البحرين. ووافق السعوديون ودعموهم بالقائد ابن عفيصان الذي أنجز المهمة في ١٢٢٣ هـ / ١٨٠٨م، ودخلت البحرين بعد هذا في طاعة آل سعود قسراً ولم يستردها آل خليفة كما كانوا يزمعون.

لم يرض آل خليفة بالتبعية للدرعية فانتقلوا إلى الزبارة خشية من ابن عفيصان ورفعوا لواء الثورة هنالك(٦١). أوفدت الدرعية سليمان بن سيف بن طوق الذي فاجأ الزبارة على حين غرة واستولى عليها، وألزم الشيخ سلمان والشيخ عبد الله ابني أحمد وابن عمهما الشيخ عبد الله بن خليفة ومجموعة من الأعيان بالتوجه إلى الدرعية في ١٢٢٤ هـ / ١٨٠٩م، حيث استبقاهم الأمير هنالك درأً للثورة.

تضامن عتوب الكويت مع أهلهم في البحرين ورفضوا في ١٢٢٣ هـ / ١٨٠٨ م دفع الزكاة للسعوديين. ولهذا قامت في ١٢٢٤ هـ / ١٨٠٩ م حملة سعودية إلى الكويت(٦٢) عانى فيها الجانبان خسائر كبيرة في السفن والأرواح.

كاتب آل خليفة من الدرعية عبد الرحمن بن راشد آل فاضل يستحثونه

لاستخلاص البحرين، فامتثل لأمر أخواله وركب مركبه الجابري وطلب إلى السيد سعيد بن سلطان سلطان مسقط أن يمده بالمال والرجال فأعطاه سعيد المال واعتذر عن الجند. خرج عبد الرحمن في ١٢٢٥ هـ / ١٨١٠ م إلى الجبارة من عرب فارس وجند مرتزقة منهم، كما كاتب خليفة بن سلمان وحمد وراشد ابني عبدالله فخرجوا من آل بني علي برجال كثيرين وانضموا إلى ابن عمتهم الشيخ عبد الرحمن، فهاجموا البحرين وأخرجوا منها ابن عفيصان(٦٣). لجأ ابن عفيصان إلى الخوير (خور حسان) عند رحمة بن جابر الجلاهمة الذي قبل الأفكار الوهابية ودخل منذ عام ١٢٢٤ هـ / ١٨٠٩ م في علاقات وطيدة مع السلطات السعودية في المنطقة وأصبح يحكم ـ بالتعاون مع الولاة السعوديين ـ المنطقة الممتدة حتى الزبارة. واستطاع السعوديون بالتعاون معه أن يخضعوا قطر تماماً لسلطتهم في ١٢٢٥ هـ / ١٨١٠ م، ويقيموا حكومة تضم القطيف وقطر والبحرين عهدوا بإدارتها إلى فهد بن سليمان بن عفيصان الحاكم السعودي في البحرين(٦٤).

لم تكن المبادىء السلفية هي المحرك الوحيد لرحمة بن جابر في عملياته ضد البحرين، التي كان يرى أن له فيها حقاً مكتسباً ناله بحق اشتراك أبيه جابر العتبي في فتح البحرين مع آل خليفة الذين غمطوه حقه في الإدارة والحكم بعدئذٍ(٦٥).

هزم آل خليفة بعدئذٍ رحمة وإبراهيم بن عفيصان في موقعة خكيكيرة ذي الحجة ١٢٢٥ هـ / يناير ١٨١١ م، ثم جرت بعد هذا مفاوضات بين آل سعود وآل خليفة هدد فيها المفاوض السعودي بأنه «لو كان للخف والحافر أن يطأ البحرين لنثرناها حصاة وحصاة»، وردّ مفاوض آل خليفة بأنه «لو كان قبيت الجابري أن يطأ الدرعية لجعلنا عاليها سافلها ولما تركناه (الأمير) ينام بها ليلة سوداء»(٦٦). وقد عكس قول المفاوض السعودي مرارة احساس السعوديين من أهل نجد الذين لم يكن لهم طويل باع في البحر والإبحار، ولهذا كان اعتمادهم على القواسم والقبائل البحرية الأخرى حتى يستطيعوا أن يعززوا قوة نجد البرية

الضاربة بأخرى بحرية لا تقل عنها شجاعة وبأساً(٦٧).

وفي الحقيقة فإن الأحداث في غرب الجزيرة بدأت في هذا الوقت تنال من السعوديين بعنف، وانتهز السيد سعيد، سلطان مسقط، هذا الأمر فقام في ١٢٢٥ هـ / ١٨١١ م بحملة بحرية إلى قطر وطرد حامية السعوديين من الزبارة التي دمرها ثم أحرقها، كما استولى على خور حسان كذلك. ويبدو أن نتيجة هذا العمل كانت إجلاء السعوديين لا من قطر وحدها بل ومن البحرين أيضاً التي تم فيها أسر الحاكم السعودي لأمارة الإحساء وقطر والقطيف. وعادت البحرين إلى آل خليفة رغم ما قام به رحمة بن جابر من قتال ـ كما ذكرنا آنفاً ـ ضد أسطول العتوب. ويبدو أن رحمة بن جابر قد انتقل بعد هذا مباشرة من قطر إلى الدمام على ساحل الاحساء(٦٨).

انشغل السعوديون بالزحف التركي المصري تجاه عاصمتهم، فتركوا أمر آل خليفة في البحرين، إلا أن رحمة بن جابر كان يريد أن يسوي مسألته مع البحرين بأي ثمن، فحاول أن يحالف إمام مسقط ضد آل خليفة. ولم يرض الأمير السعودي بذلك وسخط على رحمة وقام ضده بحملة في ١٢٣١ هـ / يوليو ١٨١٦ م فاقتلعه من الدمام وأمر بتدمير قلعته. ولم يجد رحمة إلا أن ينتقل بأتباعه إلى خور حسان التي لم يستقر بها طويلاً حتى انتقل إلى بوشهر حيث حاول أن يقيم علاقة سياسية مع المقيم البريطاني هناك(٦٩).

الامتداد السعودي إلى الساحل العماني:

وصلت العمليات السعودية العسكرية إلى مناطق الساحل العماني منذ عام ١٢٠٦ هـ / ١٧٩٢م، وذلك حين سيّر عبد العزيز قائده مطلق المطيري لغزو عمان الصير على رأس ألف رجل. وجاءت المنطقة بعد هذا حملة بقيادة إبراهيم بن عفيصان. وبدأت الدعوة تتغلغل سياسياً وعسكرياً في بني ياس وأرسلوا إلى الدرعية مبايعين، وتبعهم النعيم في الدخول إلى طاعة السعوديين.

كانت النعيم من أكبر قبائل الظاهرة وكانوا غافرية سنيين شجعاناً في الحرب، فحرّض الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود قبائل النعيم للاتصال بصقر بن راشد القاسمي ليسدوا له النصيحة ويستميلوه إلى طريق دعوة السلف. وأهاب عبد العزيز بالنعيم أن تقاتل صقر إذا لم يصغ لدعوة العقل، ووعدهم بمدهم بجيش من الدرعية لمساندتهم إذا أعياهم قهره(٧٠).

رفض صقر الانصياع في بادىء الأمر، وحين دارت أولى المعارك بينه وبين النعيم، أمد السعوديون النعيم بألف رجل يقودهم راشد بن سنان المطيري. استقر راشد في البريمي وأرسل قسماً من رجاله مع فئة من النعيم تحارب رأس الخيمة ولكنهم تراجعوا منكسرين. وأعادت الدرعية الكرّة مرة أخرى بأن أرسلت حملة أخرى بقيادة مطلق المطيري قوامها أربعة آلاف رجل. ضبط مطلق الطرق، وحاصر المدينة، وحبس المياه عن أهل رأس الخيمة الذين قاوموا الحصار لفترة ثم جنحوا للصلح، فأكرم مطلق صقراً وعاهده أعيان المنطقة الأخرين(٧١).

جعل الأمير عبد العزيز أميراً على كل من زعاب وطنيج أهل الجزيرة الحمراء والرمس والمناطق الأخرى التي كانت تابعة لأمراء القواسم، حيث كان من سياسة عبد العزيز أن يفتت الوحدة السياسية لخصومه بإسناد السلطة في المناطق التي يغزوها لشيوخ جدد ينفضون عنهم روابط الولاء السابقة. ونفض هؤلاء عن أنفسهم الطاعة لشيخ القواسم، وطلبوا من مطلق أن يوعز للقواسم بإعطائهم مراكب لمجاهدة «المشركين» في البحر. نقل مطلق هذه الرسالة إلى أهل رأس الخيمة قائلاً: «اقتضى الوقت أن نسير في البحر ونقتل كل من لا يقبل طريقنا، فإن أبيتم ذلك فدونكم أخوانكم في الدين زعاب وطنيج فادفعوا لهم قدر عشرين داو يتولون الأمر عنكم وستكون سفنكم ديناً عليهم ولها سهم في الغنائم»(٧٢).

أدرك الشيخ القاسمي ما رمت إليه زعاب وطنيج، وأدرك القواسم أنهم لا

بد أن يسيروا في البحر للجهاد حتى لا يفقدوا مراكبهم لغيرهم ويفوتهم شرف الجهاد. ومن هنا بدأ القواسم يجاهدون البريطانيين في البحر جهاداً أعيوهم به. غير أنه يجب أن نلاحظ هنا ظهور قوة جديدة في المنطقة هي قوة قبيلة زعاب وشيخها الحسين بن علي شيخ الرمس الذي ما لبث أن امتدت قوته في الساحل في المنطقة الممتدة من رأس مسندم حتى الرمس، خصوصاً بعد أن تمكن سعود من الاستيلاء على أهم قلعتين من القواسم في تلك المنطقة. أعطى السعوديون للحسين الدعم الكافي والسلطة المطلقة مما جعله في وضع قوي يستطيع أن يؤثر على شيوخ رأس الخيمة ويحملهم ـ حين لا يكونون راغبين ـ للعمل المشترك مع الرمس. كما بلغ نفوذ هذا الشيخ وامتدت سيطرته حتى لنجة التي بدأت قوارب قواسمها تشارك في تحقيق الهدف السعودي الرامي إلى جهاد سفن المناوئين التي تعبر الخليج(٧٣).

ومما لا ريب فيه أن العلاقة بين السعوديين وأهل الساحل العماني لم تخل من التناقض وتعارض الأهداف أحياناً. ويمكننا في هذا الصدد أن نشير إلى حوادث جمادي الأولى عام ١٢٢٥ هـ / إبريل ١٨١١م، حين انقضت قبيلة آل بني ياس على جيش عبد العزيز بن غردقة صاحب الإحساء عندما سار بأمر من الأمير سعود لغزو بعض مناطق عمان والساحل العماني التي خرجت عن طاعة السعوديين، وتمكنت قبيلة آل بني ياس من القضاء على هذا الجيش قضاء مبرماً(٧٤). ويمكن أن نشير إلى ما وقع بعد ذلك من أحداث في ١٢٢٩ هـ / أواخر ١٨١٣ م وأوائل ١٨١٤م، حين حاول إمام مسقط أن يعيد سلطان بن صقر شيخ القواسم الذي أقصاه السعوديون إلى مشيخته، وكان من استيلائه على رأس الخيمة صلح بعدئذٍ.

الامتداد السعودي في عمان:

عاصر استيلاء أسرة البوسعيد على الحكم في عمان بداية ازدياد نفوذ آل سعود في نجد. ففي الوقت الذي بلغ فيه نفوذ الدرعية الخليج العربي، وأصبح

يجاور عمان براً، كان الحكم في عمان لسلطان بن أحمد بن سعيد ١٢٠٦ - ١٢١٩ هـ / ١٧٩٢ - ١٨٠٤م. بلغت جيوش آل سعود في عهد هذا الحاكم عمان وباتت تهدد مناطقها إلى قلب مسقط. وحين قتل السيد سلطان في ١٢١٩ هـ/ أواخر ١٨٠٤ م كان للإمام سعود النفوذ الكافي الذي جعله يتدخل في مسألة ولاية العهد ويلقي بثقله في كفة السيد بدر.

استطاع ابن عفيصان أن يدخل النعيم في طاعة السعوديين كما ألمعنا سابقاً. والنعيم غافريون سنيون - كما أسلفنا - لم يجدوا في مبادىء الدعوة الوهابية ما يستوجب الخروج عليها ومقاومتها، بل إن النعيم ربما رأت في هذه القوة السنية سنداً لها في صراعاتها ضد القبائل الهناوية الأباضية.

بنى ابن عفيصان قصر الصبارة في منتصف الطريق بين بلدتي الجبرى وحماسا، وأصبح هذا القصر منذ ١٢١٠ هـ / ١٧٩٥ م مقراً للقوة السعودية في المنطقة. قامت الجيوش السعودية في ١٢١٤ هـ / ١٧٩٩ م تحت إمرة سالم بن بلال الحارقي الذي سمي أميراً على البريمي خلفاً لابن عفيصان، ووصلت حتى تخوم عمان الغربية، وباتت جميع قبائل النعيم والظواهر وبنو قتب تابعة لسلطان الدرعية. كما دخلت في طاعة آل سعود قبائل بني بو علي وبني راسب، وبهذا أصبحت البريمى المعقل الرئيسي للقوات السعودية[٧٥] . وقام إمام مسقط في هذه السنة بزيارة إلى رأس الخيمة، وذلك بهدف إقامة جبهة لمعارضة التقدم السعودي في عمان غير أن الأمر انتهى بالتصالح[٧٦] .

دخلت القوات السعودية تحارب في الأرض العمانية مرة أخرى عام ١٢١٧ هـ / ١٨٠٢ م، وانضمت إليها بعض القبائل قسراً ولكنها انحسرت مرة أخرى في اتجاه البريمي. وفي ١٢١٨ هـ / ١٨٠٣ م وافق إمام عمان على هدنة مع السعوديين لمدة ثلاث سنين . ومن هنا بدأ التغلغل السلمي للدعوة الوهابية - رغم عدم ثبات الهدنة - وتحول الكثير من قبائل عمان إلى الدعوة السلفية ، وباتت سواحل الخليج العربي تصيخ السمع في اتجاه الدرعية[٧٧] وحكامها من آل سعود .

لم تستقر هذه الهدنة كثيراً إذ قدّم سلطان عمان الدعم للشريف غالب شريف مكة الذي كان في حرب مع السعوديين. حرك السعوديون على إمام عمان أولاً عتوب الكويت وقواسم رأس الخيمة وآخرين لمهاجمة عمان بحراً. واضطر السلطان في مسقط إلى تثبيت الصلح، وأن يدفع زكاة قدرها ١٢,٠٠٠ روبية، كما سمح بوجود وكيل سياسي مقيم للسعوديين في بلاطه(٧٨). ويبدو أن الأمير عبد العزيز لم يكن يرضى من عمان إلا بالتسليم التام لأنه ما إن رجع من حربه في الحجاز حتى بدأ يعد العدّة ويجيش الجيوش للهجوم على عمان، إلا أن اغتياله في ربيع الثاني ١٢١٨ هـ / أوائل نوفمبر ١٨٠٣ م أوقف الأمر إلى حين(٧٩).

استمر النفوذ السعودي في عمان وتزايد منذ أوائل عهد الأمير سعود، وقد ساعد اغتيال السيد سلطان في ١٢١٩ هـ / ١٤ نوفمبر ١٨٠٤ م والمشاكل التي قامت في الأسرة العمانية الحاكمة بعد ذلك إلى ازدياد هذا النفوذ بصورة كبيرة. لم يكن للإمام سلطان أبناء بالغون يتولون أمر عمان بعده، ولهذا تدخل الشيخ قيس بن أحمد حاكم صحار وأراد أن ينصب نفسه سلطاناً في عمان مكان أخيه. لم يرض ابنا السيد سلطان هذا الأمر وأناطا الحكم بابن عمهما بدر بن سيف. وقامت نزاعات أسرية مسلحة وألقى السعوديون بثقلهم في كفة بدر بن سيف وابني الإمام السابق. وقد تمكن هذا التجمع من إنزال الهزيمة بقيس(٨٠) الذي ارتد إلى صحار ليقيم فيها حكومة نقضت ولاءها لمسقط، وقد فتّ هذا الانقسام في عضد الدولة العمانية.

ظاهر بدر بن سيف السعوديين، إذ لم يكن على ولاء حقيقي لهم حيث كان يوثّق علاقاته بعتوب البحرين(٨١)، وبالبريطانيين. ولكنه ـ على أية حال ـ جدد تعهد إمام مسقط السابق بدفع مبلغ معلوم لبيت مال الدرعية، كما قبل بإقامة وكيل سعودي في بلاطه للعمل على جمع الزكاة.

أدى مقتل السيد بدر بن سيف على يد السيد سعيد، الابن الأصغر لإمام

عمان السابق، في ١٢٢٢ هـ / ١٨٠٧ م إلى اهتزاز السلطة السعودية في مناطق عمان، ولاذت فرقة سعودية كانت تقيم في بركة بالفرار . إلا أن الحاكم العماني الجديد اتصل بالدرعية عارضاً صداقته ، موافقاً على دفع الزكاة التي كانت تؤدّى سلفاً، مُقِراً بوجود وكيل سعودي في بلاطة ، غير معترض على بقاء بعض «المطوعين» من أهل نجد في ربوع بلاده[٨٢] .

لم تلبث هذه العلاقات أن ساءت مرة أخرى حين بعث الأمير سعود بسرية في عام ١٢٢٣ هـ / أوائل ١٨٠٨ م إلى عمان، وعارضها قيس بن أحمد شيخ صحار الذي حسنت علاقته بابن أخيه سعيد سلطان مسقط. قام قيس وسعيد بحملة على خورفكان الواقعة بين الباطنة ورأس الخيمة، ودارت هناك معركة حامية الوطيس بين جنودهما من جانب وجنود الوالي السعودي في المنطقة وسلطان بن صقر من جانب آخر. ودارت الدائرة على العمانيين[٨٣] بعد أن غدر بهم محمد بن مطر شيخ الفجيرة[٨٤]. أسفرت المعركة عن قتل قيس وفرار إمام مسقط ثم ما كان بعد ذلك من إرساله بعثة إلى الدرعية تبايع على السمع والطاعة وإعطاء الزكاة[٨٥]. وبمعركة خورفكان هذه غدت عمان ـ كما يقول عثمان بن بشر[٨٦] ـ تحت ولاية سعود. وصلت القوات السعودية إلى مطرح وباتت على مقربة من أسوار مسقط. كما عزز السعوديون قبضتهم على قلاع الفجيرة ومناطق الباطنة وخورفكان[٨٧]. وحين دخل محمد بن ناصر الغافري شيخ آل بنى غافر وكذلك شيخ قبيلة زهيرة والسيد عزان بن قيس إلى طاعة السعوديين وبايعوهم، فتّ ذلك في عضد سلطان مسقط تماماً، خصوصاً وأن محمد بن ناصر كان من أقوى المساندين لإمام مسقط سلفاً في المناطق الداخلية في عمان. وقد استقطبت الدرعية هؤلاء تماماً حين عينتهم أمراء في مناطقهم ذاتها على أن يكونوا تابعين من خلال مطلق المطيري، قائد البريمى، للسعوديين[٨٨]. وبلغ السعوديون من القوة في مسقط نفسها درجة جعلتهم يعينون هناك ستة من «المطوعين» لم يلزموا أنفسهم برضاء أحد[٨٩] .

أصبح سيد عمان في وضع التابع تبعية كاملة للدرعية، ولكنه كان يتحين الفرص للافلات من نتائج معركة خورفكان التي وضعته ذلك الموضع . وكانت الدرعية تعامله بهذا الاعتبار ولا تتحرج من اصدار أوامر له واجبة التنفيذ. طلبت الدرعية إلى سعيد عام ١٢٢٤ هـ / ١٨٠٩ م أن يتحرك للاشتراك في حملة سعودية في أعالي الخليج في منطقة البصرة والكويت . وراوغ السيد سعيد في تنفيذ هذا الأمر وزاد في توثيق علاقته مع البريطانيين في الهند . وتجهز المطيري في البريمي لضرب قوة السيد سعيد . وقامت في هذه الفترة ـ وكنتيجة لخسائر مسقط في خورفكان ـ حملة عام ١٢٢٤هـ / ١٨٠٩م البريطانية العمانية. وتحركت قوة سعودية بقيادة مطلق المطيري لنجدة رأس الخيمة التي كان يضربها البريطانيون إلا أنها لم تصل في الوقت المناسب . ودارت بعد ذلك معركة بين قوى مسقط وقوى الدرعية في شيناص كان النصر فيها لقوى الدرعية ، وفرّ السيد سعيد إلى مسقط وازدادت السيطرة السعودية في عمان ولكنها لم تعمد إلى مواجهة مسقط مواجهة مباشرة ـ اتقاء فيما يبدو للخطر البريطاني من البحر في تلك الناحية . حرك الأمير سعود في ١٢٢٤ هـ / أوائل ١٨١٠ م حملة يقودها عبد الله بن مزروع صاحب منفوحة، وذلك في محاولة منه ـ في ما يظهر ـ للثأر من العمليات العمانية المشتركة مع البريطانيين في رأس الخيمة . «سار عبد الله حتى بلغ البريمي واستقر بها»، ولحق به هناك مطلق المطيري. نظّم القائدان الجماعات المختلفة من أهل نجد وأهل عمان والساحل العماني الذين حزموا أمرهم مع السعوديين وشنوا الاغارة على مناطق الباطنة وصحار . واستمرت المعارك بقيادة المطيري متواصلة حتى أوائل عام ١٢٢٥ هـ / أبريل ١٨١٠م، ودانت للسعوديين الكثير من نواحي صحار ، ودخلت في طاعتهم معظم قرى الباطنة ، وبات الكثير من المناطق العمانية تحت السيطرة الفعلية للسعوديين . وبدأت الأموال العمانية زكاة وأخماساً تتدفق إلى الدرعية[٩٠] .

وفي أوائل شهر ذي الحجة ١٢٢٥ هـ / يناير ١٨١١ م قام تركي وناصر ابنا الإمام سعود وأنصارهما، دون إذن من والدهما، بشن الإغارة على الأرض

العمانية. وانضمت قوات مطلق المطيري في البريمى لقوات تركي وأخيه. واستطاع هذا التجمع أن يحقق انتصارات في مطرح، وأقام له معسكرات في الجعلان كانت قاعدة ارتكاز لمهاجمة صور وصحار والمدن العمانية الأخرى. ويبدو أن هذا التصرف غير المأذون لم يكن مبعثه السياسة إنما الأغراض الشخصية ،ولهذا لم يرض الأمير سعود عنه فأصدر أمره لهذه القوة بالتراجع فوراً فتراجعت في جمادي الأولى ١٢٢٦ هـ / ١٨١١ م(٩١).

استطاع مطلق المطيري في عام ١٢٢٦ هـ/ ١٨١١ م أن يحتل حصن سمايل في قلب عمان ويضعه تحت السيطرة السعودية المباشرة ، كما جرى تعزيز القوة السعودية في البريمي تعزيزاً كبيراً ، وبدت القوة السعودية هي القوة المسيطرة في عمان . ولم يرض كثير من شيوخ عمان الذين خسروا مواقعهم أمام السيطرة السعودية المباشرة بتولي الجهات السعودية للادارة المباشرة في المنطقة، فقامت اضطرابات وأحداث في آخر ذي الحجة ١٢٢٦ هـ/ يناير ١٨١٢م، واستطاعت قوات السيد سعيد في غمار تلك الأحداث أن تستعيد بمؤازرة فرقة فارسية حصن سمايل. وردّ السعوديون بحملة أخرى على منطقة أزكى(٩٢). وبدأت القبضة السعودية تنفرج عن المنطقة، خصوصاً بعد أن تدنت أوضاعهم العسكرية بانتصارات جيوش الأتراك المصريين في الحجاز وقيام السعوديين بتقليص حامياتهم في المنطقة الشرقية لمواجهة الضغط العسكري القادم من الغرب . وقد انتهز السيد سعيد هذه الفرصة ليوجه ضرباته للزبارة ويجلي السعوديين عنها(٩٣) ، كما أشرنا سابقاً .

وفي ذي الحجة ١٢٢٨ هـ / ١٨١٣ م بعد أن قام سعيد بالتراسل مع طوسون باشا، وبعد أن استعاد شيخ القواسم المعزول من قبل الدرعية مكانته في رأس الخيمة، قام سلطان مسقط باستعادة الباطنة وبدأ في تحقيق انتصارات كبيرة على القوات السعودية التي انحسرت وعصمت نفسها في قلاع البريمى. ولم تهيىء الأحوال في ما تبقى من عمر الدولة السعودية الأولى لهذه القوات الامتداد إلى داخل عمان مرة أخرى .

الفصل الثاني

علاقة الدولة السعودية الأولى بالخليج العربي

لم تصف العلاقات بين الدولة السعودية الأولى وبين شركة الهند وممثليها في الخليج العربي أبداً، وتميزت هذه العلاقة بالتضارب والاختلاف والتناقض. هذا بالرغم من أن كل طرف جهد ـ في أوقات مختلفة ولظروف متباينة ـ لاسترضاء الطرف الآخر بغية تنفيذ هدف محدد أو درء خطر ما.

لم تكن الشركة البريطانية في الهند ولا رئاستها في لندن تهتم بما يدور في عمق الجزيرة من أحداث، ولا بالقوى السياسية التي تصطرع فوقها. ولم تحاول حكومة الشركة أن ترصد ما يدور فوق ربى نجد أو يعتمل بداخلها إذ لم يكن لها ـ حتى مطلع القرن التاسع عشر الميلادي ـ من أهداف في هذه المنطقة سوى ضمان استمرار بريدها الصحراوي[1]، واسترضاء القبائل وشيوخها حتى لا تعترض طريقه. ولهذا فحين ظهرت الدرعية قائدة للحواضر والقبائل النجدية عمل البريطانيون للمحافظة على حسن نواياهم كي لا تُهاجم السعاة الذين يعملون في خدمة البريد البريطاني.

ظهور أخبار الوهابيين في سجلات شركة الهند الشرقية:

لم ترد إشارات في سجلات شركة الهند الشرقية عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، أو لقيام الدولة الوهابية إلا في ١٢٠١هـ/ ١٧٨٧م، وذلك بعد أن بدأت جيوش الدرعية تطل على مياه الخليج وتنحسر عنه. ويمكن أن نؤرخ بهذا العام لظهور أولى الإشارات البريطانية «للوهابية» في سجلات بومباي وبطريقة عرضية. كانت وفاة أحمد بن سعيد البوسعيدي مؤسس البيت

البوسعيدي في عمان حدثاً بارزاً في تاريخ هذه الفترة اهتمت به سجلات الهند. توفي الإمام أحمدبن سعيد في ١١٩٦ هـ / ١٧٨٣ م وتفجرت بعده المشاكل بين ابنه حمد الذي كان يحكم في مسقط منذ حياة أبيه، وبين قيس وسيف وسلطان أخوة الإمام المتوفى. وانحازت قبائل عمان وقبائل ساحل عمان لهذا الجانب أو ذاك، وأدت هذه الحروب إلى زيادة التفكك في جسم عمان، وكانت من الأسباب التي أعانت على الانتشار السعودي في تلك المناطق(١-أ). وفي السنوات اللاحقة لوفاة أحمد بن سعيد سجلت الشركة أخبار النزاع في عمان وأثره على تجارتها، فجاء ذكر «الوهابية» في أخبار وكلائها في الخليج العربي.

لم تقم ـ حتى هذا التاريخ ـ علاقات من أي نوع بين الشركة البريطانية في الهند وبين السعوديين، إذ لم يكن الساحل العربي في الإحساء أو قطر يمثل شيئاً في الاستراتيجية الأمنية أو الاقتصادية للشركة، بينما لم يكن الأثر السعودي في مجاورة البصرة والزبير والكويت إلّا هامشياً.

اضطرت شركة الهند الشرقية البريطانية في ١٢٠٨ هـ / ١٧٩٣ م إثر خلاف لها مع السلطات العثمانية في البصرة أن تنقل مركزها إلى الكويت مؤقتاً. ولما كانت الكويت ـ في هذه الفترة ـ تتعرض أحياناً لهجمات الوهابيين فقد وضعت الشركة في مقرها حرساً من الهنود يدافعون عنه. وحدث أن اشترك هؤلاء الجنود في رد هجوم سعودي عن الكويت، وبهذا دخلت الشركة في نطاق عداء الدرعية التي أضحت بعد هذا تحرض أنصارها وأتباعها لاعتراض طريق البريد البريطاني. ولم يكن أمام مانتسي Mantesy وكيل الشركة هنالك إلا أن يرسل في ١٢١٣ هـ / أوائل ١٧٩٩ م مساعده رينو إلى الدرعية ليفاوض إمامها ويتعهد له بحسن المعاملة(٢).

وفي ١٢١٣ هـ / أواخر عام ١٧٩٨ م قبيل قيام رينو إلى الدرعية كتب السير ستارفورد جونز Starford Jons أول تقرير كامل عن أحداث نجد يصدر من

مسؤول بريطاني[٣]. يتحدث التقرير في إفاضة عن الدولة السعودية الناشئة والمبادىء الوهابية التي تحكمها. جاء في بداية هذا التقرير الذي أرسله جونز إلى الهند: «أتشرف بأن أقدم لكم تقريراً عن طائفة من العرب السلفيين الذين ظهرت دعوتهم منذ عدة سنوات، والذين إذا لم يتم كبحهم، فسيصبحون مصدر ثورة عظيمة في هذا الجزء من العالم». ويستطرد تقرير جونز ليقول: «بأن هذه الدعوة قد تردد اسمها كثيراً في سجلات البصرة»، ولهذا فهو يحاول التعريف بها، وتفسير المبادىء التي تقوم عليها. يبدأ التقرير بنبذة عن حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والسياحة العلمية التي قام بها ويتتبعه في رجوعه إلى نجد، وزواجه من الجوهرة بنت عبد الله بن معمر، ثم ما كان بعد ذلك من خروجه إلى الدرعية واختلافه مع آل معمر. ويقول التقرير بأن الشيخ قد أصبح في الدرعية «القاضي الروحي والمادي وأعطي سلطة واسعة غير مقيدة». ويتحدث التقرير عن تعاهد المحمدين: محمد بن سعود ومحمد بن عبد الوهاب، وكيف اتسعت به الدولة وترددت أصداؤها حتى بلغت أخبارها الأستانة. ويفيض التقرير بعد هذا في التحدث عن فلسفة الدعوة كما استمدها جونز من بعض المصادر المحلية حيث يقول: «إن الدين الذي يدعوان إليه هو الدين الإسلامي وذلك اتباعاً لظاهر القرآن». وبعد أن يشير إلى أن الشيخ يسير على هدى المذهب الحنبلي يثبت بعض آرائه التي يريد أن يحمل عليها الآخرين. تدور مبادىء الدعوة ـ كما يقول التقرير ـ[٤] «على التوحيد الذي يعني أن لا إله إلا الله لا شريك له ولا نظير، وأن محمداً رسول الله، وأن العباد لا يملكون للخلق نفعاً ولا ضراً، وأن الاتجاه بالعبادة لغير الله كفر، والتوسل بالأنبياء والصالحين شرك.. وأن المسلم الذي ينحرف عن جادة تعاليم القرآن يصبح مثله مثل النصارى واليهود ولهذا وجب جهاده.. وأن على المسلمين أن يخوضوا حرباً متصلة ضد الكفار حتى يسلموا أو يؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون، وأنه يجب أن لا يستمتع الكفار بما يستمتع به المسلمون من الزينة كركوب الخيل أو سكن الدور الأنيقة». ويرجع التقرير ليدور مرة أخرى حول معنى

التوحيد فيقول «إنه لا يصح الحلف بغير الله». ويخبر التقرير بأن الوهابيين قد هدموا الأضرحة في الأماكن التي آلت إليهم، فخير القبور عندهم الدوارس. وينتهي التقرير إلى أن هؤلاء الوهابيين يعتبرون القتيل في سبيل الدعوة شهيداً سيدخله الله الجنة وسيفوز فوزاً عظيماً[٥].

أتينا على ذكر هذا التقرير ـ لا لنسرد على ضوئه تاريخ الشيخ ودعوته فليس هذا مصدرها ـ ولكن أهميته تنبع من أنه شكّل الأساس الذي بُنيت عليه سياسة الهندوبريطانية في المنطقة بعدئذ. أرسى هذا التقرير في أذهان المسئولين البريطانيين في الهند أن الوهابية «ثورة» سيكون لها عقابيلها على المصالح البريطانية في هذه المنطقة، ولهذا كان العداء الذي حمله البريطانيون للدعوة الوهابية ودولتها. كما أرسى هذا التقرير في أذهانهم أيضاً أن هذه الدعوة هي دعوة للرجوع إلى الإسلام ودعوة للتوحيد، وأن الوهابيين لا يهابون الموت في سبيل الدعوة، فالحياة في الشهادة والدار الآخرة خير وأبقى. ولما كانت الشركة هي وكيل التاج البريطاني في حكم الأراضي التي آلت للشركة في الهند، وأنها كانت تلقى من مسلمي شبه القارة الهندية رهقاً وجهاداً، وأن الشركة بموجب المراسيم هي شركة نصرانية لا يحق لها أن تحارب النصارى[٦]، وأن عليها بموجب مراسيم إنشائها أن تعمل في الهند على محاربة كل الأديان والفلسفات والمبادىء غير النصرانية، فإن ذلك يُبيِّن عمق الهوة التي فصلت بين البريطانيين الذين بدأت مصالحهم السياسية في الخليج العربي تتبلور، وبين السعوديين الذين بدأوا يؤثّرون في ذات المنطقة. بدأ الأثر السعودي والأثر البريطاني يظهران بشكل حاد وقت غزو بونابرت لمصر، وما أدى له ذلك من ازدياد في نشاط البريطانيين السياسي في الخليج لكسب سلطان مسقط، وما انتهى به الأمر من عقد معاهدة غرة جمادي الأولى ١٢١٣ هـ / ١٢ اكتوبر ١٧٩٨ م مع أمير مسقط[٧].

خرجت هذه المعاهدة بمسقط عن حيادها التقليدي في الحروب التي

وقعت بين القوى الأوروبية في المنطقة سابقاً، وجعلت منها حليفاً للسلطات البريطانية في الهند ووسّعت دائرة الشقاق بعدئذٍ في منطقة الخليج .

خرج رينو إلى الدرعية وذلك في ١٢١٣ هـ / أوائل ١٧٩٩ م، ومرّ في طريقه بالقطيف، فالهفوف حتى بلغ الدرعية ومكث في أهلها أسبوعاً. نشر رينو في ١٢٢٠ هـ / ١٨٠٥ م التقرير الوحيد الذي وضعه عن رحلته مثبتاً فيه انطباعاته. وقد جاء في تقريره أنه ذهل لبساطة عيش الأمير مع سعة سلطته(٨).

بداية التناقض بين الدرعية والبريطانيين:

حين وصلت الدولة السعودية إلى مياه الخليج العربي أصبح التعامل مع البريطانيين الذين بدأوا في تثبيت نفوذهم على أطراف الساحل الغربي للخليج أمراً لازماً. مثلت الدولة السعودية بدعوتها احدى الكيانات القوية الفتية التي عملت على بسط سيادتها الوطنية على مياهها الإقليمية، وسعت لحراسة المياه الإقليمية المتاخمة لحدودها، وجبي الرسوم من المبحرين في الخليج العربي.

كانت بريطانيا، ممثلة في شركة الهند الشرقية، تريد التملص من أداء الرسوم والضرائب التي ما اعتادت في فورة استعمارها على أن تؤديها لحكومات الشرق. وكان للتاج البريطاني وحكوماته طموحات كبيرة في المحيط الهندي وبحار الشرق وأزقته البحرية عموماً ولا تريد أن تشاركها هنا أي قوى دولية أو إقليمية.

انحازت دولة مسقط ـ في الفترة التي نحن بصددها ـ إلى جانب بريطانيا لاعتبارات عديدة. فهي دولة بحرية في المكان الأول ترتكز قوة حكامها على البحر أكثر من ارتكازها على البر المنشق على نفسه، وهي كدولة تجارية تجري سفنها بالسلع من الشرق الأفريقي إلى الغرب الهندي وماوراءه، كان عليها أن تمد يدها إلى بريطانيا التي كانت أكبر قوة دولية تبحر وتتاجر وتستعمر وتستثمر كل هذه المنطقة. وكانت أغلب تجارة مسقط مع الهند التي بدأت تستسلم لبراثن الأسد البريطاني. وكان على مسقط كقوة إقليمية بارزة أن تحدد موقفها

في الصراع الذي احتدم بين بريطانيا وفرنسا في المنطقة، واختارت مسقط الوقوف إلى جانب بريطانيا، خصوصاً بعد أن تكرر اعتداء القراصنة الفرنسيين على السفن العمانية. ولما كان على مسقط أن تقاوم المد السعودي الجارف على امتداد الأرض العمانية، فإن أمراءها لم يجدوا بداً من التحالف مع البريطانيين في الهند. .

كان هناك قلق عربي عام انتاب كل أمراء شبه جزيرة العرب بعد الاحتلال الفرنسي لمصر. رأى هؤلاء في عداء بريطانيا لفرنسا طوقاً للنجاة. وقد أدى هذا بشريف مكة إلى حسن استقبال البعثة البريطانية التي أوفدت له من الهند برئاسة ويلسون Wilson. وبلغ من ثقة الشريف بويلسون أن سلمه الرسائل التي بعث بها بونابرت إلى كل من سلطان بن أحمد سيد مسقط وتبو صاحب، سلطان ميسور(٩). وما كان دخول عمان في حظيرة التحالف البريطاني إلا نتيجة منطقية للقلق العام الذي صاحب الاستعمار الفرنسي في الشرق، خصوصاً بعد أن بدأ محيطها الإقليمي ينذر بأوخم النتائج السياسية على كيانها كدولة مستقلة ذات سيادة .

أصبحت حكومة مسقط بتوغل السعوديين في المناطق العمانية أكثر التصاقاً بالبحر وأشد بعداً عن الظهير المضطرب، فانحازت إلى الجانب البريطاني علّه يعين في الصراع ضد الدرعية. أدى التقاء المصالح المسقطية ـ البريطانية إلى توقيع معاهدة جمادي الأولى ١٢١٣ هـ / ١٧١٨ م. وبهذه المعاهدة أصبحت مسقط احدى الركائز الهامة في السياسة الدولية البريطانية، فهي بموقعها الاستراتيجي عند فم الخليج، تشكل منطقة صالحة لحراسة المصالح البريطانية في المحيط الهندي والخليج العربي على حد سواء. وبدأت دولة الدرعية في نجد تهز هذه الركيزة بعنف وتنال منها ، فكان لا بد من المساندة البريطانية الجادة لتحفظ لمسقط كيانها، وتدرأ عنها خطر السقوط.

زاد الأمر حدة حين انضم القواسم الأقوياء في البحر إلى الدولة الوهابية،

فأحسوا بأن لهم في الداخل قوة تشد من أزرهم ، وتحمي ظهورهم .وراح القواسم يهاجمون سفن الرعايا الهنود والسادة البريطانيين[١٠] بدافع الولاء لدولة نجد ولمبادئها . ويعتقد الادميرال لو Lowe قائد البحرية في الهند أن «القرصنة» العربية لم تنتشر في الخليج العربي إلا بعد انضمام القواسم «للوهابيين»[١١] . وقد قام القواسم بعد هذا بعمليات مجيدة ضد السفن الأجنبية[١٢] .

يذهب تقرير واردن Warden عضو المجلس في بومباي إلى القول[١٣] بأن القواسم كانوا قبل ١٢١٢ هـ / ١٧٩٧ م نادراً ما يتعرضون لسفينة بريطانية . ويرد تعرض السفن البريطانية لهجمات القواسم قبل هذه السنة للاضطرابات التي تسود المنطقة، وليس لفكر ديني أو لاعتبار سياسي .

تأزمت العلاقات بين شركة الهند البريطانية، ممثل بريطانيا في منطقة الخليج العربي، وبين القواسم الذين يرفعون لواء الدعوة الوهابية فوق البحر، حين اشتدت العمليات القاسمية ضد السفن التجارية البريطانية وتجاوزتها إلى السفن الحربية . كذلك فاجأت سفن القواسم السيد سلطان، سلطان عمان، عند لنجة في رجب ١٢١٩ هـ / نوفمبر ١٨٠٤ م وقتلته، ودخلت عمان في مشاكل تسوية مسألة الخلافة من جديد . تحّرج بهذا موقف البريطانيين في الهند، خصوصاً وأنهم أهملوا منذ ١٢١٨ هـ / نهاية ١٨٠٣ م أمر وكالتهم في مسقط حين هلك أحد المقيمين البريطانيين هناك ثم سقط خليفته فريسة للمرض . استولى القواسم في غمرة هذه الأحداث على بندر عباس، وقد أدى هذا الأمر إلى سيطرة قاسمية على جانبي الخليج، واعتبرت الشركة البريطانية هذا الأمر تهديداً خطيراً لمصالحها في المنطقة . وخشي البريطانيون مغبة سقوط مسقط للسعوديين في هذه الفترة المأساوية من تاريخ عمان، وتوجسوا من إحكام السيطرة الوهابية على مخانق الخليج العربي، وفوق مياهه . وزاد في حرج حكومة بومباي أن القواسم قد تعرضوا بعد حوالى شهرين من حادث قتل السيد سلطان لسفينتين لصمويل مانتسي Mantesy، وكيل الشركة في الخليج، هما

شانون Shanon وتريمر Trimmer وتمكنوا منهما تباعاً، وأعادوا تسليح السفينتين، وجرى ضمهما لأسطول القواسم. وتأكدت بهذا شكوك البريطانيين من أن القواسم الوهابيين قد أصبحوا قادة الخليج العربي دون منازع، وأنهم ما عادوا يأبهون للبريطانيين بعد أن وجدوا كل المساندة من الدرعية. هاجم القواسم بعد هذا الطراد البريطاني مورنجتون Morington بمدافعه التي يبلغ عددها أربعة وعشرين، ولم يتمكن مورنجتون من الإفلات إلا بعد جهد جهيد. وقد دفعت كل هذه الحوادث الشركة إلى التفكير جدياً في ضرب القواسم[١٤].

أصبح تصميم الشركة البريطانية على ضرب منافسة التجار العرب جاداً، كما أصبح تصميمهم على كسر طوق السيطرة القاسمية الوهابية في الخليج أكثر حزماً. وأرادت الشركة أن توقف إبحار سفن العرب التي تنقل المتاجر بين الخليج والهند وشرق أفريقيا وتنقل معها مؤثرات الفكر الوهابي.

لجأت بومباي إلى ضرب النشاط القاسمي التجاري وذلك عن طريق محاولة استقطاب مسقط التي تعاني من الضغط السعودي ، وتعاني تجارتها من الحصار القاسمي ، ومحاولة ضرب النشاط القاسمي بجهد عماني بريطاني مشترك . حرص القواسم على التعرض لسفن التجارة العمانية والبحرانية ، كما حرصوا تماماً على ضرب كل السفن البريطانية التجارية والحربية حتى لا تصير مقدرات الخليج الاقتصادية والسياسية للأجانب من غير المسلمين . عاضد القواسم في هذا أن الدولة الوهابية كانت بحكم مبادئها تحض على مقاومة السلطان الأجنبي ، وترى أن أي نشاط في الخليج العربي من قبل أية قوة أجنبية ، يجب أن تؤدى عنه الرسوم والضرائب ، وأن أي نشاط اقتصادي من قبل القوى المحلية المسلمة يجب أن تؤدى زكاته[١٥] . ولم تكن عمان ، الدولة الأعرق في شؤون التجارة والإبحار ترضى بالتسلط القاسمي السلفي في البحر فعملت على مقاومته .

بداية العمل العسكري ضد القوى القاسمية:

أدى مقتل السيد سلطان في ١٢١٩ هـ / نوفمبر ١٨٠٤ م، وازدياد حدة النشاط القاسمي في البحر، والتوغل السعودي في قلب عمان، إلى شد نظر حكومة بومباي إلى الوضع الخطير في مسقط. لم تكن هنالك ظروف محلية ودولية بارزة في النصف الأول من عام ١٨٠٤ م تسترعي نظر الهند، فآثرت أن تحمي رجالها من الإقامة في مسقط من العوامل البيئية التي ترديهم، فسحبت وكيلها المريض ولم ترسل بدلاً منه. ومع الأحداث الأخيرة طلبت بومباي إلى ديفيد ستون Seton وكيلها السابق في مسقط كي يرجع لاستئناف عمله هناك. قضت التعليمات الصادرة للوكيل ستون في ذي الحجة ١٢١٩ هـ / مارس ١٨٠٥ م أن يعاود استئناف عمله هناك فيعيد فتح المقيمية، ويعمل على مساندة أحد ابني سلطان لوراثة عرش أبيه. وكانت تعليمات السير جورج بارلو Barlow الحاكم العام في الهند أن يدعم مادياً ومعنوياً من يرى أنه أهل للحكم في عمان من المتطلعين له بشرط أن يكون هذا التطلع مبنياً على حجج منطقية وعادلة. وقيّد الحاكم العام هذا الأمر بقيد آخر وهو وجوب أن لا تورث هذه المساندة البريطانية الشركة عداء أهل مسقط. كما طلب الحاكم العام إلى الوكيل أن يلجأ أولاً للمفاوضات قبل لجوئه إلى استعمال القوة، وأن يتجنب الدخول في عداء مع الوهابيين، وأن يتأكد أن العمليات العسكرية التي قد يقوم بها لا تجر إلى أية صعوبات مع حكومتي فارس وتركيا العثمانية[١٦].

وقبل أن يصل ستون إلى مسقط كان أمر الحكم فيها قد سوي لصالح بدر بن سيف الذي هرع فور سماعه بوفاة عمه، فوفد مسقط بحراً وفك عنها حصاراً كان قد أحكمه عمه قيس بن أحمد على ابني أخيه القتيل. ساند بدر في خطته هذه، وفي ثبات الأمر له، السعوديون الذين حركوا حامياتهم من البريمي لحصار صحار كما حركوا قوارب من البحرين لتساعد على استسلام مسقط. وهكذا ظفر بدر بالخلافة في مسقط[١٧] بمساندة السعوديين.

حين وصل ستون إلى مسقط وجد السيد بدر يستعد لحملة على بندر عباس لاستعادتها من بني النعيم حلفاء القواسم. وكانت تلك فرصة تنتظرها سلطات الهند البريطانية لتعميق الشرخ في العلاقات النجدية العمانية وذلك عندما تشارك في عمل حربي مع حاكم عمان المؤيد من قبل الوهابيين ضد قوم يعملون بفكر الوهابيين. ووجد ستون أن هذا العمل قد يحدث تباعداً بين السيد بدر والسعوديين الذين لا تريد لهم سلطات الهند البريطانية أثراً في مسقط. وقد أبدى عتوب البحرين حماسةً للاشتراك في خطة السيد بدر لضرب القواسم وحلفائهم ،وذلك بغية التخلص من النفوذ السعودي والسيطرة السلفية التي يمثلها القواسم. وقد عبر ستون في خطاباته للهند في تلك الفترة من عام ١٢٢٠ هـ / ١٨٠٥ م بأنه يؤيد اشتراك العتوب في هذه الحرب ويضيف في أحد خطاباته: «أنه لو نجح الوهابيون في السيطرة على المنطقة لجنح المساقطة إلى القرصنة والنهب ولسلكوا طريق القواسم والعتوب في هذا الشأن». ويرى ستون أن الوهابيين هم الذين دفعوا هذين العنصرين للانخراط في «القرصنة»[١٨]. وقد حركت هذه الآراء دنكان Duncan حاكم بومباي فأيدها وارسل إلى الحاكم العام في الهند يحرض على بذل الجهد وتقديم المساعدة الجادة لمسقط حتى لا تسقط في أيدي السعوديين، ويرى أنها إذا سقطت فسيودي ذلك بالتجارة البريطانية في المنطقة. ويضيف دنكان معبِّراً عما كتبه ستون سلفاً بأن خطط سعود الطموحة التي أدت به إلى إرسال حملة تجاه البصرة ربما تؤدي به إلى إرسال حملة ضد الهند كذلك[١٩].

قام ستون على المورنجتون وبعض سفن الحرب البريطانية الأخرى إلى بندر عباس، حيث تجمعت القوى المشتركة للأسطولين الهندي البريطاني والعماني. وفي ٧ يونيو ١٨٠٥ اصليت قلعة رأس الخيمة ناراً حامية ليوم كامل استسلمت بعده[٢٠].

تحرك الأسطول المشترك لمحاصرة جزيرة قشم التي يقطنها فرع من

بني معين. ولما حاول أهل رأس الخيمة نجدة بني معين وركبوا في ثلاثين سفينة، مكّن التحالف البريطاني العماني للسفن القاسمية من اختراق الحصار، ثم أوقعوها في كمين لم تنج منه إلا بعد أن وافق القواسم على إرجاع تريمر في مدى خمسة وعشرين يوماً، وإرجاع ما عليها من سلع أو دفع ثمنها، وأن تقوم بين الطرفين هدنة لسبعين يوماً للتمكين من المفاوضات[٢١]. كانت الهدنة طلباً ملحاً لبدر بن سيف الذي كانت سفنه في طريقها من البحر الأحمر إلى البصرة في أعالي الخليج محملة بسلع اليمن، كما وجد ستون في الهدنة فرصة يتصل فيها بحكومته لتصدر له أوامرها بالخطوات اللاحقة.

استؤنفت مفاوضات قشم في مسقط في ١٢٢٠ هـ / اكتوبر ١٨٠٥ م واتفق الجانبان العربي، والبريطاني على شروط مبدئية صيغت في اتفاق ١٢٢٠ هـ / ٦ فبراير ١٨٠٦ م.

نصّ اتفاق ١٢٢٠ هـ / ١٨٠٦ م على قيام سلام بين الشركة البريطانية والقواسم. وتعهد سلطان بن صقر[٢١ ـ أ] شيخ القواسم بأن يعطي للشركة إنذاراً مدته ثلاثة شهور إذا أجبره السعوديون على نقض ما أبرم. وفي مقابل هذا أعطى الاتفاق للقواسم حق الإتجار مع الموانىء البريطانية في الهند. كما أعفت «القولنامه» القواسم من دفع التعويضات التي أصابوها في شانون وتريمر[٢٢].

كان همّ ستون من وراء هذا الاتفاق أن يفرق بين القواسم والسعوديين حتى لا تقوم للدولة الإسلامية الموحدة قوة كبرى في الخليج العربي. ضرب ستون القواسم ثم صالحهم، واعترف باستقلال شيخ القواسم الذي سمته الاتفاقية «شيخ الشيوخ» وذلك لإثبات عدم تبعيته للدولة السعودية وقطع علاقته الطيبة بالدرعية، كما جهد ستون في عزل عمان عن نجد وحاول جر السيد بدر بعيداً عن التعاون المثمر مع السعوديين.

أخلص السعوديون المساندة لبدر بن سيف وعاونوه معاونة جادة في نزاعه مع قيس بن أحمد حاكم صحار، حيث نشأت بينهما المشاكل في صيف

١٢٢٠ هـ / ١٨٠٥ م، وكانت قاعدة البريمي عضداً لبدر بن سيف تسعى لتثبيت غاياته في عمان[٢٣] . وما لبث بدر بن سيف أن خشي على نفسه مغبة التعاون مع آل سعود، فكتب إلى دنكان حاكم بومباي طالباً إليه أن يدعمه دعماً يمكنه من معارضة قوة الدرعية . وكتب ستون مؤيداً هذا الطلب محرضاً على مساندة السيد بدر مساندة فعالة حتى يستقيم أمره ويظهر على السعوديين الذين كان بدر يداهنهم خوفاً وطمعاً . وأشفع ستون خطابه بنسخة من خطاب أرسله الأمير سعود إلى السيد بدر يحضه فيه للاستعداد لحرب مقدسة في دروب الهند لن يحارب فيها بدر من أجل سعود إنما تلبية لنداء الواجب المقدس . وعبّر ستون لبومباي عن رأيه الثابت الذي عبر عنه سلفاً من أنه إذا قيض للسعوديين القبض على زمام الأمور في عمان فستصير مسقط خلية «قراصنة» تناهض سفن الشركة وتزعجها[٢٤] .

عزل سلطان بن صقر ونتائجه السياسية والعسكرية:

صالح سلطان بن صقر البريطانيين دون الرجوع إلى الدرعية وارتكب بذلك جرماً شنيعاً في نظر السعوديين، لأنه قد أصبح بهذا الاتفاق أقرب إلى سياسة سلطان عمان من سياسة الدرعية. ولهذا شكّت الدرعية في سلوك سلطان بن صقر واتهموا ولاءه وعملوا على إقالته[٢٥]. واستطاع السعوديون اقصاء الشيخ سلطان عن السلطة[*] في ١٢٢٣ هـ / ربيع عام ١٨٠٨ م من مشيخة رأس الخيمة التي كانت تسيطر على القواسم، وذلك حين عينت الدولة مطلق المطيري أميراً على البريمي. استطاع مطلق أن يسيطر على شيوخ عمان الشمالية، وسيق الشيخ سلطان أسيراً إلى الدرعية[٢٦]، وعُيِّن حسين بن علي شيخ الرمس على مشيخة القواسم، وزيد في مبلغ الزكاة التي تدفعه المشيخة[٢٧] للسعوديين. وأصدر المطيري أوامره للشيخ حسين بن علي لكي يضع كافة سفنه تحت راية الإيمان يضرب بها الكفار، ويؤدي خمس الغنيمة التي يحصل عليها من جراء ذلك إلى الدرعية[٢٨]، وبهذا وضع المطيري حداً لاتفاق ١٢٢٠ هـ / ١٨٠٦ م مع الحكومة البريطانية في الهند.

لم تقع حوادث جهاد بحري في ما تبقى من عهد سلطان بن صقر كشيخ قاسمي تابع للدرعية باستثناء حادث واحد وقع في ١٢٢١ هـ/ أبريل ١٨٠٦ م بالقرب من جوجيرات، وذلك حين قامت أربع سفن قاسمية بمهاجمة السفينة لايفلي Lively، ولم يحقق الهجوم شيئاً. والحادث عندنا غير خطير ولربما قام به بعض القواسم الذين لم يطّلعوا على ما أبرم شيخهم مع البريطانيين في فبراير من العام ذاته، أو ربما كانت فئة قاسمية تابعة للدرعية لم تقر سلطان على الصلح.

ما أن نُحِّي سلطان بن صقر حتى عاد الجهاد القاسمي على أشده، حيث بدأ القواسم العاملون تحت لواء الحسين بن علي الأمير التابع للدرعية في مهاجمة السفن التجارية والعسكرية البريطانية. وظفر القواسم بما لا يقل عن عشرين سفينة غنيمة استعملوا بعضها في أساطيلهم، وبلغ الجهاد القاسمي تحت راية الوهابيين حداً أوجع الشركة ورعاياها. صار للقواسم في هذه الفترة أسطول ضخم يضم حوالي ٨٧٦ مركباً بحرياً، كانت تبحر في تشكيلات يضم كل منها ١٥ ـ ٢٠ مركباً[٢٩]، وعلى رأس كل تشكيل جعل الحسين بن علي نائباً له يخضع له ويتلقى التعليمات منه مباشرة. ولم يكن الحسين يفعل ذلك قرصنة كما تقول مصادر الهند، ولكنه أراد من حكومة بومباي أن تدفع أجر الخدمات والتسهيلات عن السفن التي تتجر في الخليج العربي، وأنهم إذا دفعوا فلا سبيل له عليهم. ويعكس هذا الطلب صراحة عدم اعتراف شيخ القواسم من قبل الدرعية باتفاق عام ١٢٢٠ هـ / ١٨٠٦م، مما ينبىء بأن حملة ١٢٢٠ هـ / ١٨٠٥ م لم تكن إلا حملة ساحلية لم تصب نجاحاً، خصوصاً أنها لم تنازل جيوش آل سعود الذين كانوا يدفعون القواسم إلى الجهاد. فالقواسم هم رافعو راية دعوة التوحيد الوهابية الإصلاحية في البحر، وحاملو راية جهاد السعوديين إلى العالم الخارجي .

هددت دولة الوهابيين المصالح البريطانية في الخليج العربي. ولم تكن بريطانيا لترضى بقيام قوة عربية موحدة على الساحل

الغربي للخليج، وأزعجها أكثر أن تلك القوة الفتية أخذت تمتد إلى الساحل الشرقي للخليج العربي. وكانت بريطانيا تريد الخليج العربي منقسماً حتى لا تتضرر تجارتها. نظر المسؤولون في حكومة بومباي لطلب شيخ رأس الخيمة بدفع رسوم عن التجارة البريطانية نظرة تنم عن روح استعلائية استعمارية تستغل تفوقها التقني للافتئات على حقوق الشعب.

رأت بريطانيا في طلب الحسين بن علي، والي الدرعية على القواسم، شراً مستطيراً. وكان هذا هو الدافع الرئيسي الذي أدى بسلطات الشركة في الهند إلى اتخاذ قرارها بحرب القواسم مرة أخرى، وتدمير قوتهم، والإطاحة بسلطتهم.

أدرك البريطانيون ضعف حليفهم السيد سعيد إمام عمان، الذي يؤدي الزكاة إلى آل سعود فخشوا سقوطه وعملوا على مساندته، وكان لا بد من حملة على القواسم تحفظ لمسقط كيانها.

هاجم القواسم في ١ رمضان ١٢٢٣ هـ/ ٢٠ أكتوبر ١٨٠٨ م السفينة العسكرية سلايف Slyph التابعة لبحرية بومباي وأوشكوا أن يتمكنوا منها . ودافع قائد السفينة عن نفسه بأن الأوامر التي أصدرتها البحرية لسفنها تقتضي عدم مبادأة سفن القواسم بالضرب ولكن عليهم أن يردوا إذا هوجموا . وقد انتظر قائد سلايف ـ كما يقول ـ الضربة الأولى ، ثم بدأ الضرب بعد ذلك . ومما تجدر الإشارة إليه أن بحرية بومباي كانت قد أصدرت تلك الأوامر لقادتها في الخليج لأنها كانت تدرك تماماً عمق الروابط بين القواسم والسعوديين ، ولا تريد أن تتوغّل الشركة في عداء السعوديين . يضاف إلى هذا أن حكومة الشركة لا تريد أن تخوض حروباً، خصوصاً في منطقة الخليج والجزيرة العربية، لأن مصادر الشركة المالية قد نضبت بالحروب المتتالية التي خاضتها ضد الفرنسيين في الشرق ، وكذلك في إخماد الثورات المتتالية في الهند[٣٠] .

لم تكن حكومة الشركة البريطانية تسعى لمجابهة مباشرة مع السعوديين، خصوصاً في الفترة التي كانت تحارب فيها تطلعات بونابرت في دروب الهند. وتجدر هنا الإشارة إلى تعليمات كانننج Canning إلى جون مالكولم J. Malcolm في ١٢٢٢ هـ / ٢٨ أغسطس ١٨٠٧م، حين أرسله مبعوثاً من قبله إلى دولة فارس ومناطق الخليج للعمل على عرقلة خطط بونابرت في الوصول إلى الهند. قضت تلك التعليمات بأنه في حالة فشل مهمته مع شاه فارس وباشا بغداد عليه أن يتصل بسعود بن عبد العزيز الأمير «المسيطر على الجزيرة العربية في المنطقة من البحر الأحمر إلى الخليج. . ليتصدّى لأي تحرك فرنسي قادم من البحر الأبيض إلى دروب الهند»(٣١). هذا بالرغم من معرفة الساسة البريطانيين بأن بونابرت لن يستطيع أن يرسل جيوشه عبر سهوب الجزيرة العربية الرملية القاحلة، أو أن يحاول التعاون مع الأمير السعودي لإنجاز خطط فرنسا تجاه الهند ودروبها. .

بالرغم من هذا قرر مالكولم حاكم بومباي صراحة أن ازدهار مسقط سينتهي إذا لم يتدخل أسطول الشركة لحماية إمام مسقط من السعوديين. وحذر مالكولم من ازدياد قوة الوهابيين وحرض الشركة لكي تتخذ لها سياسة ثابتة حازمة تجاه هؤلاء(٣٢).

كان من غير الممكن الاعتماد على حكومة مسقط في حماية المصالح البريطانية في الخليج، والثبات ضد الضغط السعودي، إذ أصبح واضحاً تماماً أن حكومة مسقط لم تعد حرة في اتخاذ قراراتها بعد معركة خورفكان. كان من رأي مالكولم أن حكومة الدرعية تستطيع أن تجبر السيد سعيد والقوى المسقطية على المشاركة في العمليات الحربية البحرية ضد الشركة ما لم تقم الهند بتخليص مسقط من الضغط الواقع عليها. وأشفع مالكولم حاكم بومباي تقريره الذي أرسله إلى الحاكم العام في الهند في فبراير ١٨٠٩ م بنسخة من خطاب تلقاه السيد سعيد من الأمير سعود، رداً على طلب الأول استرداد شيناص

والمناطق الأخرى التي كان يسيطر عليها والي صحار إلى سيادته. يقول الخطاب بأن سعود قد احتجز وكلاء سعيد وأرسل إليه يطلب منه أن يشاركه في حملة ضد البصرة ويعينه عليها بسفنه، أو أن يرسل حملة ضد الهند يخدم بها الأهداف الإسلامية ويلبي بها داعي الجهاد، وذلك بالتعرض للتجارة البريطانية في بحار الهند[٣٣]. وهدد سعود، في هذا الخطاب، سعيداً بأنه إذا لم يستجب لدواعي الجهاد فإنه سيتولى شخصياً، حال رجوعه من الحج، قيادة حملة كبرى ضد عمان. وكان سعود يستطيع ذلك إذ كانت قوة رجاله محسوسة حتى في مسقط نفسها التي انتشر بها «المطوعون يضربون من لا يؤدي الصلاة في جماعة ويأمرون باغلاق المتاجر في أوقات الصلاة»[٣٤].

استقر رأي الحاكم العام في مجلسه بعد تردد على أن يعملوا من أجل إعادة المناطق التي استولى عليها السعوديون في عمان إلى إمام مسقط، وذلك قبل رجوع سعود من الحج. وصدر القرار في ١٢٢٤ هـ / ٣ أبريل ١٨٠٩ م بضرورة إرسال حملة لتحقيق هذا الهدف. ونص قرار الهند على وجوب تحقيق أقصى درجات التعاون بين القبائل العمانية لحجب الوهابيين عن مسقط، التي لو سقطت لهم «لأصبحت الهند أمام التيار الإسلامي». ويذهب هذا التقرير إلى أنه لا يمكن بغير هذه الإجراءات الحاسمة انقاذ تجارة الهند التي أصبحت هدفاً للسلفيين وأنصارهم[٣٥].

أصدر منتو Minto الحاكم العام للهند أوامره إلى الكابتن جون وينرايت Wainright، والليوتنانت كولونيل سميث Smith، بالسير على رأس حملة بحرية إلى الخليج العربي. وصدرت الأوامر للحملة على أن تقصر جهودها على البحر وأن لا تحاول التدخل على اليابسة بحال. وبالرغم من أن منتو قد وافق على أن تسترجع الحملة بعض المناطق لحكم السيد سعيد، إلا أنه أصدر تعليماته المشددة بأن تحذر الحملة من منازلة السعوديين نزالاً مباشراً، وأن يتخذوا أقصى قدر من الحيطة والحذر لمراعاة السيادة العثمانية والفارسية في

المنطقة[٣٦]. كما طلب منتو إلى الوكيل ستون أن يحاول الاتصال بالسعوديين وينقل إليهم رغبة الهند المخلصة في مد يدالصداقة، وأن البريطانيين لم يقصدوا من حملتهم هذه سوى ضمان حماية التجارة في البحار بعامة وفي الخليج العربي بخاصة[٣٧]، «لقد تعدى القواسم على التجارة البريطانية ولم يلتزموا باتفاق ١٨٠٦ م الذي يحرم عليهم السطو على ممتلكات الغير. . إن التعدي على حقوق الآخرين حرام ومرفوض بمنطق جميع الأديان، وأن مساندتنا العادلة لإمام مسقط هي انطلاقاً من هذا المفهوم. ويجب ألاّ يسبب هذا الأمر حرجاً لأية قوة أو حكومة أخرى»[٣٨].

رحب السيد سعيد باشتراكه في هذه الحملة، إذ سيمكنه ذلك من استعادة بعض الموانىء والجزر التي خرجت من قبضته للسعوديين وحلفائهم القواسم. كما رأى في اشتراكه فرصة للتعبير لحكومة الشركة في الهند عن صداقته وولائه حتى يعينوه أو يغضوا الطرف عن محاولاته في السيطرة على بعض المناطق الأخرى في ساحل الخليج وجزره، وحتى يقفوا معه ضد الحركات الانفصالية التي تثور في ممتلكاته بين الحين والآخر نتيجة لطموح الشيوخ المحليين، أو الضغط السعودي المتزايد.

أرسل دنكان حاكم بومباي إلى سعيد في ١٢٢٤ / ٧ سبتمبر ١٨٠٩ م يسأله أن يقدم للحملة كل المساعدة الممكنة، وردّ سعيد مرحِّباً. وقد علق السالمي، المؤرخ العماني، على اشتراك سعيد في هذه الحملة فرأى فيها «أول سبب تدخلت به النصارى في ملك المسلمين من أهل عمان، وأنهم قد بقوا بعد ذلك آفة في ذراريه وعلة في مملكته يظهرون الصداقة ويضمرون العداوة»[٣٩].

كان إمام مسقط وبعض حلفائه يستعدون لتسيير حملة ضخمة على بعض المناطق الساحلية الموالية للدرعية، وذلك بمصادرهم الخاصة وبرجالهم ورجال آخرين يصل عددهم إلى ٤٠٠٠ رجل استأجرهم التحالف من بوشهر. كان الهدف الأول لهذه الحملة هو مهاجمة خورحسان وضرب رحمة بن جابر

الجلاهمة. كما هدفت هذه الحملة كذلك إلى معاونة بعض بيوت القاسم التي استعْدت إمام مسقط ضد الحسين بن علي والي الدرعية على القواسم. تحركت هذه الحملة صوب مناطق القواسم بمعاونة العتوب ومعاضدة الفرس[٤٠].

هاجم السيد سعيد رأس الخيمة في ١٢٢٤ هـ / أبريل ١٨٠٩م، وتقاعست عنه قوة بوشهر وقت الهجوم، فلقي سعيد الهزيمة، وتشتت أسطوله وأضحى في موقف حرج. ولم تجد سلطات الهند في الخليج إلا أن تصدر أوامرها لسفينتين من سفن الحرب التابعة لها والتي كانت في الخليج لتقديم الدعم للسيد سعيد. وبالرغم من هذه المساندة عاد السيد سعيد إلى مسقط ولم يقض من أربه شيئاً[٤١].

تحرك الأسطول المتجه إلى الخليج من بومباي في ١٢٢٤ هـ / سبتمبر ١٨٠٩م، وبلغ مسقط في ١٢٢٤هـ / ٢١ اكتوبر ١٨٠٩م، واجتمع العسكريون البريطانيون مع قادة مسقط ونسقوا خطة الهجوم وحددوا أبعاده ومراميه. وتحرش السيد سعيد بالدرعية حين أمر مبعوثيها في بلاده بمغادرة الأراضي المسقطية فوراً ففعلوا[٤٢].

بدأت الحملة بالهجوم على رأس الخيمة في ١٢٢٤ هـ / ١٢ نوفمبر ١٨٠٩م، وفي اليوم التالي هوجمت القوى القاسمية هجوماً كثيفاً من البحر والأرض واضطر القواسم إلى الارتداد نحو الداخل، وارتفع بعد هذا العلم البريطاني يلى بيت الشيخ، وأحرق البريطانيون كل السفن والمراكب القابعة في ميناء رأس الخيمة والتي وصل عددها إلى حوالى الخمسين. ولم تنجُ من الحرق حتى السفينة منيرفا التي استولى عليها القواسم سلفاً[٤٣]. وتدافع البريطانيون منسحبين من رأس الخيمة حال سماعهم بخبر حملة سعودية بقيادة المطيري كانت في طريقها لإنقاذ المدينة. سارت سفن الحملة بعد هذا إلى لنجة فأحرقوا فيها عشرين داوا، ومنها إلى لفت فأتلفوا كل مركباتها وسلم لهم الملاحسين المكان، كما سلم المذكور ٢ لخ روبية إلى القائد البريطاني الذي سلمها بدوره

إلى الشيخ درويش، شيخ النعيم، ليسلمها إلى إمام عمان(٤٤).

قامت الحملة البريطانية العمانية بعد ذلك إلى شيناص حيث خاضت حرباً قاسية ضد أهل تلك المدينة الذين استبسلوا في الدفاع عنها، ولم يستسلم الحصن إلا بد مقاومة شرسة. وقتل في هذه المعركة أحد أبناء عمومة الأمير سعود(٤٥). وحين عرف القائد البريطاني أن مطلق المطيري صار على مشارف شيناص لنجدتها، بعد أن سار إليها من رأس الخيمة التي حاول نجدتها فتأخر عنها، أصدر القائد أوامره لجنده بالانسحاب حتى لا يحتكوا بالسعوديين بطريق مباشر، وذلك تنفيذاً للأوامر التي تلقاها في بومباي، وبقيت في الميدان جيوش عمان. وقامت بين الفريقين المسلمين معركة لم ينجُ بحياته من العمانيين منها إلا نفر قليل(٤٦). طلب السيد سعيد إلى وينرايت ـ بعد هذا ـ أن يرجىء الهجوم على خورفكان لجولة أخرى، فوافق وينرايت حيث لم يكن للبريطانيين مصلحة محددة في الهجوم على ذلك المرفأ(٤٧).

كان لا بد للحملة أن تفكر في مهاجمة رحمة بن جابر في خورحسان وذلك لإيوائه بعض القواسم الذين فروا أمام الحملة(٤٨). وبعد مداولات بين القواد والسياسيين تقرر عدم التعرض لرحمة لأنه لم يعترض التجارة البريطانية. وبما أنه من «الوهابيين» فقد استقر قرار قائد الحملة على أن يرسل بشأنه إلى الأمير سعود يطلب إليه أن ينهي رحمة بن جابر الجلاهمة وأتباعه الآخرين من العرب البحريين عن «القرصنة» والتعرض للسفن البريطانية(٤٩)، ويرجِّح لوريمر أن قائد الحملة أرسل(٤٩ ـ أ) خطاباً إلى الدرعية. أزعجت هذه الحملة شيوخ العتوب في البحرين الذين اتصلوا بالسلطات البريطانية معتذرين، وتملصوا عما بدر منهم سلفاً في حق السفن المسقطية، وقالوا بأن كل ذلك قد تم بتدبير الحاكم «الوهابي» وأنهم ما فتئوا يسوقون له الأعذار التي قد يقبلها ذلك الحاكم أحياناً لافتقاره للقوة الحربية التي تجبرهم. وأشار هؤلاء إلى أن الدرعية قد استبدلت شيخ القواسم بآخر من منطقة الصير، وأنهم يخشون من أن يواجهوا

نفس المصير، وسيجبر أهل البحرين بعد هذا على الاشتراك في «القرصنة والنهب». وطلب شيوخ البحرين إلى الحكومة البريطانية في الهند أن ترد بشكل صريح ومباشر عن إمكانية دعمهم حين يخرجون عن طاعة السعوديين. وأشار هؤلاء الشيوخ إلى أن أمر الدعم لن يكلف الهند إلا وجود سفينة أو إثنتين في مياه البحرين. علق ستون على هذا الطلب مؤيداً وموضحاً أثره على مستقبل الأمن والتجارة البريطانية في الخليج. يقول ستون بأن هؤلاء العتوب يعملون في التجارة بين البحرين والهند، وقد كانت سفنهم لا تغشى ميناء مسقط سابقاً، وعلى هذا فهي لا تدفع ضرائب أو رسوماً إلى حكام مسقط. وكان هذا هو الدافع الرئيسي الذي دفع بالسيد سلطان حاكم مسقط كي يرسل في ١٢١٥ هـ / ١٨٠٠ م حملة ضدهم، وأن هذا الأمر قد أدى بشيوخ البحرين إلى الاستعانة بالسعوديين. ويضيف ستون: «بما أن سفن البحرين تغشى مسقط حالياً، وتؤدي الرسوم فأن إمام مسقط لا يسعى إلى معاداتهم»[٥٠].

لا تذكر وثائق الهند أن حملة عام ١٢٢٤ هـ / ١٨٠٩ م قد وصلت إلى اتفاق أو انتزعت تعهداً من القواسم. بل أن ايتشيسون Aitchison، وهو المصدر الثقة في هذا الصدد، يثبت بالنص أنه: «لم تعقد أية اتفاقية مع القواسم إذ لم تكن لهم دولة مستقلة فقد ذابت في «الوهابيين»[٥١]، ولم يجد البريطانيون وسيلة للحفاظ على نتائج الحملة بالزام القواسم بالتعهدات. أما الشيخ منصور فيذكر - دون أن يورد الدليل - بأن القائد السعودي مطلق المطيري عقد مع الكولونيل سميث اتفاق سلام. كما نصّ الشيخ منصور بأن الاتفاق يقضي بعدم تعرض الوهابيين أو أتباعهم لسفن البريطانيين أو رعاياهم، وأن حكومة الشركة ستلزم بالمقابل بعدم مساندة السيد سعيد إذا أخلّ بتعهداته ولم يدفع المال المستحق بموجبها لحكومة الدرعية. ويضيف الشيخ منصور بأن القائد البريطاني سميث ارتضى أن يدخل في هذا الاتفاق لعدم وجود أي اتفاق محدد وملزم تجاه السيد سعيد، بل إنه كان يرى أن ما أصابته الحملة البريطانية من مؤن وامدادات من مسقط قد تم دفع مقابلها للسيد سعيد حين قامت الحملة بتدمير أكثر حصون

القواسم[٥٢]. وعموماً يمكننا أن نضيف بأن هذه الحملة تحقق شيئاً لأنها ـ كما يقول واردن Warden ـ تجنّبت بشكل حذر أي احتكاك مباشر مع الوهابيين[٥٣]، وإن ضربت القواسم الذين كانوا وهابيين موالين للدرعية حاملين لواءها في البحار.

قضى الأسطول البريطاني ما تبقى من يناير ١٨١٠ م يجوب ساحل عمان وعاد أدراجه. وما لبث السيد سعيد أن أرسل إلى بومباي في ربيع أول ١٢٢٥ / أبريل ١٨١٠ م يطلب دعماً دائماً ضد السعوديين، معللاً طلبه بأن اشتراكه وتعاونه مع أصدقائه في الحملة الأخيرة قد ألّب عليه القوى السعودية أكثر من ذي قبل حيث كان يعيش سابقاً معها في سلم. وطلب السيد سعيد إلى حكومة الشركة البريطانية ألاّ تلزم الحياد في الصراع الدائر في المنطقة. وتذهب رسالة السيد سعيد إلى أن الوهابيين قد وصلوا حالياً حتى منطقة مسقط واستولوا على قلعة لا تبعد عن بركا سوى ٤٠ ميلاً، وأنهم قد هاجموا منطقة سمايل التي صمدت أمامهم بخسائر كبيرة. ولام سعيد سلطات الهند التي لم تسرع لمساندته ومساعدته[٥٤].

درست حكومة بومباي هذا الخطاب وقررت في ١٢٢٥ هـ / أغسطس ١٨١٠ م أن تلتزم الحياد في الصراع الدائر في شبه الجزيرة العربية، فهي قد دخلت الحرب الأخيرة مساندة منها لإمام عمان في صراعه ضد السعوديين. ورأت بومباي أنها إذا ثبتت على التحالف الدائم مع إمام عمان فربما أفاد سيد عمان من هذا الوضع وارتكز عليه، وزاد نتيجة لذلك في عدائه ضد السعوديين، ويدخل الشركة بذلك في مواجهة مباشرة مع تلك القوة وأتباعها في المنطقة، وهذا أمر لا يريدونه، ولا يفيدون منه بحال. قررت بومباي أن تكتب لأمير عمان بشكل صريح وواضح لتفهمه بأن قوة الشركة ليست طرفاً في النزاع الدائر في المنطقة بحال، كما أن الشركة لا تعتبر نفسها في حرب مع السعوديين وأنها حين خاضت الحرب الأخيرة ضد القوى القاسمية لم تعلن الحرب على الوهابيين،

إذ لم تكن هذه الحروب موجهة ضدهم إنما ضد «القرصنة والقراصنة» الذين يهددون أمن أراضي الأمام ورفاهيته، والذين يهددون الملاحة في الخليج العربي. وانتهت حكومة بومباي في رسالتها إلى أنه «فيما عدا ذلك فإن الحكومة البريطانية لا شأن لها بالنزاع الدائر بينه وبين الوهابيين». وأوصت الرسالة إمام مسقط أن يعمل على تحسين علاقاته بالدرعية، وأن يسعى للدخول في سلم معها «إذا كان ذلك متسقاً مع شرف وأمن دولة مسقط»(٥٥).

لم تكن من سياسة الهند معاداة حكومة الدرعية بصورة سافرة أبداً، إذ ليس لبومباي أو لرئاسة الشركة في كلكتا أو لندن أية مصالح في شبه جزيرة العرب تقتضي محاربة السعوديين ومنازعتهم. أما إذا ظهر الوهابيون أو من هم على الولاء لهم بمطالب في مياه الخليج أو بعمليات لا ترضى عنها الشركة البريطانية، فيمكن أن يضربوا فوق مياه الخليج مع الاعتذار للدرعية بأنهم يضربون «القراصنة» ويعملون على تطوير التجارة، وبهذا يضربون أطراف الدرعية دون الوقوف أمامها مباشرة.

كان موقف الأمير سعود واضحاً منذ البداية بالنسبة إلى أحداث الحملة البريطانية في ١٢٢٤ هـ / ١٨٠٩ م. رد سعود خطابه الذي سُجل في المقيمية البريطانية في بوشهر في ١٥ أبريل ١٨١٠ بأن ما حدث من أتباعه في مياه الخليج العربي ليس قرصنة كما يقول البريطانيون إنما هو جهاد واجب. وأضافت الرسالة إلى سميث بأن لا يزهينه تدمير بعض سفن الجهاد التي لا يقيم لها ولا لأصحابها وزناً كبيراً. وأنهى سعود إلى سميث بأن سعيداً قد زجّ بالسياسة البريطانية فيما لا قبل لها به. وأعلن سعود بأنه سيضرب عن كل هذا صفحاً، وسيمد من حبل الصبر، وسيحترم وأتباعه التجارة البريطانية في الموانىء التابعة له، ولكنه ينتظر من البريطانيين المعاملة بالمثل. كما طلب سعود إلى سلطات الشركة بأن تمتنع من القيام بأية عمليات حربية في السواحل التابعة له، وأن لا تتدخل في مشاكله مع المسلمين الآخرين. وانتهى خطاب سعود إلى شجب

الحرب وويلاتها ومشاكلها وأنه لا يخوضها دون ضرورة إلا الأحمق(٥٦).

رد هانكي سميث في ٥ جمادي الثانية ١٢٢٥ هـ / ٧ يوليو ١٨١٠ م على خطاب الأمير سعود، بأن سلطات الشركة لن تتدخل في عملياته التي يقوم بها ضد المسلمين الذين ـ كما يقول سعود ـ خرجوا عن أصول الدين وابتعدوا عن القرآن، وجافوا السنة. وأضاف سميث بأن البريطانيين لن يستعملوا القوة إلا ضد «القراصنة أعداء البشرية». واختتم سميث رسالته بأن تمنى أن يسمع دوماً عن أخبار سعود وازدهاره ونجاحه(٥٧).

عقد علماء الدرعية ـ إثر هذا ـ اجتماعاً قرروا فيه أن الإنكليز على دين النصارى، وهم أهل كتاب، وجهادهم غير واجب. وتلقفت السلطة السياسية في الدرعية رأي العلماء لتبني سياستها الجديدة تجاه الشركة التي هاجموها في حربين غير مباشرتين وانتصرت عليهم بهزيمتها للقواسم.

حين يئس السيد سعيد من البريطانيين ومساندتهم اتجه إلى فارس لتعينه على السعوديين الذين أدى لهم الزكاة في عامه ذاك. أرسل السيد سعيد أخاه سالماً إلى حاكم مقاطعة فارس في شيراز ليطلب العون العسكري. أمد الفرس سالماً بألف وخمسمائة من الجنود المرتزقة، منهم خمسون روسياً من أسرى الحرب من الذين كانوا يعملون في مجال المدفعية. وصل هؤلاء إلى عمان في ١٢٢٥ هـ / النصف الأخير من عام ١٨١٠م، وهاجموا قلعة سمايل التي كان حاكمها محمد بن ناصر قد مالأ السعوديين وأعلن الولاء لهم. وسقطت قلعة سمايل لإمام مسقط، وهرب محمد بن ناصر إلى البريمي ليطلب المدد من القائد السعودي مطلق المطيري. ولم يجد محمد بن ناصر مطلقاً في البريمي حيث كان قد غادرها تواً في اتجاه نجد، فجدّ باللحاق به. ورجع مطلق مع ابن ناصر إلى أرض عمان، ونظم قبائل النعيم والظواهر وبني قتب، كما انتظمت تحت رايته قبائل الدروع والجنبة. ومضت هذه الحشود إلى منطقة أزكي حيث تصدى لهم هنالك السيد سالم بقبائل الحرث والحبوس وهزمهم في نخل(٥٨).

وتملص بعد هذا السيد سعيد من تعهده السابق للدرعية بأداء الزكاة وذلك نتيجة لنمو قوته العسكرية، ولانشغال السعوديين عنه ببداية زحف الحملة المصرية[٥٩].

لم يجد السعوديون إلا أن يهادنوا البريطانيين، خصوصاً وأن الوضع في ضوء الظروف الجديدة لم يكن في صالحهم، فأرادوا أن يتبعوا خطاً تصالحياً مع كل القوى المحيطة بهم. أرسل الأمير سعود بسفارة يرأسها إبراهيم بن عبد الله بن عبد الكريم إلى السلطات الفارسية في شيراز، وإلى المقيم البريطاني في بوشهر. وصلت السفارة إلى بوشهر في ١٢٢٦ هـ / أواخر عام ١٨١١ م لتفاوض في السلام ولتعقد اتفاق صداقة وحسن جوار. وتردد المقيم البريطاني في إجابة السفارة إلى طلبها حيث كان الموقف القاسمي في البحر ضعيفاً على تلك الأيام، كما كان المقيم يدرك جيداً دوافع المساعي السعودية، وأخبار زحف الحملة التركية المصرية في الحجاز[٦٠]. هذا بالرغم من معرفة المقيم أيضاً بأن قوة الأمير سعود في شرق الجزيرة العربية ـ حيث اهتمامات المقيم ـ لا يستهان بها. كان الأمير يمارس نفوذه على كل الساحل العربي من الخليج تقريباً فيما عدا الكويت التي نفضت الولاء الأسمي، وجزر البحرين التي أصبحت خالصة للعتوب. أما المنطقة الممتدة من رأس مسندم وحتى حدود الكويت فقد كانت بشكل أو بآخر تحت نفوذه. كما امتد نفوذ الأمير سعود وامتدت قوته الروحية لتشمل تقريباً كل الإمارات العربية على الساحل الفارسي من الخليج[٦١].
ولهذا فإن سفارة إبراهيم بن عبد الكريم زارت مقاطعة فارس قبل أن تأتي بوشهر لكي تستوثق مما أشيع من أن الفرس يخططون لحملة ضد القوى السلفية، ولكنها لقيت ترحاباً عظيماً وحفاوة بالغة من الفرس. لم يكن الفرس في وضع يسمح لهم بارسال الجيوش إلى الجزيرة العربية لمحاربة الدرعية، كما أنهم كانوا يخشون أن تحرك الدرعية ضدهم عرب السواحل الفارسية، فعملوا على إرضاء المفاوض باسم الدرعية، وأجابوه إلى رغبته في الصداقة المتبادلة. وأكّدت الحكومة العليا في البنغال بعد هذا رأي المقيم في الخليج، وصدر قرارها بأنها لا

ترى هنالك في الوقت الراهن ما يدعوها إلى ارتباط أو اتفاق مع الوهابيين، وإن كانت هذه الحكومة لا ترى ضيراً في مواصلة الاتصالات الودية مع سلطات الدرعية[٦٢]. هذا وقد تبلورت في هذا الوقت خطة فرنسية للتعاون في مخططاتهم في الشام والعراق مع الأمير سعود ضد البريطانيين. وظهرت في حلب أخبار رسول فرنسي يدعى لاسكاريس إلى الدرعية، ولم تتمخض هذه البعثة عن شيء حيث لم يجد لاسكاريس من يوصله إلى الدرعية.

سلطان بن صقر يناهض الدرعية:

استطاع سلطان بن صقر أن يهرب من إقامته الجبرية في الدرعية في ذي الحجة ١٢٢٨ هـ / أواخر عام ١٨١٣ م. ونفض عن نفسه الولاء للدرعية، واتصل بقوات محمد علي العسكرية في الحجاز، وواصل رحلته إلى ميناء مخا، وأبحر منها إلى مسقط. قدم الشيخ سلطان بن صقر إلى السيد سعيد عرضاً من محمد علي باشا للتعاون معه في عملياته العسكرية ضد القوى السعودية. كانت الخطوة الأولى في هذا التعاون تقتضي من السيد سعيد مساندة الشيخ سلطان بحملة يستعيد بها مشيخة القواسم ،وينتزعها من العامل السعودي، الذي عينه مطلق المطيري هناك. وتعهد الشيخ سلطان مقابل ذلك بأن لن يقوم مستقبلاً بأي اعتداء على عمان[٦٣]. رضي إمام مسقط بالعرض، وأرسل إلى ميناء جدة سفينة محملة بالمؤن، وخطاباً يؤكد لطوسون فيه بأنه مستعدللتعاون، وأنه سيقدم كل مساعدة ممكنة، وسيعمل فوراً لكي يستعيد سلطان بن صقر مشيخته.

لم تكن الدرعية في وضع يمكنها من شن الحملات في عمان أو تحريك أطرافها في الخليج لضرب المصالح العمانية ،فآثرت أن تدخل عمان في دائرة المصالحة التي لجأت إليها مع القوى الأخرى. أرسلت الدرعية إلى مسقط سفارة تفاوض في السلام وتدعو إلى الصلح والوئام. ولم تسفر هذه السفارة عن شيء بل وصلت إلى طريق مسدود حيث كان السيد سعيد يدرك خطورة موقف الدرعية

ويصر على املاء شروطه دون سواها. كتب إمام عمان إلى المقيم البريطاني بروس W. Bruce بشأن هذه المفاوضات ، فأكد بأنها «لم تسفر عن شيء مقبول لدينا فشروطهم غير مقبولة» . كما أفاد السيد سعيد بأنه لن يوافق على السلم ، و«اتباع هذه الآراء طالما بقيت رأس الخيمة بيننا»[٦٤] .

قام المقيم بروس بزيارة إلى مسقط في أواخر ١٢٢٨ هـ / أواخر ١٨١٣ م. ووجد إمامها يعد العدة لغزو رأس الخيمة وتثبيت سلطان في إمارة القواسم. دعا السلطان المقيم لكي يصحبه في هذه الحملة ليشهد على شروط الاتفاق الذي يزمع أن يوقعه مع الشيخ سلطان بعد إعادته إلى مشيخته. كما أشار سلطان مسقط إلى أن الشيخ سلطان سيلزم نفسه كشيخ للقواسم باحترام المصالح البريطانية في المنطقة، ويتعهد بذلك بموجب اتفاق ملزم، وسيحترم تعهده، لأن الشيخ سلطان يدرك تماماً «بأن البريطانيين لن يتركوا إساءة تمر دون عقاب»[٦٥] .

سمحت حكومة بومباي لمقيمها بروس بالعمل والتنسيق مع السيد سعيد والسعي لتجديد اتفاق ١٢٢٠ هـ / ١٨٠٦ م مع شيخ القواسم، مع التأكيد للجميع بأن الأسطول العسكري للشركة سيضرب بعنف «سفن القراصنة» دون أن يهتم إطلاقاً لهوية هذه السفن أو لانتمائها لهذه الدولة أوتلك، وذلك محافظة من حكومة الشركة على أمن وتجارة الرعايا البريطانيين في الخليج العربي[٦٦] .

عقد المقيم بروس مع السيد سعيد اتفاقاً يقضي بمؤازرته ودعمه لرد الشيخ سلطان إلى مشيخته بعد طرد عامل الدرعية من هناك ، كما وافق بروس كذلك على اشتراك الشيخ شخبوط شيخ آل بني ياس في الحملة المزمعة[٦٧] .

صحب بروس الحملة التي سارت أولاً إلى أبو ظبي، حيث اجتمع إمام عمان بالشيخ شخبوط وأقنعه بضرورة أن يعمل بالتناسق معه كي يعيد سلطاناً إلى مشيخته. وأقنع شخبوط ووافق على الاشتراك في الحملة التي ستهاجم رأس

الخيمة وأعلن دعمه لها بألفي رجل. وفي هذه الأثناء وصلت إلى سعيد في أبو ظبي رسالة من الشيخ سلطان بن صقر الذي كان في الساحل الفارسي يقول فيها بأنه وجد الدعم والمؤازرة من مجموعة كبيرة من عرب الساحل الفارسي. وتم إحكام خطة الهجوم على رأس الخيمة بالحصول على موافقة شيخ البحرين بالتعاون مع الحملة المزمعة، وامداد الحملة بألفي رجل كذلك، وبعدد من المراكب البحرية يتراوح بين ١٥ و ٢٠. وقد كان من رأي السيد سعيد أن هذه الاستجابة السريعة من الشيوخ العرب لخطة غزو رأس الخيمة وتنفيذها لم تكن ممكنة لولا وجود المقيم بروس معه، والاهتمام البريطاني بهذا الأمر. وعموماً تحركت تلك الحشود إلى أرض القواسم، وقام الشيخ سلطان بن صقر من دبي في ١٥٠ مركباً بحرياً، وشن هجوماً مع الآخرين على رأس الخيمة إلا أنهم تراجعوا منكسرين نتيجة لتقاعس الشيخ شخبوط عن الوفاء بما التزم به، وانهارت بهذا الخطة كلها[٦٨].

تمكن الشيخ سلطان بن صقر من أن يحصل بعد هذا في ١٢٢٩ هـ / ١٨١٤ م «بمصادرة الخاصة» على مشيخة الشارقة. وكتب سلطان بعد هذا إلى إمام عمان يطلب دعمه ضد رأس الخيمة لأنها ـ في تقدير الشيخ سلطان ـ ضعيفة منهكة، فقد خرجت تواً من نزاع مسلح مع أبو ظبي، كما أن مطلق المطيري الذي كان يهرع في كل مرة إلى نجدتها قد توفي [٦٨ ـ أ]. وأردف الشيخ سلطان بأن الفرصة «مهيأة له الآن لبسط شياخته على القواسم حين تسقط رأس الخيمة له». استجاب إمام عمان للدعوة، وتقدم في حشوده إلى رأس الخيمة، وقبل أن يبلغها استقبله مفاوضون من أهلها طالبين الصلح فأجابهم إليه، وعاد أدراجه إلى قشم[٦٩]. وبهذا خسر الشيخ سلطان الجولة مرة أخرى.

لم تكن الدرعية التي تواجه الزحف التركي المصري القادم من الغرب، والنجاحات التي حققها ذلك الزحف، في وضع يسمح لها بالاعتراض على العمليات التي يقوم بها إمام مسقط في الخليج العربي، والتي ترضى عنها حكومة

الشركة البريطانية وتساندها تماماً. غضت الدرعية النظر عن تحركات مسقط وذلك في محاولة لاسترضاء الإنكليز الذين واصلت الدرعية مساعيها لتحييدهم في الصراع الدائر. ولم تجد الدرعية إلا أن تلجأ إلى السفارات وأن تدعو إلى التفاهم والصداقة وشجب ما فوق ذلك. ولم يكن إيفيان نبيان حاكم بومباي يرفض هذه المساعي السعودية، وإنْ كان يفهم تماماً الأسباب التي اضطرتهم إلى سلوك هذا المسلك. ما كان لبومباي هدف تخشى عليه إذ انغلقت نجد على نفسها ولم تعد تساند حركات الجهاد في الخليج العربي. أرسل نبيان رسالة رقيقة إلى الإمام سعود بتاريخ ١٨ فبراير ١٨١٤م، يقول فيها إن الصداقة التي تربط بينهما متصلة الوشائج، وأنه قد قام من جانبه قبل وصول السفارات السعودية باصدار تعليمات دائمة للمقيم بروس «لكي يكون دائماً على اتصال بسمو سعود بن عبد العزيز لتوطيد علاقات الصداقة التي ستعود بالنفع المتبادل على الدولتين وما جاورهما». وأضاف نبيان في خطابه معبِّراً عن سعادته بما جاء في خطاب سعود من أن هناك رغبة مماثلة في زيادة توثيق العلاقات وتحسينها. وينتهي الخطاب بقول نبيان: «بأني أستطيع أن أقطع واثقاً من أننا سنصل إلى تحقيق الغايات المتبادلة بالسرعة المنشودة»(٧٠).

توفي الأمير سعود بن عبد العزيز في ١١ جمادي الأول / ١٢٢٩ هـ / ٣٠ أبريل ١٨١٤م مع استفحال الأزمة التي تواجهها بلاده في غرب الجزيرة العربية. ولم يكن أمام خلفه الأمير عبد الله بن سعود من وسيلة إلا أن يواصل الاستعانة بالدبلوماسية الهادئة مع البريطانيين ولغة التهادن والتفاوض، علَّه يصل إلى اتفاق الصلح مع القوى السياسية في الخليج العربي أو تصير الأزمة إلى انفراج.

العلاقات السياسية مع الخليج على عهد عبد الله بن سعود:

ظلت السفن القاسمية تجوب البحر موغلة في دروب الجهاد تكافح تحت الراية الوهابية التي بدأت دولتها تحس وطأة الغزو. بلغت العمليات القاسمية

في ١٢٢٩ هـ / النصف الأول من عام ١٨١٤ م حداً أوجع الشركة وأغضب الحكومة البريطانية في الهند. طلب المقيم بروس في مايو ١٨١٤ م إلى حسين بن رحمة الذي خلف الحسين بن علي على إمارة رأس الخيمة أن يصدر أمره إلى رجاله بالابتعاد عن السواحل الهندية وعدم القيام بعمليات عسكرية في تلك المناطق. كما طالب بروس حسين بن رحمة برد ماغنمه رجاله من بعض الرعايا الهنود أو التعويض عنه فوراً. وطلب حسين بن رحمة امهاله حتى يستشير الدرعية.

قام المقيم البريطاني في ٢ شعبان١٢٢٩هـ/١٩ يوليو ١٨١٤م بزيارة البحرين وتحسس اتجاهات شيوخها ومعرفة ارائهم في المسائل الجارية في الخليج والجزيرة العربية. لقي المقيم من الشيخ عبد الله بن أحمد استقبالاً طيباً. شكا الشيخ عبد الله من إمام مسقط وأنهى إلى المقيم أن سبب اختلافه مع السيد سعيد يعود إلى أن الأخير لم يلتزم بكلمته وصادر له ١٥ قارباً شراعياً كانت في طريقها من الهند إلى البحرين عبر مياه مسقط. وأضاف الشيخ بأن إمام مسقط قد اتصل بالسعوديين يطلب تعاونهم معه لإخضاع البحرين لحكومته. ورفض الأمير عبد الله هذا الأمر، وزاد بأن أرسل إلى أمير البحرين خطاب إمام مسقط مبدياً تعاطفه مع شيخ البحرين، ومساندته له إذا هاجمته مسقط. وقال عبد الله بن أحمد بأن السيد سعيد يريد أن يضع رحمة بن جابر حاكماً على الجزيرة بعد أن يتمكّن منها، وأضاف بأن سعيد لن يتمكّن منها أبداً لأن له في البحرين ٧٠٠٠ مسلح يمكن أن يقفوا في وجه الغزو ويفشلوه، كما أنه يثق في أن نجد ستعينه بما يطلبه من رجال وعتاد. واستوضح الشيخ المقيم عن السياسة البريطانية تجاه بلاده وهل يمكن له اعتبار البريطانيين أصدقاء أم يضعهم في صف الأعداء، وقال بأن إمام مسقط قد أشاع بأن المقيمية البريطانية ستمده ببعض السفن الحربية لغزو الجزيرة. واستطاع المقيم أن يهدىء من روع الشيخ ويسكن مخاوفه[٧١]. وعاد المقيم إلى بوشهر بعد جولة استوثق فيها من أن الأمور تسير في صالح خدمة المصالح والأهداف البريطانية، وأن الظروف التي تمر بها

المنطقة قد هيأت لبريطانيا الجو المناسب لفرض أهدافها وتثبيت سياساتها في المنطقة.

رد حسين بن رحمة بعد أن استشار الدرعية على سفارة المقيم له بسفارة أخرى برئاسة حسين بن محمد بن قيس بلغت بوشهر في ١٨ شوال ١٢٢٩هـ / ٢ اكتوبر ١٨١٤ م. شجبت هذه السفارة باسم أمير الدرعية ما يقوم به القواسم من عمليات عسكرية عند السواحل الهندية الواقعة تحت السيادة الفعلية للشركة. ووعد الأمير بأنه سيرغم شيخ رأس الخيمة على رد كل الغنائم التي نالها أتباعه هنالك[٧٢]. وجاء في خطاب عبد الله كذلك أنه يسعى من جانبه جاهداً لتحسين العلاقة مع المقيم وتوطيدها. وانتهى خطاب الأمير بأن طلب إلى بروس أن تحمل سفن البريطانيين ورعاياهم علامات مميزة تدل عليها وتصاريح إبحار موثقة، وذلك حتى لا تهاجمها مراكب المسلمين التي لن تنقطع عن الابحار والجهاد لمكافحة السفن الأخرى[٧٣]. وردد خطاب حسين بن رحمة الذي حمله السفير كذلك صدى خطاب الأمير بأن أكّد لبروس عزم القواسم على تحسين علاقتهم مع البريطانيين. وجاء في خطاب الشيخ بأن هذا الأمر لن يتأتى ما لم تبتعد السلطات البريطانية عن التدخل في خلافاتهم مع القوى الأخرى «وللعرب قانونهم العرفي الذي ينص على أنه لن يكفر عن الدم إلا الدم»، وأنهم إذا فارقوا هذا العرف ولم يسيروا بموجبه ذهبت هيبتهم بين القبائل الأخرى، وستتجرأ هذه القبائل عليهم فتهاجمهم وتغزوهم في عقر دارهم. وأكد خطاب الأمير حسين بأنهم يحاربون العرب الآخرين مدفوعين بالدرعية وبتأييدها. وقد علق المقيم بروس على هذا بأننا إذا استطعنا حماية القواسم من «الوهابيين فإنهم لن يهاجموا سفن العرب الأخرى»[٧٤].

انتهت هذه المفاوضات إلى تعهد أصدره حسين بن محمد قيس باسم شيخ رأس الخيمة بأن القواسم لن يعترضوا السفن البريطانية أبداً. وبالرغم من أن بروس كان يشك في جدوى هذا التعهد، وبالرغم من أنه شكك حكومة

بومباي في تقيد القواسم به، إلا أنه قَبِلَه، ووافقته بومباي على هذا التصرف واعتمدته[٧٥].

مثّل هذا التعهد انطلاقة جديدة للسفن القاسمية التي راحت تهاجم في البحر كل سفينة لا تحمل أعلاماً أو تصاريح عبور بريطانية. ففي نفس الشهر الذي تم فيه عقد الاتفاق غنم القواسم الكثير من السفن غير البريطانية. وتقيدت بومباي من جانبها بالتعهد ورفضت طلباً من أمراء السند ـ الذين لم يكونوا قد دخلوا في حظيرة سيادة الشركة البريطانية بعد ـ بحماية الملاحة في دروبهم البحرية، وعللت رفضها لهم «بأن حماية السفن غير البريطانية ليست من مهام هذه الشركة». وأصر موريا Moria الحاكم العام في الهند على أن تتقيد حكومته بما التزمت به؛ذلك بالرغم من أن نبيان، رئيس حكومة بومباي المسئولة مسئولية مباشرة عن تسيير الشؤون السياسية والعسكرية للشركة البريطانية في الخليج العربي، كان يرى وجوب أن تقوم الشركة بحماية التجارة الدولية على إطلاقها، وذلك لأن تجارة الشركة هي جزء من التجارة العالمية، وستتأثر بالأضرار التي تصيبها[٧٦]. وحدث أن هاجم رحمة بن جابر من موقعه في الدمام سفينة عثمانية استمراراً للعمل العسكري الذي كانت تقوم به القوات السعودية براً للرد على حملات الأتراك المصريين. واتضح بعدئذٍ أن تلك السفينة كانت تحمل تصاريح إبحار بريطانية صادرة عن مكتب المقيم البريطاني في البصرة. واعترض الأمير عبد الله بن سعود لدى المقيم رسمياً على هذا العمل واتهم العثمانيين بأنهم «يريدون أن يدقوا إسفيناً في علاقتنا ويباعدوا بيننا. لقد أثبتنا لكم سلفاً بأننا نحترم كل المنتسبين إليكم. ولم ينلهم أي أذى ـ مهما كان طفيفاً ـ من قبل أتباعنا. وعليه فإنه يتحتم عليكم في مقابل ذلك أن لا تصدروا تصاريح إبحار لأعدائنا وتدخلوهم في زمرة التابعين لكم». ووصفت رسالة الأمير العثمانيين بأنهم أعداؤه[٧٧].

طغى نفوذ القواسم البحري وبلغ نشاط جماعاتهم في ١٢٣٠ هـ / ١٨١٥ م مشارف بومباي شرقاً والبحر الأحمر غرباً، وأصابوا الكثير من الغنائم.

ولم تجدِ احتجاجات بروس على الحسين وذلك لاختلاف وجهات النظر. كان من الطبيعي أن يعتبر بروس الهنود الداخلين تحت مظلة الشركة رعايا بريطانيين، وكان من رأي الحسين أنهم غير ذلك إذ إنه لا يعترف بالهند بريطانية. ولهذا أعلن حسين لبروس مجدداً بأن رجاله لم يتعرضوا للسفن البريطانية، ولا يعرف من أمر هذه التعديات شيئاً. واقترح حسين على بروس أن يصدر تصاريح الابحار البريطانية للسفن العاملة في المنطقة باللغة العربية وذلك حتى يتبينها أتباعه(٧٨). ودارت بين الجانبين مراسلات لم تؤد إلى نتيجة.

هاجم القواسم سفناً تابعة لسورات في البحر الأحمر وكان التشكيل العسكري القاسمي بقيادة أخي الشيخ المدعو إبراهيم بن رحمة. واحتج بروس مرة أخرى، وأرسل رسولاً إلى رأس الخيمة بالاحتجاج. وحين وصل الرسول عنّفه الأهالي وأساءوا إليه لأنه يعمل «في خدمة الكفار»، وأفلت مبعوث بروس من الغضب الشعبي ورجع إلى سيده الذي ازداد يقيناً بأن «الاتفاق مع هذه العصابات غير المسئولة أمر مستحيل»(٧٩).

بدأت بومباي التجهيز لعمل عسكري ضد رأس الخيمة فأرسلت الهند قوة بحرية صغيرة على رأسها المدعو بيرجز Bergis، وذلك لمعاقبة الشيخ حسن بن رحمة لعدم التزامه بتعهده ولإصراره بأنه لم يخرق ما التزم به سلفاً من عدم مهاجمة سفن البريطانيين «أتباع عيسى عليه السلام»، تلك السفن التي يجب ـ في رأي الشيخ حسن ـ أن ترفع شارات بريطانية متعارفاً عليها(٨٠).

وصلت، حملة برجز/ بروس ألى رأس الخيمة وطلبت في ٢٦ نوفمبر ١٨١٦ م إلى شيخها أن يدفع تعويضاً عن السفن التي غنمها أخوه في البحر الأحمر، وأن يعاقب المسئولين عن هذه العمليات وعلى رأسهم إبراهيم أخوه الذي يجب أن يسلمه لهم. كما طالبت الحملة الشيخ أن يسلمهم أحد أبنائه ليبقى رهينة عندهم حتى تستجاب طلباتهم، ونقل برجز إلى الشيخ حسين بأن أوامر نبيان تقضي بأن يتحمل الشيخ وزر عدم رضاء الحكومة البريطانية في حالة عدم استجابته لما أمر به(٨١).

أكد أمير رأس الخيمة لهذه البعثة العسكرية بأنه لم يخرق تعهده، فذلك التعهد يتعلق بالسفن البريطانية دون سواها، وأنه لا يشمل السفن الهندية بحال، فهو خاص بسفن النصارى وممتلكاتهم فقط. وأكد الشيخ حسن بن رحمة فهمه بأنه وأتباعه لا يعتبرون أي جزء من الهند إنكليزياً أو تابعاً للإنجليز فالهنود جنس مختلف. وذكّر الأمير بعثة المقيم البريطاني بأنهم تعهدوا بالمثل ومراراً بأنهم لن يتدخلوا في علاقات القواسم الموحدين مع القوى الأخرى غير البريطانية. ورفض الشيخ مطالب الحملة جملة وتفصيلاً وأقر بأنه لن يسلمهم أي شيء. وأدى هذا الفهم المتباين لتفسير التعهدات إلى أن يعتبر برجز هذا الرد تحدياً لبريطانيا، ففتح نيران سفنه على المدينة، وردت عليه السفن القاسمية بالمثل. ولم يحقق برجز من أمره شيئاً بينما نالت نيران القواسم من بعض سفنه[٨٢].

تحلل البريطانيون بضرب رأس الخيمة من تعهداتهم، واعتبر القواسم أنفسهم في حل من عهد لم يلتزم به الطرف الآخر. ولهذا بات حسن بن رحمة وأتباعه يتعاملون مع كل السفن الخاصة بالهند الراجعة إلى النصارى وغيرهم بكل العنف والحسم الواجبين في حالات الحرب المعلنة. وقد قوى فشل برجز من همة القواسم وشحذ حدة كراهيتهم للإنجليز فاستهانوا بقوتهم. ووصل القواسم حداً جعلهم يتجرأون في ربيع الأول ١٢٣٢ هـ / فبراير ١٨١٧ م بالإغارة حتى على سفن بحرية بومباي بتسليحها الثقيل قياساً بأسلحة القواسم. ولم يكن من الممكن لبومباي وكلكتا أن تصبرا على هذا الأمر لولا أن حروبها الدائرة مع المارثا والبنداري كانت تستهلك قوتها. وقررت الهند إرسال حملة كبيرة على القواسم، وأجّلت أمر تنفيذ ذلك إلى حين.

ما كان الأمير عبد الله بن سعود ليسكت على ضرب بريطانيا لرأس الخيمة إلا إن قواته كانت مشغولة بأمور أخرى في الحجاز فلم يجد إلا الاحتجاج. أرسل هذا الأمير في ١٢٣٢هـ/ فبراير ١٨١٧ م إلى المقيم بروس يعبر عن استيائه من محاولة ضرب رأس الخيمة، مؤكداً بأن أتباعه في رأس الخيمة لم

يعترضوا سفن الإنكليز النصارى التي تبحر تحت الأعلام البريطانية. وتساءل الأمير: «كيف تطلب منا أن نرد ما غنمناه من أعدائنا من أهل مصر وجدة واليمن وشحر والمكلا ومسقط والبصرة وأهل فارس التابعين لسعيد بن سلطان. إنهم كلهم أعداؤ نا فسنقتلهم حيث ثقفناهم تنفيذاً لأوامر الله فيهم. الله أكبر»[٨٣]، وعبر الأمير للمقيم عن أمله بأن لا يعكر هذا الحادث علاقات الصداقة، وأن يعملا سوياً لتجديد الاتفاق المبرم في ١٢٢٩ هـ / ١٨١٤ م، وأن تقام معاهدة بين الطرفين يُنص فيها صراحة على عدم مساندة البريطانيين لأعداء الوهابيين[٨٤].

لم يجب بروس عبد الله إلى طلبه فهو يدرك تماماً استحالة تنفيذهذا الأمر، إذ أن عبد الله يريد أن تبتعد بريطانيا عن التعامل التجاري مع الدولة العثمانية التي حركت ولاتها لمحاربة السعوديين، وأن لا تساند مسقط التي هي ذات أهمية سياسية واستراتيجية للهند، وأن لا يتاجر رعاياها في البحر الأحمر الذي هو منطقة عمليات عسكرية. وكرر عبد الله الطلب مرة أخرى في ١٢٣٢ هـ / ابريل ١٨١٧ م ولم يجبه بروس كذلك، إذ كان هو وبومباي وكلكتا من خلفه يرقبون تقدم القوات التركية المصرية وينتظرون في أناة الفرصة التي يمكن فيها الاستعانة بإبراهيم باشا للقضاء على القواسم يد السعوديين القوية في البحر.

وحين سقطت الدرعية في ذي القعدة ١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م، وأطلت جيوش إبراهيم باشا على الخليج العربي بعدئذٍ، أرسلت سلطات الهند البريطانية مبعوثها جورج فورستر سادلير G. F. Sadlier لينسق التعاون بين القوات الهندية (بريطانيا) ومسقط والقاهرة لضرب رأس الخيمة، وليتحسس في الوقت نفسه قوة الجيش الزاحف من القاهرة، ولمعرفة الخطط التي يسير عليها إبراهيم باشا، ولكتابة تقرير عن أهدافه بالنسبة إلى مستقبل المنطقة.

الفصل الثالث

نجد في سياسة الخليج العربي
١٢٣٦-١٢٥٧هـ/١٨٢٠-١٨٤١م

شهدت هذه الفترة غياب القوة السعودية المؤثرة في شرق الجزيرة العربية، فكان من السهل على الهند البريطانية أن تقوم بضرب القواسم وقوى الوهابيين الأخرى في البحر، إذ لم يعد لهم ظهير سياسي أو عسكري يستندون إليه كما كان شأنهم سابقاً. وشهدت هذه الفترة أيضاً، وبالتدريج، تحولاً في سياسة الخليج البريطانية التي كان دأبها - قبل هذه الفترة - عدم التدخل في السياسة القبلية في المنطقة أو التدخل في سياسة الصحراء. وكانت اتفاقية ١٢٣٥ هـ / ١٨٢٠ م هي أول ملامسة للمبضع البريطاني الحاد لجسم السياسة القبلية، حيث بدأ في سلخ جلد الجزيرة العربية وتشكيل خارطتها السياسية وفق المصالح والأهداف البريطانية وتأكيد الانقسام والفرقة بين الساحل والظهير. بدأ البريطانيون في هذه الفترة بالتعامل مع رؤساء القبائل التي تسكن الساحل الشرقي من الجزيرة، ودخلوا تدريجياً بعد هذا في التعامل مع رؤساء بعض القبائل التي تسكن المناطق التي تشكل نهاية السياج الذي يريد البريطانيون أن يحدثوه للداخل. كان الهدف هو العمل على تنظيم هؤلاء لمواجهة السياسات التي لا ترضاها بريطانيا وتريد حجزها عن مياه الخليج أو تدعمهم لكي يساندوا السياسات التي تريدها لهم وتشير عليهم بها وتحملهم على قبولها طوعاً وكرهاً.

عملت سياسة الهند البريطانية في هذه الفترة بشكل فعَّال في السياسة العمانية، وأرغمت إمام مسقط على وقف نشاطاته في الخليج تماماً، وشلت

حركته في مناطق حكمه الأخرى، وتدخلت في علاقاته مع القوى الإقليمية والدولية، وبدأت في استقطابه حتى زهد في الخليج وسياساته وركز همه على استثمار شق مملكته في الساحل الأفريقي.

بدأ مع بداية هذه الفترة اهتمام بريطاني غامض بالبحرين أثاره أولاً أمر معاقبة حكامها العتوب، الذين كانت أسواقهم تتعامل في السلع التي يغنمها القواسم من السفن البريطانية وغيرها. وانتهى الأمر بالعتوب ـ شأنهم كالآخرين ـ إلى توقيع اتفاق/ ١٨٢٠ م. وما لبث هذا الاهتمام البريطاني الغامض بشئون البحرين أن تزايد حتى أضحى طاغياً واضحاً محدد المعالم مع نهاية هذه الفترة. أراد البريطانيون حصر قوات محمد علي باشا في الساحل حتى لا يمكنوا لها من الانتشار في خارج النطاق المرسوم لها من قبل السياسة البريطانية. وما لبثت البحرين بعد هذا أن أصبحت أهم ركيزة في السياسة البريطانية في المنطقة، لا تنازعها هذا المكان إلا جزيرة الخرج قرب الساحل الفارسي التي كانت تقوم في سياسة الخليج البريطانية بدور مماثل. ويرتبط بهذا أوثق ارتباط اهتمام البريطانيين بالساحل الشرقي من أفريقيا واقتحام مجال سياساته وبداية استثماره واستعماره. تعاظم الاهتمام الأمبريالي البريطاني بشرق أفريقيا خصوصاً بعد أن تم احتلال عدن في ١٢٥٥ هـ / ١٨٣٩ م، ذلك الاحتلال الذي اقتضته ملابسات إقليمية ودولية عديدة لعل من أهملها في المجال الإقليمي الأحداث التي كانت تغلي بها نجد وعسير، وفي المجال الدولي ازدياد التطلع الفرنسي نحو الشرق. ولم يستطع إمام عمان الذي كان يمثل أعظم قوة سياسية في الساحل الأفريقي إلا أن يستجيب للضغط البريطاني ويمتثل لمطرقة السياسة البريطانية التي غلّت يده في مجال السياسة الخارجية وأطلقتها في مجال الإدارة والحكم المحلي. كان الخيار الآخر لإمام عمان ـ إذا لم يتقيد بما يمليه البريطانيون ـ أن يفقد لا محالة وضعه في الإدارة والحكم على السواء أمام القوى المصرية العثمانية الضاغطة من اتجاهي نجد واليمن.

مثلت نجد في هذه الفترة أحد المحركات الهامة للسياسة البريطانية في المنطقة التي راحت تخطو في إيقاع هو في حقيقته صدى لخطوات القوة الزاحفة في قلب نجد، فإذا سقطت عنيزة للقوة المصرية التركية أسرع الإنجليز بعملياتهم العسكرية في عدن، وإذا تمكنت القوة المصرية التركية من الرياض أحكم البريطانيون الوثاق على البحرين وجزيرة الخرج ومسقط. ويمكن أن نقول إنه مع نهاية هذه الفترة تبلورت تماماً السياسة البريطانية في الخليج العربي، وتمخضت عن إصرار بريطاني جاد، مثلته الإدارة البريطانية في الهند، ووافقتها عليه لندن، على أن لا تشاركهم أية قوة دولية أو إقليمية النفوذ السياسي أو الوجود الأسطولي في منطقة الخليج العربي الذي بات منذ ذلك التاريخ حزاماً للأمن الهندي. ولا تعرف الهند الخليج ـ خصوصاً بعد أن تشكلت حكومة الهند في ١٢٧٥ هـ/ ١٨٥٨م ـ إلا منطقة أمنية يعني المساس بسياساته مساساً بأخص مجالات السياسة الهندية. واستمر هذا الإصرار يلازم السياسة البريطانية بشقيها في الهند وبريطانيا حتى مطلع هذا القرن، حين بدأت قبضة أمن الهند تنفرج لتفسح المجال للسلام البريطاني Pax Britanica الذي مثلته بريطانيا ولم يكن دور الهند فيه إلا ضئيلاً.

تشكلت في نهاية الأربعينات من القرن الماضي ـ الفترة التي نحن بصددها في هذا الفصل ـ خارطة الجزيرة العربية في نهاياتها الجنوبية والشرقية. واختلطت أحداث نجد مع المدى الذي تصل إليه مدافع البوارج البريطانية مع قوة نفوذ المقيمين البريطانيين في المنطقة، فشكلت ذلك الحاجز الضخم بين المناطق الداخلية من الجزيرة والمياه التي باتت بريطانيا المتحكم الأول فيها.

رحلة جورج فورستر سادلير:

تقرر منذ ١٢٣٣ هـ/ يونيو ١٨١٨م بشكل نهائي أن ترسل الهند البريطانية حملة على الخليج العربي لتضرب القواسم والقوى الوهابية الأخرى والمتعاونين معهم، خصوصاً بعد أن باتت الدرعية مشغولة بأمرها. وطلب نبيان

حاكم بومباي ، في ذي الحجة ١٢٣٣ هـ / سبتمبر ١٨١٨ م إلى موريا حاكم الهند السماح لبومباي بإرسال الحملة التي خططت لها لضرب القواسم[١] .

كان على الحملة المزمعة على القواسم أن تغير خريطة السيادة في الخليج العربي، ولهذا كان الرأي - حتى في بومباي نفسها - منقسماً تجاه ارسالها وواجباتها[٢]. وكان من رأي هاستنج Hastings (موريا سابقاً) الذي أصدره لحكومة بومباي في محرم ١٢٣٤هـ / نوفمبر ١٨١٨ م أنه يجب التريث في أمر الحملة المزمعة فهو يريدها حاسمة مؤثرة وليست كسابقاتها. وكانت الأخبار التي ترد من منطقة الخليج العربي في هذه الفترة تؤكد أن إبراهيم باشا قد أوشك على إن يتمكن من الدرعية، وأنه حين يتمكن منها سيسير بقواته إلى الإحساء ليصل إلى مياه الخليج. وتساءلت حكومة الهند عن جدوى دعوة إبراهيم للمشاركة في العمليات ضد القواسم، حيث يمكن أن يهاجمهم براً ويتولى البريطانيون الهجوم عليهم بحراً. ورأت الهند البريطانية أن تعرض على الباشا أن يضع حامية في رأس الخيمة نظير تعاونه معها. وقبل أن يستقر الرأي على شيء حاسم وصلت من مقيم بوشهر البريطاني أخبار تؤكد وصول القوات التركية المصرية إلى سواحل الخليج العربي.

طلبت بومباي إلى تايلور Taylor الوكيل في العربية التركية «أن يرسل لها تقريراً مفصلاً عن الموانيء التي تنطلق منها العمليات ضد المصالح البريطانية في الخليج ومصادر قوتها وكل ما يمكن جمعه من معلومات أخرى»[٣]، كما طلب نبيان إلى تايلور أيضاً أن يتصل بالسيد سعيد في مسقط وينظم معه صورة التعاون المخطط له من قبل الهند البريطانية بين قوة إبراهيم باشا وقوة السيد سعيد والقوات الأسطولية التي سترسل من الهند لمهاجمة أماكن «القرصنة». واستطاع تايلور أن يرسل هذا التقرير في عام ١٢٣٤ هـ / يناير ١٨١٩ م وضمّنه اطمئنان السيد سعيد للتعاون مع القوتين المصرية والبريطانية، وذلك لتأكيد تايلور لسعيد بأن لا يخشى من قوة إبراهيم باشا حبن تطرق أبواب عمان، فهي قوة

لدولة تدرك تماماً ـ على حد زعم تايلور ـ عمق الصلة التي تربط بين بريطانيا ودولة السيد سعيد، ولهذا فهي لن تجرؤ على التعدي على أرض عمان، وانتهى السيد سعيد في لقائه مع تايلور إلى التعبير عن اغتباطه بانتصارات الباشا في نجد وعدم ممانعته في التعاون أو لعب دوره وفق المخطط البريطاني. ولهذا كان لزاماً على الهند البريطانية أن ترسل أحد ضباطها إلى إبراهيم باشا لينسق التعاون بين الأطراف المختلفة.

أرسلت الهند المدعو جورج فورستر سادلير للقيام بهذه المهمة. غادر هذا الضابط بومباي في ١٩ جمادي الآخرة ١٢٣٤ هـ / ١٤ ابريل ١٨١٩ م، وكان يحمل خطابات إلى السيد سعيد وإبراهيم باشا. جاء في خطاب نبيان للسيد سعيد: «استلمت بسرور خطاب سموكم الكريم المؤرخ في ٣ ربيع الثاني والذي كان رداً على خطابي الذي أرسلته لسموكم مع الكابتن تايلور. وسعدت لعلمي بموافقة سموكم على الخطوات التي ترى الحكومة اتخاذها لتدمير قوة «قراصنة القواسم»(٤). ويستطرد الخطاب ليعرِّف بسادلير وبمهمته وبأنه في طريقه لإبراهيم باشا «للتشاور مع سموه في شأن الإعداد لحملة مشتركة ضد رأس الخيمة»(٥)، أما الخطاب المرسل إلى إبراهيم من هاستنج فقد جاء فيه: «لقد سررت بما نمي إلى علمي أخيراً من النجاح الباهر لجيوش الدولة العثمانية تحت قيادتكم شخصياً». ويستمر الخطاب ليقول: «عندما بلغني نبأ احتلالكم للدرعية وجدت أن الفرصة سانحة لتهنئتكم على شجاعتكم الباهرة، وحسن تقديركم، وإحكام الخطط التي يسير عليها جيشكم والتي أدت إلى تلك النتيجة العظيمة ألا وهي سقوط تلك القوة التي نمت نمواً سريعاً حتى أصبحت ذات خطر جليل وقد وقع على سموكم أمر إخضاعها»(٦). ويستمر الخطاب فيدعو الباشا إلى التعاون في حملة مشتركة ضد القوسم «يتعاون فيها الجيش الذي يقوده سموكم مع حملة أسطولية تقوم بها الحكومة البريطانية التي ستقوم بمجرد انتهاء فترة الرياح الموسمية بإرسال قوة أسطولية إلى الخليج... ويمكن لسموكم التعرف

على خطط تلك القوة للتعاون معها وذلك من الكابتن سادلير، الضابط الذي يظفر بتمام ثقتنا»[٧].

أما المهمة التي كلف بها سادلير أصلاً، فقد كانت ذات ثلاث شعب:

أولاً: «تهنئة الباشا على ما أصابه من نجاح، وأن تكون هذه التهنئة هي مدخل التعاون معه».

ثانياً: معرفة خطط الباشا التي يريد أن ينفذها واتجاهاته والتجسس على الجيش «التركي» في عدته وعتاده وقياداته وعسكره.

ثالثاً: «التشاور مع سموه للإجهاز تماماً على القوة الوهابية. وعليك أن ترمي بهذه الخطة إلى الباشا دون أن تظهر اهتماماً كبيراً بالأمر».

كما أن عليه أن ينسق بعد هذا، بين الباشا والسيد سعيد في ضرب آخر المعاقل السلفية في رأس الخيمة[٨].

لم يصل سادلير إلى مسقط إلا في ٧ مايو فقد أصابت سفينته رياح معاكسة أخّرتها. وحين وصل إلى مسقط وجد أن انتصارات إبراهيم قد سببت للإمام «الكثير من القلق وحركت في نفسه كوامن الغيرة. وقد كان الإمام يكثر الحديث عن الأعمال القاسية التي قام بها إبراهيم باشا ضد العرب». وفي مسقط أصاب سادلير أول فشل في رحلته التي منيت بالفشل حتى نهايتها. لم يستطع سادلير تحريك إمام مسقط في الاتجاه الذي ارتضاه سلفاً من التعاون مع قوات الباشا، وإن كان لا بد من ذلك فإنه سيتعاون مع الباشا بحملة بحرية بشرط أن لا يختلط رجاله برجال جيش إبراهيم «لما سيتسبب عنه ذلك من نتائج وخيمة». ولم يدرك سادلير لهذا التحول الواضح سبباً.

ويبدو في رأينا أن سعيداً قد حقق أكثر أغراضه التي كان يسعى إليها من وراء التعاون. فقد وصل إلى مسقط ـ حال وجود سادلير ـ بتال المطيري، قائد حامية البريمي المعيّن من قبل الدولة السعودية التي سقطت، وحوّل ولاءه للسيد

سعيد. ولم يكن السيد سعيد يريد في هذه المنطقة التي آلت إليه من نفسها دون كبير عناء سيطرة عثمانية أو مصرية، خصوصاً وأن كل الطرق التي كانت تخرج من الإحساء في اتجاه الساحل العماني تمر بالبريمي. وجد سعيد أن التعاون مع إبراهيم سيسلبه هذا النجاح الذي أصابه. كما وردت إلى سعيد أخبار مؤكدة بأن إبراهيم يعد العدة للقيام بهجوم على البحرين التي كانت مطمحاً للسيد سعيد، فكيف لسعيد أن يعاون إبراهيم في أمر يعود على خططه بالبوار؟ وتكشف مراسلات إمام مسقط مع فتح علي شاه فارس التي تعود إلى ذلك التاريخ أنه كان يلح في طلب مساعدة الفرس لاحتلال البحرين قبل أن تبلغها جيوش الباشا. ويؤكد هذا ما جاء في خطاب بتاريخ ٢٥ مايو ١٨١٩ م من ويتلوك، الوزير البريطاني في طهران، إلى حكومته قال فيه إن الإمام أرسل إلى الشاه خطاباً يشكو فيه من عدم وصول الدعم الفارسي المطلوب لهذه المهمة. ويذكّر الخطاب الشاه بوعوده السابقة في هذا الصدد، ويخطره بأن إبراهيم قد أرسل إلى شيوخ البحرين يطلب إليهم التسليم له وإداء الزكاة التي كانوا يؤدونها للسعوديين سابقاً[٩]، كما طلبت مراسلات الإمام إلى الشاه أن يبعث بسفارة إلى القاهرة لتحذر محمد علي من احتلال البحرين.

كانت مخططات بومباي لخريطة السيادة في الخليج العربي، بعد إخضاع القوى السلفية فيه تختلف عن خطط السيد سعيد. تبنّى نبيان رأياً أخفق في إقناع عضوي مجلسه به وهو مد نفوذ إمام مسقط حتى رأس الخيمة وإلحاق البحرين بسلطة الإمام أيضاً على أن تكون المنطقة الممتدة من رأس الخيمة حتى الكويت تحت السلطة المصرية التركية. وتذهب خطة نبيان إلى إقامة قاعدة بريطانية متقدمة في موقع إستراتيجي في الخليج العربي يتولى السيد سعيد أمر نفقاتها. لم يكن فرانسيس واردن WARDEN، سكرتير حكومة بومباي، راضياً عن خطة نبيان، ويدل تعليقه على هذه الخطة الذي أثبته بتاريخ ١٢٣٤ هـ / ٣ أبريل ١٨١٩ م على أنَّ البريطانيين في الوقت الراهن ليس لهم أية مطامع في المنطقة تبرر الخوض في سياساتها وتقسيم السيادة والنفوذ فيها بين القوى

المختلفة. وأضاف واردن بأن قبائل الساحل لن ترضى الخضوع لسلطة السيد سعيد، ولن تكون له القدرة على ضرب الثورات التي ستنشأ في المنطقة نتيجة لهذا التقسيم. ورفض واردن كذلك وضع البحرين تحت سيادة السيد سعيد ودعا إلى اعتبارها مستقلة تحت شيوخها من آل خليفة. وساق واردن حججاً تاريخية كثيرة تدلل على أن محاولات الإمام المتكرِّرة لاخضاع البحرين كانت تنتهي دائماً إلى الفشل. ويزداد الخلاف بين حاكم بومباي ومجلسه حول تقسيم السيادة على الجانب العربي من الخليج، ويرفع الأمر إلى الحاكم العام في مجلسه ليفتي فيه. وأجاب الحاكم العام في مجلسه بتاريخ ٢٨/ أغسطس بأنه لن يتخذ قراراً في هذا الشأن لأنه لا يعرف الكثير عن أحوال تلك المناطق . وخوّل الحاكم العام حاكم بومباي اتخاذ ما يراه مناسباً وذلك بعد مراعاة نقطتين جوهريتين هما: [١٠] .

ـ أنه من غير المرغوب فيه البتة أن تضع الهند قاعدة عسكرية لها في الخليج إلا إذا تكفل سلطان مسقط بكل نفقاتها، أو كان من الممكن تدبير أمر الانفاق عليها من مداخيل أخرى كالرسوم أو الضرائب.

ـ أنه يجب على حكومة بومباي أن لا تتدخل في سياسة المنطقة أو مسألة توزيع السيادة عليها إلا بقدر ما هو لازم لوقف «القرصنة».

غادر سادلير مسقط في/ ١٥ مايو إلى بوشهر ومنها إلى الساحل العربي ولم يستطع أن يصل إلى ميناء القطيف إلا بمساعدة من رحمة بن جابر «الذي يسكن الجزء الجنوبي بالقرب من مدخل ذلك الخليج الصغير».

وصل سادلير إلى القطيف في ٢٠ يونيو. يقول سادلير: «في القطيف تأخرت، أُعِدُّ العدة للرحلة. ولسوء الحظ فقد أستدعي الحاكم التركي. ولما لم يكن قد سلم مهامه بعد فقد اضطربت أمور الحكومة هناك تماماً. ولما وجدت أني لن أظفر بالحماية ولا بالمساعدة من الأتراك رأيت أن أفيد من الزيارة التي أتحفني بها مشرّف آل عريعر ابن أخ محمد بن عريعر شيخ قبيلة بني خالد»[١١] .

ساعد على فشل مهمة سادلير تأخره الدائم إذ لا نجده يخطو خطوة إلا وجد معاكسة من الظروف الطبيعية أو مشاكسة من نفسه. تأخر في رحلته من بومباي إلى مسقط بفعل الرياح، وتأخر في مسقط ولم يذكر لذلك سبباً حيث قال «استبقتني ظروف كثيرة في مسقط». وتأخر في الطريق إلى بوشهر، ولم يبلغ ميناء سيهات ويدخل القطيف إلا بمساعدة رحمة بن جابر، كما تأخر دون أن يذكر السبب عن مرافقه الضابط التركي المنسحب في اتجاه نجد[١٢]. وكان لهذا التأخير الدائم نتائجه على الرحلة وأهدافها التي لم يحقق منها إلا اليسير، خصوصاً وأنه لم يدرك الباشا إلا في آبار علي عند أعتاب المدينة المنورة. ولم تؤد مفاوضاته مع الباشا إلى شيء يذكر، وغادر من جدة في ٨ ربيع الثاني ١٢٣٥هـ/ ٢٣ يناير ١٨٢٠م وبلغ بومباي في ٨ مايو من نفس العام.

كانت الهند البريطانية في هذه الفترة التي قضاها سادلير في سياحته قد حققت هدفها من تدمير قوة القواسم، وربطت شيوخ الخليج بتعهدات انفرادية انتهت إلى اتفاق السلم عام ١٢٣٥ هـ/ يناير ١٨٢٠م الذي أكد التفكك السياسي في المنطقة فلم يعد بها شيخ صغير يتبع شيخاً كبيراً. وقد دخل شيوخ العتوب في البحرين في هذه التعهدات، واشتروا في غياب القوة السلفية المؤثرة، سلامة جزرهم في ١٢٣٦ هـ/ ١٨٢١م من إمام مسقط حين وافقوا على أداء ٣٠,٠٠٠ كرونة ألمانية زكاة سنوية للإمام في مسقط. كما وافق الإمام على أن يفكّ أسر شيخ عتبي كان محتجزاً عنده، وتعهد كذلك بعدم مهاجمة السفن البحرانية التي تتاجر مع الهند وتمر قبالة مسقط والتي اعتاد سابقاً أن يهاجمها ويصادرها[١٣].

المد السعودي في اتجاه الخليج العربي ١٢٣٤ - ١٢٥٤ هـ/ ١٨١٨ - ١٨٣٤م:

في أواخر ١٢٣٤ هـ/ ١٨١٩م رحل محمد بن مشاري بن معمّر من بلدة العيينة ونزل الدرعية، وسعى في عمارتها، وأعلن الدعوة، وأراد أن تكون بلاد نجد تحت يده بدعوى الإمامة. كاتب ابن معمر أهل نجد ودعا شيوخهم للوفود

عليه، فأطاعه أهل بلاد قليلة مما يلي الدرعية ووفدوا عليه فاستقر فيها واستوطنها[١٤]. واشتد أمر ابن معمر في ١٢٣٥ هـ / ١٨١٩م حين قدم في العاشر من جمادي الآخرة من هذه السنة ٢٤ مارس ١٨٢٠ مشاري بن سعود الكبير ونزل الوشم ثم سار إلى الدرعية ومعه عدة رجال من أهل القصيم والزلفى وثرمدا. فتنازل مشاري بن معمر لمشاري بن سعود ولكنه ما لبث أن انقلب عليه فغله وتقرّب به إلى القائد التركي أبوش أغا حيث أودع سجن القصيم وتوفي هنالك[١٥].

ثار تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود لابن عمه مشاري بن سعود وتمكن من الدرعية في ١٢٣٦ هـ / ١٨٢١ م[١٦]. ولكنه ما لبث أن غادرها أمام ضغط القوات المصرية إلى الحلوة. ودخلت قبائل نجد في فترة فتن وإحن، وثارات وانداحت دائرة الحروب الأهلية حين بدأ أمر تركي يشتد منذ ١٢٣٨ هـ / ١٨٢٢ م ثم استقر به الأمر عندما حاصر الرياض وتمكن منها في ١٢٤٠ هـ / ١٨٢٤ م[١٧].

لم يكن للرياض المنقسمة على نفسها دور محسوس في هذه الفترة في سياسة الخليج العربي، غير أن رحمة بن جابر العتبي الذي ظل يدين بالدعوة الوهابية، ويرفع لواءها في مياه الخليج العربي كان يمارس عملياته النشطه فوق مياه الخليج من مقره في الدمام. وحين بدأ السعوديون يستعيدون أنفاسهم في نجد هداهم تطلعهم التقليدي نحو الخليج العربي إلى دعم رحمة بن جابر وذلك اعتباراً من ١٢٤٠ هـ/ ١٨٢٤م، خصوصاً وأنهم كانوا يريدون القضاء على حكم آل عريعر امراء الخوالد في الإحساء[١٨]. وانجلى هذا الموقف عن معسكرين في منطقة الإحساء أحدهما معسكر شيوخ بني خالد الذين انضم إليهم أمراء البحرين تجمعهم المصالح المشتركة في وقف المد السعودي والقضاء على رحمة بن جابر، والمعسكر الآخر هو معسكر السعوديين الذين انضم إليهم رحمة لتحقيق أهدافه في البحرين، وأراد السعوديون أن يتخذوه

شوكة في جنوب آل بني خالد ومخلباً موجهاً تجاه البحرين. وبدأ الأمير تركي بن عبد الله من عام ١٢٤٠ هـ / ١٨٢٤ م يراسل أمراء الخليج طالباً إليهم تجديد البيعة له وتأكيد الولاء[١٩]. وقد خسر السعوديون أولى محاولاتهم في اتجاه الشرق في/ ١٨٢٦ م حين قام تحالف أمراء الخوالد والبحرين بمحاربة رحمة بن جابر. حاصر الخوالد رحمة برا وحاصرته سفن البحرين بحراً وقاتل رحمة قتالاً شرساً أودى بحياته حين انفجرت سفينته ثم غابت لتستقر في قعر الخليج[٢٠]. وبهذا سيطرت البحرين على الدمام.

وفي ١٢٤٥ هـ / ١٨٣٠ م جرت معركة السبية المشهورة حين خرج الأمير محمد بن عريعر وأخوه ماجد من الإحساء بأتباعهم وقبائلهم من الخوالد وقصدوا نجد لمحاربة الأمير تركي ورد التحدي السعودي. نزل هؤلاء خفيسة المهمري بين الدهناء والصمان وتقووا بجمع من البدو[٢١]. كان الشيخ ماجد قائداً محنكاً وثق الجميع بقيادته لكنه توفي في مسيره إثر علة قاتلة. ولم يكن محمد بالذي يوثق بحنكته العسكرية فتولى القيادة برغش.

أرسل الأمير تركي ابنه فيصل في جمع من القبائل الموالية للسعوديين لمنازلة أمراء بني خالد. واستطاع برغش أن يحقق بعض الانتصارات التي انساق وراءها ونسي أن يحرس مصادر المياه من خلفه. قام الأمير تركي في ١٢٤٥ هـ / ٢٣ مارس ١٨٣٠ م من الرياض في قوة قوامها ١٢٠٠ راجل وفارس، وحين وصل إلى ميدان المعركة أحاط بجيش امراء بني خالد من خلفهم فأصبحوا بين فكي كماشة حيث كانت جموع فيصل أمامهم. وهكذا غدوا وما ملكوا غنيمة سهلة حتى سميت الموقعة باسم «السبية». وهرب الشيخ محمد في قلة من أتباعه إلى الإحساء، ولحق به برغش، وسار تركي إلى الإحساء وتمكن منها كما تمكن من القطيف بعدها[٢٢].

العلاقة بين نجد والبحرين حتى ١٢٥٤ هـ/ ١٨٣٨م:

طلب الأمير تركي إلى الشيخ عبد الله بن أحمد شيخ البحرين أن يؤدي

الزكاة ويبايع على الولاء، وأن يدفع مبلغ ٤٠,٠٠٠ كرونة ألمانية عبارة عن قيمة عدد من الخيول كانت للسعوديين أمانة في البحرين، كما طلب إليه أيضاً الموافقة على تسليم قلعة الدمام إلى بشر بن رحمة بن جابر[٢٣]. أرسل الشيخ عبد الله إلى سلطات الخليج البريطاني يطلب إليهم دعمه ومساندتهضد تركي، خصوصاً وأنه كان يخشى من أن ينتهز أمير مسقط الفرصة للتعاون مع الأمير تركي لضرب البحرين. ولما لم يجد الشيخ استجابة من البريطانيين أرسل سفارة من بعض أهل الرياض لتعلن الولاء وتقديم البيعة[٢٤]. وقبلت البحرين بما أملته الرياض واشترطت على الرياض أن تحميها من كل تحركات القوى المضادة الأخرى[٢٥]. واستمرت البحرين تؤدي الزكاة حتى عام ١٢٤٨ هـ / ١٨٣٣م مرغمة، وذلك اتقاء لخطر الدمام التي صار بشر بن رحمة حاكماً عليها[٢٦] من قبل تركي وبموافقته[٢٧]. لم تصفُ الأمور للأمير تركي في الإحساء حيث تكررت ثورات محمد بن عريعر وشيعته بالرغم من سيرة تركي فيهم بالعدل وضمانه أمن المسالك لكافة الملل الإسلامية[٢٨]. وقد ساند هؤلاء تمرد مشاري بن عبد الرحمن حين انقلب على خاله تركي في ذي الحجة ١٢٤٩ هـ / مايو ١٨٣٤ م[٢٩]. هذا بالرغم من أن تركي كان قد تمكن من فرض سيادته على كل المنطقة الواقعة بين حدود الكويت حتى رأس الحد التي كانت كلها ـ خلا منطقة أبو ظبي ـ عاصمة الشيخ طحنون بن شخبوط، تدفع الزكاة له.

قام الأمير عبد الله بن أحمد شيخ البحرين ١٢٤٩ هـ / ١٨٣٣ م مع ابنيه ناصر ومبارك إلى بعض المناطق التابعة للبحرين في ساحل قطر،ولبثوا هنالك فترة يراقبون تحركات السعوديين عن كثب، ثم قرروا أن ينفضوا عنهم الولاء للسعوديين ويظهروا ما أضمروه من الخروج على قبضة نجد. أرسل عبد الله إلى إمام مسقط يخطره بما أضمر ويطالب إليه ألاّ يتدخل في الصراع الذي سينشأ بينه وبين تركي. بدأ الشيخ عبد الله يجمع العرب المعادين للأمير تركي ويوحدهم تحت رايته بالنقود وبالوعود[٣٠]. وكانت العماير من أبرز القبائل عداء

لتركي ، خصوصاً بعد أن أجلاهم عن مساكنهم في مجاورة القطيف، كما لجأ شيخ القطيف إلى حماية شيخ البحرين . وفي ١٢٤٩ هـ / بداية عام ١٨٣٤ م قامت مراكب البحرين تحاصر ميناءي العقير والقطيف فأرسل تركي إلى أهل رأس الخيمة ولنجة يطلب إليهم مناصرته[٣١] .

وفي ٢٩ ذي الحجة ١٢٤٩ هـ / ٨ مايو ١٨٣٤ م قتل مشاري بن عبد الرحمن بن محمد بن مشاري بن سعود خاله تركي وتولى الأمارة[٣٢] . وكان الأمير فيصل وقتها في القطيف يعمل على إسكات التمرد والشغب القائم ضد آل سعود. ولما بلغ فيصل في القطيف خبر مقتل أبيه خرج إلى الهفوف التي كان أميرها المعين من قبل تركي هوعمر بن محمد بن عفيصان[٣٣] . تجهز فيصل من الهفوف وخرج في اتباعه إلى الرياض وانتزعها من مشاري الذي لم يمض عليه في حكمها أكثر من أربعين يوماً. وقد اشترك بدور بارز في مناصرة فيصل عبد الله بن رشيد الذي سيكون له دور بارز في تاريخ المنطقة بعد ذلك . والجدير بالذكر أن هنالك الكثير من الشواهد التي تحدث عن وجود تنسيق بين الشيخ عبد الله حاكم البحرين وبين مشاري الذي دبر هذا الانقلاب[٣٤] . ولم يخفِ الشيخ عبد الله اغتباطه بخبر مقتل تركي فقام فور سماعه النبأ باطلاق المدافع ابتهاجاً وفرحاً[٣٥] . وانتهز عبد الله فرصة الاضطرابات التي تلت مقتل الأمير تركي ورجوع ابنه فيصل من القطيف إلى الرياض، فاستطاع عن طريق الرشوة أن يستولي على قلعة تاروت التي كانت تابعة للقطيف[٣٦] . وقد حاول الأمير فيصل أن يسترد هذه الجزيرة بالقوة في ١٢٥١ هـ/ ١٨٣٥ م وانتهت محاولاته بالفشل ، وعاد شيخ البحرين يحاصر ميناء القطيف مرة أخرى[٣٧] . وكان عمر بن عفيصان يجاهد في هذه الفترة لإقرار الأمن في منطقة الإحساء وتثبيتها على الولاء للسعوديين، فنازل العماير الذين حاولوا بقيادة مشرف استعادة سلطتهم في الاقليم . وجد العماير المؤازرة من بعض أفراد العائلة الحاكمة في البحرين التي بدأت بدورها تموج بالاضطرابات لوفاة الشيخ خليفة بن سليمان ابن أخي الشيخ عبد الله وشريكه في حكم البحرين[٣٨] وذلك في محرم

١٢٥٠ هـ / ٣١ مايو ١٨٣٤ م .

وصل إلى مسقط في أوائل ١٢٥٠ هـ / منتصف عام ١٨٣٥ م أحد تجار العرب الموسرين، يدعى عبد الله بن مشاري، حاملاً خطابات من أحمد باشا والي مكة إلى إمام مسقط وشيوخ العتوب في البحرين وإلى فيصل بن تركي . ورد في هذه الخطابات بأن باشا مكة قد اقطع عبد الله بن مشاري منطقة القطيف ويطلب إلى الجميع تمكينه من إقطاعه. استقبل إمام مسقط هذا التاجر بحفاوة وأعانه بالمؤن وبمركب يحمله إلى القطيف . أما فيصل فقد قام حال استلامه للخطاب الموجه إليه بإرسال قوة إلى القطيف لتأكيد سيادته عليها(٣٩) . خالف فيصل بهذا أوامر باشا مكة وهو الذي كان يرى أن له حقاً في توجيه فيصل على اعتبار أن فيصل ـ بالرغم من أنه يحكم المنطقة كحاكم مستقل ـ إلا أنه يؤدي مبلغاً رمزياً إلى محمد علي باشا(٤٠)، يمكن أن يفسر بأنه دليل على التبعية. ولم ينتظر عبد الله بن مشاري وصول قوات فيصل فهرب بجلده إلى تاروت التي كانت لا تزال تحت سيطرة البحرين. ويعتقد بعض موظفي الهند البارزين بأن باشا مكة كان يدرك سلفاً أن فيصل لن يتنازل عن القطيف، وأنه سيوجه قوة إلى تلك المنطقة في شمال شرق الجزيرة العربية وسيُشغل عن باشا مكة الذي يزمع إرسال حملة إلى جنوب غرب الجزيرة العربية دون خوف من تدخل فيصل. كما يبدو أن باشا مكة كان يقصد أن يزيد بهذا الأمر في حدة المشاكل بين عبد الله بن أحمد حاكم البحرين وبين فيصل حتى ينشغل فيصل به ويبعد خطره عن اتجاه الحجاز(٤١).

هدأت منذ ١٢٥١ هـ / صيف ١٨٣٦ م علاقات الشد بين الرياض والبحرين، خصوصاً بعد أن فشلت جهود الأمير فيصل في الحصول على مساندة مسقط وقبائل الساحل في غزو البحرين. اعتذر إمام مسقط بأنه لن يستطيع أن يقدم مساندة بحرية لإمام الرياض ضد البحرين إلا بعد استشارة المقيم البريطاني والحصول منه على موافقة مسبقة على هذا العمل. وفي الحقيقة فقد

كان إمام مسقط نفسه يخطط لضم البحرين بمساندة فارسية. وقد عرف الشيخ عبد الله بن أحمد بهذا المخطط حين وصلته إنذارات من فارس تهدده وتتوعده(٤٢). ولهذا جنح عبد الله بن أحمد إلى استرضاء فيصل وتحسنت العلاقة بين الجانبين وما لبثت أن توثقت بزيارة عبد الله إلى الرياض حيث أكرم فيصل وفادتهم(٤٣). ورضي فيصل باتفاق صلح مع حاكم البحرين دون أن يحقق كامل رغباته وذلك نتيجة لبداية تحرش القوات التركية المصرية بحدود نجد. توصل الجانبان النجدي والبحراني إلى اتفاق يقضي بأن يؤدي شيخ البحرين إلى الأمير ٢٠٠٠ روبيه زكاة سنوية على أن يقوم الأمير من جانبه بحماية البحرين من كل اعتداء خارجي(٤٤)، وبهذا تحسَّنت علاقات الطرفين بعضها ببعض.

العلاقة بين نجد والساحل العماني ١٢٣٦ - ١٢٥٤ هـ / ١٨٢٠ - ١٨٣٨م:

كانت قوة نجد الروحية أكبر من أن تقف دونها العوائق وكان لا بد للمد السياسي لنجد أن ينساح وراء ذلك المد الروحي. اتبع الكثير من عرب الساحل العماني الدعوة التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأخلصوا لها كما فصّلنا القول سابقاً. هرب بعض آل الشيخ من الدرعية بعد سقوطها إلى منطقة القواسم، ولا بد من أن وجود هؤلاء العلماء وغيرهم من الذين أرسلتهم الدرعية سلفاً إلى المنطقة لنشر الدعوة فيها كان له أثر بعيد في أن تظل الدعوة كامنة هنالك وأذنها في اتجاه نجد. وفي ١٢٤١ هـ / نوفمبر ١٨٢٥ م أعرب سلطان بن صقر شيخ القواسم في الشارقة للمقيم البريطاني عن قلقه من تزايد النفوذ السعودي في المنطقة، وطلب من المقيم أن تقدم له الحكومة البريطانية العون في حالة رفضه الرضوخ للأمير السعودي. وأجابه المقيم بأنه لا شأن لبريطانيا بخلافات البرّ وعليه أن يسوي أمره مع السعوديين بما يوافق مصالحه، فهو أدرى بها. غير أن المقيم قد أكد لذلك الشيخ بأن الحكومة البريطانية لن تقبل منه عذراً في إثارة الإضطرابات في مياه الخليج واستئناف «القرصنة». كما أخطره أنه سيخرج عن حدود «الصداقة» إذا حاول أن يساعد السعوديين ضد إمام

مسقط، وحذره كي ينأى بنفسه من موقف يضعه ذلك الموضع[٤٥]. وقد أكد الحاكم العام في مجلسه في الهند هذا الاتجاه مقرراً بأن الهند لا شأن لها البتة بما يجري في عمق الجزيرة العربية ولا بتحركات القوة السعودية وذلك طالما التزمت هذه القوة الساحل، ولم تتعداه إلى البحر. وأضاف القرار «إلا أنه من غير المرغوب فيه ألا نتدخل حين تبدأ المشاكل مع إمام مسقط»[٤٦].

بعد معركة «السبية» واستيلاء تركي على الإحساء والقطيف أرسل إلى شيوخ الخليج خطابات ودية يخطرهم فيها بما تحقق له من نصر. وقد أدى ظهور السعوديين على سواحل الخليج العربي في ١٢٤٥ هـ / ١٨٣٠ م إلى إثارة بعض المسائل السياسية في عمان المتصالح، حيث أصبح تقدمهم نحوه مرتقباً يتطلع إليه شيخا عجمان وأم القوين راشد بن حميد ومحمد بن راشد لأنه سيخلصهم من سيطرة شيخ القواسم سلطان بن صقر[٤٧]. ولم يكن الشيخ سلطان، شيخ القواسم، ينظر بارتياح للنمو المطّرد للقوة السعودية التي كان يخشى تأكيد سيطرتها على المناطق التي يحكمها. وبالرغم من أنه قد أخفى هذه المشاعر وادّعى أمام نجد أنه نصير للحركة الوهابية فإنه وجّه في ١٢٤٦ هـ / يوليو ١٨٣٥ م خطاباً للمقيم في الخليج العربي أبدى فيه حرصه الشديد على كبح نشاط السعوديين في المنطقة، وذلك حرصاً منه على «المصالح البريطانية». وادّعى الشيخ بأنه مصمم على الوقوف ضد السعوديين حتى لو لم تعطه المقيمية أي سلاح، ولم تسانده بأية قوة[٤٨]. ولم تساند سلطات الخليج البريطانية ولا بومباي هذا الشيخ، وأخطرته بأن كل ما يهمها هو كبح نشاط «القراصنة» في مياه الخليج و «لن نتدخل في الشؤون الداخلية».

هدأت مخاوف الشيخ الشارقي حين صرّح الأمير تركي بأنه لن يعترف في ساحل عمان بشياخة إلا لشيخ الشارقة، ورفض تركي أن يعين راشد بن حميد شيخ عجمان بالرجال وبالعتاد ليتولى مشيخة القواسم[٤٩]. كما رفض تركي في ١٢٣٧ هـ / ١٨٣١ م أن يأذن للشيخ راشد بإعلان الجهاد ضد أعداء الوهابيين

في البحر واحتج الأمير بأنه لن يستطيع مقاومة البريطانيين في البحر الذي هم سادته دون منازع(٥٠).

لم يكن امتداد السعوديين في ساحل عمان بالأمر السهل، إذ ربطت بين شيوخ هذا الساحل وبين بريطانيا ـ في غياب القوة السلفية المؤثرة ـ معاهدات ترى بريطانيا في استمرار نفاذها استمراراً لسيطرتها النامية في الخليج العربي. كان استمرار استقلالية هذه المشيخات وعدم إدماجها في قوة كبرى تشدها إلى الداخل يعني استمرار السياسة البريطانية التي عملت على فصل الساحل عن الظهير. ولما كان الأمير تركي يدرك طبيعة الارتباطات بين شيوخ الساحل والمقيم البريطاني فقد استعان بشيخ عجمان الموالي له لإقامة اتصال ودي بينه وبين حكومة بومباي. تلقى حاكم بومباي من الأمير السعودي رسالة عن طريق الشيخ راشد بن حميد شيخ عجمان مؤرخة في ٢٥ جمادي الأولى ١٢٤٧ هـ / النصف الثاني من عام ١٨٣١م، جاء فيها أنه يرغب في تجديد أواصر الصداقة واستئناف شروط الاتفاق الذي ربط بين البريطانيين والإمام سعود من قبل. ولم تجد سلطات بومباي أثراً لهذه الاتفاقية في أضابيرها ولكنها ردت عن طريق مقيمها في الخليج رداً يتسم بروح الود والصداقة(٥١). وجاء في كتاب حاكم بومباي إلى تركي: «وصلتنا رسالتكم المؤرخة في ٢٥ جمادي الأولى والتي سردت فيها علينا مجرى الأحداث التي وصلت بكم إلى رئاسة الطائفة الوهابية. وقد سررت بهذه الرسالة لأنها صادرة من صديق إلى صديق. إن ما تعرضه علينا من صداقة هو أمل متبادل سيظل قوياً وثابتاً، ونأمل من جانبنا أن لا يحدث ما يكدره»(٥٢).

وفي ١٢٤٧ هـ / ديسمبر ١٨٣١ م قام بعض قواسم عجمان بمهاجمة سفينة كانت في طريقها من كانجون إلى بوشهر فأسرع المقيم هنيل S. Hennell في عام ١٢٤٧ هـ / مطلع عام ١٨٣٢ م يطلب إلى شيخ الشارقة ـ باعتباره شيخاً للقواسم ـ التعويض عما قام به قواسم عجمان. ورد شيخ الشارقة بأنه غير مسؤول

عن سلوك أتباع مشايخ عجمان وأم القوين فقد كسروا طوق سلطته وانحازوا إلى السلطة الحاكمة في نجد . وارتدّ هنيل من الشارقة إلى عجمان وطلب إلى شيخها دفع التعويضات المطلوبة. وتنصل هذا الشيخ بأنه تابع للسعوديين ولا يملك أن يصدر قراراً في هذا الشأن . ولم تفد الذريعة إذ ردّ هنيل بأن الشيخ، بحكم موقعه ، عضو في الاتفاقية العامة ، وعليه يقع وزر تبعات خرقها. وأخيراً اضطر الشيخ أن يدفع(٥٣) . وشهدت المنطقة بهذا ميلاد مشيخة جديدة اعترف بها سياسياً شيخ القواسم والمقيم البريطاني . واستمرت بعد هذا العلاقات بين القوة السعودية الصاعدة وبين قوى الشيوخ المختلفين في ساحل عمان ودية ولم يخرج من هذا إلا شيخ أبو ظبي .

امتداد نجد تجاه عمان ١٢٣٦ - ١٢٥٤ هـ/ ١٨٢٠ - ١٨٣٨م:

بدأت علاقات تركي بعمان من خلال البريمي . واستمر نمو هذه العلاقات بطيئاً وذلك من جراء المسافة التي تربط بينهما وانشغال تركي في بداية عهده بتثبيت سلطته في ذرى نجد وربوع الإحساء، الركيزة التقليدية في التحرك تجاه عمان . وحين ضم تركي الإحساء في عام ١٢٤٥ هـ / ١٨٣٠ م وفد إليه بعض شيوخ عمان من المناوئين للسيد سعيد هناك وبقوا في معسكره، ثم تراجعوا بعدها واثقين من ازدياد قوة تركي ومقدرته الحربية. أما السيد سعيد فقد ساقه طموحه لإمتلاك البحرين إلى أن يرسل في ١٢٤٦ هـ / بداية عام ١٨٣١ م وفداً إلى تركي يسوق الهدايا طالباً منه المساندة والدعم لإخضاعها . وبالطبع لم يجد الوفد العماني استجابة(٥٤). وبدأت البحرين تؤدي الزكاة للسعوديين وتعترف بسلطتهم درءاً للمخططات العمانية الفارسية.

أمر الأمير تركي قائده عمر بن محمد بن عفيصان في ١٢٤٧ هـ / ١٨٣٢ م بأن يجهز جيشاً من الإحساء يسير به نحو عمان(٥٥). واستطاع عمر بن عفيصان أن يجيش قوة قوامها حوالى ٣٠,٠٠٠ رجل سار بها من الإحساء في ١٢٤٨ هـ / منتصف يناير ١٨٣٣ م ووصل إلى البريمي في ١٨ فبراير، حيث

عسكر هناك ولم يهاجم مسقط[٥٦].

رحبت الكثير من القبائل العمانية بالقائد النجدي، وأعلنت الولاء، وبايعت على الطاعة. ولم يبق للسيد سعيد إلا أن يرتمي في أحضانه أو أن يستعين بالسلطات البريطانية في الخليج لتدعمه ضده. سارع ابن عفيصان بالكتابة للسيد سعيد قائلاً بأنه ما جاء إلى هذه المنطقة إلا لدعمه ضد أعدائه، والعمل على مصلحة القبائل العمانية مجتمعة، وإعادة المنطقة إلى الأمن والسكينة. وفي الحقيقة فقد قصرت جهود ابن عفيصان ضد مسقط والمناطق العمانية الأخرى لخوفه من أن يقع عليه طحنون بن شخبوط، شيخ أبو ظبي، ويقطع خط امداداته إلى الإحساء حيث كان ذلك الشيخ مناوئاً للمخططات السعودية في المنطقة. واتت ابن عفيصان الفرصة في أواخر ١٢٤٨ هـ / أبريل ١٨٣٣ م حين عمت فوضى الاضطرابات مشيخة أبو ظبي بعد مقتل طحنون وتنازع شيوخ أبو ظبي على السلطة. ولم يتوان ابن عفيصان في اهتبال الفرصة[٥٧].

انجلت الاضطرابات في أبو ظبي عن خليفة بن شخبوط حاكماً في تلك المنطقة. شدد القائد السعودي ضغطه على السيد سعيد حيث طلب إليه صراحة الخضوع لسلطة الأمير تركي بن عبد الله وأداء الزكاة لدولته. ولم يجد السيد سعيد إلا أن يخاطب بليني Blane، المقيم البريطاني، مرة أخرى طالباً منه الدعم الذي سيمكنه من المقاومة. ورد بليني، بأمر من بومباي، طالباً إلى سعيد أن يسوي أموره مع السعوديين وأن ينتهج مع القائد السعودي خطاً تصالحياً. اضطر إمام مسقط للمصالحة فتعهد بأن يدفع زكاة قدرها ٥,٠٠٠ كرونة. وانتهت الأمور إلى اتفاق لتحديد الحدود بين الجانبين[٥٨]. جرى الاتفاق على أن تكون المنطقة التي تلي الجعلان في اتجاه القطيف للسعوديين، أما المناطق التي هي دون الجعلان فهي خالصة للسيد سعيد. واتفق الجانبان على أن يتولى كل منهما ضبط شئون القبائل، وتنظيم الإدارة والحكم، وحراسة المناطق التي آلت إليه بموجب الاتفاق. وقام الجانبان بإبرام اتفاق آخر يقضي بأن يدعم كل منهما

الآخر في حالة قيام تمرد قبلي في المقاطعة الواقعة تحت نفوذه بموجب الاتفاق الأول. أرسل إمام مسقط إلى المقيم البريطاني يخطره بالاتفاقين، وحمل غلام حسين مبعوث الإمام العماني للمقيم رأي الإمام من أن تنفيذ الاتفاق الثاني مرهون بما تراه الحكومة البريطانية في هذا الشأن. وفي الحقيقة لم يكن للحكومة البريطانية في الهند من مصلحة في ازدياد حدة الاضطرابات في المنطقة، بل إنهم جهدوا في تحسين العلاقات بين نجد وعمان بشرط ألّا يدخل الأمير العماني بصفة كاملة في سلة السعوديين ثم يرتكب ما يسيء إلى الأهداف والمصالح البريطانية. وافق المقيم على هذين الاتفاقين. وحذرت سلطات الهند البريطانية السيد سعيد بعدئذٍ بأن عليه أن يمتنع تماماً ـ في ما يخص إعمال الاتفاق الثاني ـ من أن يزج بنفسه في أي حرب خارجية يكون السعوديون طرفاً فيها، خصوصاً في ما يتصل بالعلاقات الحربية بين السعوديين وبين محمد علي باشا «الذي ربما يقوم قريباً بشن حملات في نجد»[٥٩].

لم تقف بومباي ولا كلكتا موقف العداء الصريح للامتداد السعودي في عمان هذه المرة. رأى بعض ساسة الهند أن سقوط عمان في أيدي السعوديين لا يعني بالضرورة استئناف القرصنة، بل يمكن أن يعين ذلك في حماية تجارة بريطانيا في المنطقة نتيجة للتجانس الذي سيفرضه السعوديون في سياستها. قررت سلطات الهند السياسية عدم التدخل طالما احترم السعوديون العلم البريطاني وامتنعوا عن «إثارة الشغب» في البحار. وعلى هذا قررت الهند أن على حاكم مسقط أن يواجه قدره بنفسه. رأت الهند البريطانية أنه إذا استأنف السعوديون «القرصنة» فإن كبحها سيكون أيسر من تدخل قواتها لمساندة صاحب مسقط كلما هدد السعوديون سلطته، وكثيراً ما كانوا يفعلون. وخلصت سلطات الهند إلى تفضيل التعامل مع حاكم واحد يدرك سطوة بريطانيا على التعامل مع مسقط ومجموعة من الشيوخ. قررت الهند البريطانية نفض يدها عن التحالف الوثيق مع سيد مسقط، وذلك عملاً بقرار الحكومة العليا في كلكتا[٦٠]. وكتب تريفيليان Trivellian، سكرتير حكومة كلكتا، إلى بومباي في أواخر ١٢٤٩ هـ/

فبراير ١٨٣٤ م بأن «الحاكم العام في مجلسه غير مستعد على الموافقة لتوظيف الأسلحة البريطانية بغرض الحفاظ على تكامل أراضي إمام مسقط. فإذا قدر لنا أن نعلن ارتباطنا وإعلان نوايانا بدعم ذلك الشيخ فسيصبح لزاماً علينا تنفيذ التزامنا مهما كانت التضحيات، وسيصبح من المستحيل علينا أن نضع حداً للدماء التي ستهرق والأموال التي ستنفق في سبيل تحقيق هذا الالتزام»[٦١]. ويستمر الخطاب ليقول: «إنه من الواضح لنا أن الوهابيين قد أصبحوا قوة كبيرة وأن الإمام (في مسقط) قد اعترف بهذه الحقيقة فدخل معهم في اتفاقيات فرعية. فإذا لم نتدخل نحن وتركنا كلتا القوتين وشأنهما فسينشأ بينهما شعور مشترك لخدمة أهدافهما، وربما يدعوهما هذا الشعور المشترك لتسوية الخلافات التي تثور بينهما دائماً. أما إذا قدمنا عرضاً بالمساندة العسكرية للإمام (في مسقط) فإنه سيعتمد علينا ويتحلل عن اتفاقاته التي دخل فيها مع الوهابيين، وستلف الاضطرابات ـ نتيجة لهذا ـ مناطق شاسعة لا نستطيع التعامل معها بسبب القيظ الشديد وقسوة الطبيعة في تلك المناطق. وسنجد أنفسنا نحارب قوماً شجعاناً ليس لنا نحن بالذات أي سبب يدعونا للتعارك معهم». ويستمر تريفليان فيقول: «إن السلم البحري هو كل ما يهمنا في تلك المنطقة. فإذا أمكن الحفاظ على هذا السلم فلا يهمنا إن بسطت هذه القوة أو تلك سلطتها على الخليج. وحتى إذا استولى الوهابيون على ميناء مسقط ـ وهذا أمر بعيد الاحتمال في تقدير الإمام ـ فلا يعني هذا أنهم سيبدأون القرصنة. إنه من المعتقد أن الوهابيين قد خبروا وتعلموا ووعوا تماماً من دروس الحوادث الماضية التي وقعت في الخليج إن لنا فيه هيمنة بحرية، ولهذا فإنهم سيخشون لمس جانبنا بما نكره. وحين يسيطر هؤلاء على تلك الأرجاء فإنهم سيسعدون حين يسعون إلينا بالصداقة، وسيراعون كذلك الصداقة التي تربط بيننا وبين الإمام في مسقط. إن القواسم وعرب الخليج ومؤسساتهم المختلفة يدركون أننا ما عدنا نسمح لهم «بالقرصنة». إنهم يعرفون تماماً مقدرتنا على إنزال العقوبة بهم ولهذا فإنهم لن يقدموا على تلك الأعمال. ولكن ـ بناءً على أسوأ الافتراضات ـ فإذا

حدث أن تدخل هؤلاء لتعكير السلم، وقاموا بالقرصنة، وأعاقوا سير التجارة في الخليج، فإنه من المعتقد لدينا بأنه من الأسهل لنا والأوفر، أن نقوم بتعقبهم وضربهم، بدلاً من أن نتولى أمر الدفاع عن إمام مسقط ضد أعدائه. إننا سنقوم حينئذٍ بالتحقيق في كل حالة قرصنة تقع هنالك وسنتعامل معها بالصورة التي نراها مناسبة. أما الحالة الأخرى فستدخلنا في دوامة حرب دائمة وغمار سلسلة متصلة لا نستطيع أن نتبين عواقبها. إننا في الحالة الأولى سنتصرف واثقين بما لنا من تفوق بحري، وستكلل مساعينا في هذا الصدد ـ إن شاء الله ـ بالنجاح. أما في الحالة الثانية فإننا سنتبع طرقاً خاسرة. سنحارب الوهابيين في أرضهم، وسندخل بذلك في عداء لا مبرر له ضد قوم أقوياء أحرار، وندخل بهذا في دائرة مصاعب لن نخرج منها غانمين». وينتهي الخطاب إلى القرار التالي: «وعلى العموم فإن سعادته في المجلس يرى بأنه من حسن الحظ أنه لا يوجد اتفاق تحالف بيننا وبين إمام مسقط. ولهذا يُطلب إلى السلطات البريطانية في الخليج أن تراعي بصورة تامة الحياد في كل نزاع ينشأ بين الإمام (في مسقط) وجيرانه في تلك المنطقة. ان الرد الذي أرسله بليني يتميز بحكمة بالغة، وإذا اتبع الإمام (في مسقط) الخط الذي أوصى به بليني فإنه لن تنشأ هنالك صعوبات خطيرة في علاقاته مع حلفائه الجدد»[٦٢].

استؤنفت الخلافات مرة أخرى في ١٢٤٩ هـ/ ١٨٣٤ م عندما اغتيل سعود بن علي والي الرستاق، فتحرك حمود بن عزان حاكم صحار واستطاع أن يستولي على قلعة الرستاق. وأدت وفاة محمد بن ناصر، تميمة بني جابر، التي حدثت في ربيع هذه السنة أيضاً إلى إضعاف قوة السيد سعيد حيث كان الأخير يعتمد عليه في التأثير على قبائل المناطق الداخلية من عمان. خشي البريطانيون أن تزداد قوة حمود بن عزان وتفوق قوة الشابين اللذين يحكمان مسقط نيابة عن السيد سعيد. قام المقيم البريطاني إلى صحار وطلب إلى حمود بن عزان أن لا يحدث اضطرابات وفوضى في عمان، وأنذره بأنه حين يقدم على ذلك، فستعتبره الحكومة البريطانية عدواً، وستعامله وفق ذلك الاعتبار. لم يهتم

حمود، وسار بعملياته العسكرية واستولى على قلاع وبروج السويق، وأصبح الهجوم على بركة ومسقط متوقعاً. زادت قوة حمود كثيراً وأصبحت قوة ابن الإمام وابن أخيه في تضاؤل حيث كانت تنقصهما الحنكة السياسية والدراية الإدارية. وبدلاً من أن يهتم الأميران بهذا الخطر الماثل انتهزا فرصة الاضطرابات التي تلف المنطقة، وحركا بعض بطون القواسم وآل بني ياس والنعيم ضد السعوديين(٦٣). وتوالت موجات الاضطرابات وتعالت حدتها فتحرك النائب السعودي في البريمي بعد أن كتب إلى المقيم في ذي الحجة ١٢٤٩ هـ / ١٠ أبريل ١٨٣٤ م خطاباً يشرح فيه الأمور المتفاقمة ويبلغه بأن «تركي بن سعود» هو السلطة الشرعية المعترف بها في كافة أرجاء الجزيرة العربية، وعند كافة القبائل العربية البدوية والمتحضرة التي تسكن الجزيرة العربية وأطرافها(٦٤).

واغتيل الأمير تركي في هذه الأثناء وبدأت فترة حكم فيصل الأولى. مارس الأمير فيصل سلطة والده في البريمي وساحل عمان، وأعاد تعيين سعد بن مطلق المطيري أميراً على المنطقة. وبنى سعد في البريمي قصراً سعودياً جديداً ليزيد في تحصين قواته.

عاد سلطان مسقط من زنجبار ليعالج الوضع الأمني المتدهور في أرضه. واستطاع في ١٢٥٢ هـ / ١٨٣٦ م أن يصل إلى اتفاق مع سعد بن مطلق. الوالي السعودي على البريمي، يقضي بطرد حمود من صحار والرستاق وتوابع مسقط الأخرى. واستطاع سعد أن يجمع قوة مؤثرة من القبائل الموالية لحكومته بلغت حوالي ٢٠٠٠ شخص. قامت هذه الحملة بالإغارة على سواحل الباطنة وأطبقت على صحار براً، بينما تولى السيد سعيد محاصرة المدينة بحراً. وما لبث السيد سعيد أن تراجع وفك الحصار عن المدينة خشية أن تخرج المنطقة من يد حمود لتدخل في قسمة السعوديين(٦٥). وأبحر الإمام العماني بعد ذلك عائداً إلى الشق الأفريقي من سلطنته(٦٦)، بينما عزل فيصل قائده المطيري عن قيادة العمليات هناك.

الأتراك المصريون في نجد وسياسة الخليج العربي:

كانت جيوش محمد علي باشا مصر تتعثر فوق جبال عسير وفي أوديتها، فأراد الباشا من الأمير فيصل أن يدعم جهوده الحربية هناك ويدعم جهود قادته العسكريين لكسر شوكة قبائل عسير. كتب محمد علي في ١٢٥٢ هـ / ١٨٣٦ م إلى فيصل يطلب إليه المسير للاجتماع بالقادة العسكريين التابعين له في منطقة الحجاز. توجس فيصل من هذه الدعوة ولم يعمل على تلبيتها ولكنه أرسل أخاه جلوي إليهم مثقلاً بالهدايا(٦٧).

أعدت في هذا الوقت قوة مصرية كبيرة للمسير إلى نجد مما يدل على نية الباشا المبيتة في اقتلاع فيصل من سدة حكمه. كان هدف الباشا واضحاً منذ البداية فهو يريد في نجد قوة تساند قواته وتساعدها في إنجاز هدفها النهائي الذي يقضي باحتلال عسير، لا قوة تدعم عسير بالمساعدات وتمدها بالمؤن وتقوي في عضدها. ومن هنا كان تصميم الباشا على أن يأتي بخالد بن سعود حاكماً على نجد(٦٨). وبالرغم من الرسائل المتكررة والمتواترة من الأمير فيصل إلى الباشا التي أعلن فيها الولاء للدولة إلا أن الباشا مضى قدماً في تنفيذ ما أزمعه.

وصل خورشيد باشا في ١٢٥٤ هـ / ١٨٣٨ م في حملة منظمة ضد الرياض تراجعت قوة فيصل أمامها. لجأ الأمير إلى الخرج أولاً ثم خرج منه إلى الإحساء وقصد الرقيقة. وهنالك ظهر له عمر بن عفيصان، واليه على الإحساء، في جمع من أعيان المنطقة وأعادوا له تأكيد البيعة والولاء(٦٩). وكان ابن عفيصان يعمل في هذه الفترة جاهداً لكي تبقى الإحساء على ولائها للأمير، وقد تمكن بالفعل من رد قبيلة العماير إلى الهدوء بعد أن حاربها لأنها أيدت الأتراك المصريين.

رجع الأمير فيصل مرة أخرى إلى الخرج حين أصاب بعض أنصاره في ذلك الإقليم نصراً على جيوش خورشيد وخالد. ولحق عمر بن عفيصان بإمامه فيصل في جنود كثيرة ونزل السلمية من أعمال الخرج. والتحم ابن عفيصان مع القوات الغازية في يوم ٧ رمضان ١٢٥٤ هـ / أواخر ١٨٣٨ م ولكنه اضطر إلى التراجع

مرة أخرى إلى السلمية، وهناك أحس بتخاذل جنده الذين بدأوا يتفرقون عنه ولم يمض على هذه المعركة التي خاضوها إلا أسبوع واحد فقط[٧٠].

كان فيصل في هذا الوقت في الدلم محاصراً بثلاثة جيوش: جيش خورشيد، وجيش خالد، وقوة من جماعات البدو المناوئة التي نظمها خورشيد[٧١]. واضطر فيصل إلى التسليم وانتهت فترة حكمه الأولى حين سيق أسيراً إلى القاهرة في ٢ شوال ١٢٥٤ هـ / ١٩ ديسمبر ١٨٣٨ م.

عندما بلغ ابن عفيصان أمر تسليم فيصل غادر الماء الذي كان نازلاً عنده في إقليم الخرج وقصد الإحساء مسرعاً[٧٢]. وقام خورشيد بعد يومين من إبرام الصلح مع فيصل بالاتصال بابن عفيصان وأعيان أهل الإحساء طالباً إليهم القدوم إليه ومبايعته على الطاعة. سار أعيان الإحساء ورؤساؤها إلى خورشيد باستثناء عمر بن عفيصان الذي فرّ إلى ناحية قرب العقير وأبحر منها بعد ذلك إلى البحرين التي بقي فيها فترة ثم تركها إلى الكويت[٧٣]. وعين الباشا أحمد بن محمد السديري حاكماً على الإحساء[٧٤].

عين خورشيد باشا أحمد السديري أميراً على الإحساء، وأرسل معه إلى جانب رجاله من سدير قوة من الجند بقيادة خزام المغربي، ثم ما لبث أن أمده بدفعة أخرى من الجند بقيادة الفاخري، أحد القواد المغاربة، وذلك لتعزيز القوة التركية المصرية في الإحساء.

الرأي البريطاني في الامتداد التركي المصري إلى الخليج:

ومع وصول القوات التركية المصرية إلى مياه الخليج العربي بدأت السياسية البريطانية تراجع خططها، واجتهد ساستها، فرأى بعضهم أن امتداد قوة والي مصر إلى سوريا والعراق والخليج العربي قد يكون مفيداً للأهداف البريطانية، حيث إن هذه القوة قد تتحد مع القوة الفارسية ويُكوِّنان معاً سداً ضد أطماع روسيا في المنطقة. وورد احتمال ثانٍ وهو أن اتحاد هاتين القوتين قد

يكون مُضِرّاً بالمصالح البريطانية إذ قد يولد هذا التزاوج قوة بحرية تربط بين ساحلي الخليج العربي وتقف ضد المصالح البريطانية فيه. يدور أصحاب هذا الرأي الأخير حول أن فارس في أعمها مسلمة، وبرغم اختلاف المذاهب والأحزاب الإسلامية في المنطقتين إلا أنهما قد تلتقيان عند هدف مقدس يحتم عليهما طرد النصارى من الهند التي بها عدد كبير من المسلمين. كما لم يستبعد هؤلاء الساسة احتمال أن ينصرف تحالف القوتين المسلمتين ضد روسيا لتخليص مسلميها من ربقة الروس. ورأى بعض الساسة البريطانيين كذلك احتمالاً ثالثاً وهو اتفاق مصر مع روسيا على اقتسام فارس، الأمر الذي سيسبب لسلطات الهند البريطانية مشاكل متأزمة. وخلص هؤلاء جميعهم إلى نتيجة فحواها أنه ليس من الحكمة أن يشجع محمد علي باشا على التوسع(٧٥) في اتجاه الخليج.

كان بالمرستون Palmerston مقتنعاً تماماً بأنه يجب مناهضة امتداد محمد علي، ليس فقط على سواحل الخليج العربي، إنما في كل مكان خارج مصر. كتب بالمرستون إلى كامبل Cambell ممثّله في مصر في ١٢٥٣ هـ / ٨ ديسمبر ١٨٣٧ م بعد أن بلغه أن إبراهيم باشا قد خرج منذ ٢٥ أكتوبر في حملة إلى سوريا لكي يبلغ الباشا بأنه قد «وصلت معلومات تفيد بتحركات قواته في جبهتي سوريا والجزيرة العربية»، وأن هذه التحركات لتدل على نوايا الباشا في مد نفوذه تجاه الخليج العربي وباشوية بغداد. وطلب بالمرستون إلى ممثله في مصر أن يخطر الباشا صراحة بأن الحكومة البريطانية لن تستطيع التغاضي عن نواياه. سلم كامبل هذه الرسالة إلى محمد علي في ذي القعدة ١٢٥٣ هـ/ أوائل فبراير ١٨٣٨ م. وأنكر الباشا كل اهتمام له بباشوية بغداد، وأفاد بأنه لا يعرف دولاً بعينها في الخليج إلا دولة مسقط التي يحمل لحاكمها الموقر المستنير كل احترام. وأضاف الباشا بأن الهدف الذي يسعى إليه هو إصلاح الأمور في الجزيرة العربية، «وربما أن مسقط تحكم بشكل فعال وجيد، فإنه لا يخطط للظفر بها»(٧٦).

وفي الأسبوع الثالث من مايو ١٨٣٨ م/ ١٢٥٤هـ أبلغ محمد علي كامبل بأن نجد قد دانت له حتى أطرافها في الشرق. وأرفق مع رسالته رسالة من فيصل مؤرخة في ٩ ذي القعدة ١٢٥٣ هـ / ٤ فبراير ١٨٣٨ م جاء فيها تعهده بالطاعة واعترافه بالسيادة لمحمد علي، والتزامه بمعاقبة كل العصاة، ومساندته للجهود الحربية في عسير، واستعداده لاستخلاص البصرة للباشا إذا رغب في ذلك. أرسل كامبل بهذه الأخبار وبخطاب فيصل إلى بالمرستون في لندن. كما وصلت أخبار أخرى إلى لندن في أوائل يونيو تفيد بتوالي انتصارات جيوش الباشا في نجد. كتب هوبهاوس Hobhouse في ١٢٥٤ هـ / ٩ يونيو ١٨٣٨ م إلى أوكلاند G.E. Auckland حاكم الهند يطلب إليه النظر عاجلاً في إرسال قوات هندية إلى البحر الأحمر واحتلال ثغر عدن، كما وجه نظره إلى وجوب احتلال جزيرة الخرج (خاراك) لتكون بمثابة قاعدة بريطانية تنطلق منها الجيوش في اتجاه باشوية بغداد والمناطق الأخرى في المنطقة في حالة إعلان الباشا استقلاله عن الدولة العثمانية[٧٧].

عملت الحكومتان البريطانيتان في بريطانيا والهند بتنسيق تام بهدف وقف المد التركي المصري في المنطقة. بعث بالمرستون إلى كامبل في ١٢٥٤ هـ / ٢٩ نوفمبر ١٨٣٨ م يطلب إليه أن يؤكد لمحمد علي مرة أخرى أن الحكومة البريطانية تود جادة أن لا ترى قواته على ساحل الخليج العربي. وقابل كامبل بوغوص باشا وأخطره بفحوى الرسالة. وطمأن بوغوص كامبل نيابة عن محمد علي الذي كان وقتها في رحلة تفقدية إلى السودان بحسن النوايا. وقد حظيت هذه السياسة المتشددة باهتمام وتشجيع الملك وليام الرابع الذي أبدى في نوفمبر من هذا العام اهتماماً شخصياً بهذا الأمر[٧٨].

كتب بالمرستون إلى أوكلاند في الهند يطلعه على نسخة من رسالته إلى كامبل. وأحال أوكلاند بدوره الرسالة إلى هنيل مقيم الخليج وأمره بأن يتبع كل السبل وكافة الأساليب لإبعاد خورشيد باشا عن دروب البحرين، والتدخل في

شئونها. ونهى أوكلاند المقيم عن الاشتباك العسكري المباشر مع قوات خورشيد لأن هذا الموضوع هو موضوع امبريالي بحت لا يهم حكومة الهند بقدر ما يهم حكومة لندن التي يقع عليها عبء التعامل معه[٧٩]. وفوّض هذا الخطاب المقيم لكي يبذل لشيخ البحرين كل التأكيدات اللازمة بالمساندة البريطانية، وأن يدعمه فعلياً دعماً يجعله قادراً على الوقوف في وجه خورشيد.

العلاقة بين حكام نجد والبحرين ١٢٥٤ - ١٢٥٧ هـ / ١٨٣٨ - ١٨٤١م:

قام خورشيد في ٣ ذي القعدة ١٢٥٤ هـ / ١٨ يناير ١٨٣٩ م بتعيين محمد رفعت وكيلاً عنه لتنفيذ مخططاته في منطقة الخليج العربي، وأرسل معه إلى الإحساء قوة من المشاة، و٣٠٠ «فداوى» تحت قيادة الفاخري المغربي، وجعل وجهتها القطيف وسيهات والعقير. زوّد خورشيد وكيله برسائل إلى آل خليفة في البحرين. ولم يهتم آل خليفة بالرد على هذه الرسائل، وطفق الرسول من البحرين إلى بر فارس حيث تمكن من شراء المؤ ن اللازمة من بر وشعير ورجع إلى الإحساء[٨٠].

حرص خورشيد على إنجاح مخططاته للإستيلاء على منطقة أعالي الخليج العربي، فطلب إلى محمد علي باشا والي حكومة الحجاز مده بقوات أخرى من جدة عبر البحر الأحمر إلى القطيف. وبقي خورشيد في نجد ينتظر وصول أربع سفن مسلحة كان قد وعد بها لتحمل له السلاح والذخيرة. وأرسل خورشيد، في هذه الأثناء، الرسل إلى الكويت والمحمرة ومناطق أخرى في الخليج للإعلام بانتصاراته، ولجلب المؤ ن والحبوب[٨١].

رفضت القاهرة الاستجابة لخورشيد باشا وذلك «بسبب بعض المحذورات». أزعج هذا الرد خورشيد إذ كان غير مدرك للاعتبارات التي استوجبته، والتشدد البريطاني الذي أملاه، فأرسل إلى القاهرة يطلب توضيح المقصود «بالمحذورات» التي تحول دون إرسال القوة البحرية إليه عن طريق البحر الأحمر عبر الخليج العربي. كتب خورشيد «أن في خطابكم العالي

تقولون إن إرسال السفن محذورات، فقد حصل لنا قلق بال واضطراب فكر من هذه الجملة فنرجو إيضاح الكيفية لنا مفصلة حتى نجري بموجب تلك الإيضاحات. سيدي»[٨٢].

لا شك أن «المحذورات» كانت أكبر من أن يدركها خورشيد باشا الذي كان رجل جندية لا رجل سياسة. كان إرسال قوة عبر بحار الشرق تحدياً سافراً لأكبر قوة بحرية دولية في ذلك الوقت تقوم استراتجيتها على أن تظل البحار، خصوصاً بحار الشرق ومساراتها إلى الهند، رهناً بأسطولها، وأن تظل مفاتيح مضايق البحار في يدها. وكان على أية قوة تخرج من جدة لتصل الإحساء بحراً أن تعبر باب المندب وتجتاز مضيق هرمز، وهو أمر ما كانت لا تجرأ على التفكير فيه أية قوة دولية في ذلك الوقت دون أن تثير الأسد البريطاني.

وكان الوضع الهندوبريطاني المؤثر في الخليج العربي قد زادت قوته بوجود قوات بريطانية في جزيرة الخرج (خاراك) منذ ١٢٥٣ هـ / يونيو ١٨٣٧م، جاءت من الهند لمقاومة الامتداد الفارسي تجاه هيرات. ظلت هذه القوات مرابطة في تلك الجزيرة حتى بعد أن فشلت المحاولات الفارسية وتراجع الشاه عن هيرات وبقيت رابضة هنالك لمواجهة الامتداد التركي المصري إلى الخليج[٨٣]، كما كانت عدن تفقد في تلك الأيام حريتها أمام الطغيان البريطاني المتزايد لوقف النابليونية الجديدة التي مثلها محمد علي.

أرسل خورشيد باشا في ٢٤ ذي القعدة ١٢٥٤ هـ/ ٩ فبراير ١٨٣٩م جوزيف ارتون J. Arton، طبيبه الخاص، إلى هنيل المقيم في الخليج. جاء في رسالة خورشيد لهنيل التي حملها ارتون بأن السلطة في نجد قد عادت لمحمد علي باشا مرة أخرى، وأن البحرين كانت تابعة للسعوديين، وهي، بهذه الصفة، سترغم على الدخول في سلطة والي مصر. وعليه فإن جيوش الباشا ستهاجمها إذا لم تستسلم صلحاً وذلك بهدف ردها إلى الطاعة «فهي جزء من نجد التي هي تحت ولاية مصر»[٨٤]. وطمأن خورشيد باشا المقيم البريطاني

بأن أهل البحرين الذين لهم ارتباطات تجارية مع البريطانيين سيجدون منه كل العون. ولم يرد هنيل على الرسالة وقتها ورجع ارتون إلى سيده لا يحمل إلا خموراً وأشياء أخرى كان خورشيد قد كلفه بحملها[٨٥].

قام محمد رفعت بعد أن ضبط الإحساء والقطيف بإجراء دراسة شاملة لأحوال المنطقة وزار البحرين بشخصه في غرّة ذي الحجة ١٢٥٤ هـ / ١٥ فبراير ١٨٣٩ م، ومكث بها أسبوعاً كاملاً. كتب محمد رفعت تقريراً طويلاً جاء فيه أن البحرين ذات أهمية قصوى لاستقرار الأحوال في القطيف والإحساء. فهي أجود ميناء في المنطقة بالمقارنة مع ميناء القطيف الذي لا تستقر مياهه على حال، وميناء العقير الذي هو ميناء الإحساء ومع ذلك لا يوجد به «بلد» ولا ماء صالح للشرب. وأضاف التقرير أن سفن الهند تفد إلى البحرين، وأن قوارب البحرين التي كانت تنقل المتاجر إلى القطيف امتنعت عن القدوم وأصبحت ترسو عند قلعة الدمام الواقعة تحت سيطرة مبارك بن عبد الله بن أحمد، ابن أمير البحرين. وذكر التقرير أن البحرين كانت تابعة للأمير السعودي فيصل بن تركي. وأفاد التقرير كذلك بأن الأمير عبد الله بن أحمد أمير البحرين وأهله يمتنعون عن الدخول في الطاعة لأنهم لا يريدون الدخول تحت حكم أجنبي «فآل سعود عرب مثلهم». ويضيف التقرير بأن للبحرين عدداً من السفن تمكّنها من المقاومة والثبات. ويفيد التقرير أيضاً بأن البحرين أضحت ملاذاً للثائرين على الحكم التركي المصري. وينتهي التقرير إلى أن «هذه الجزيرة إذا لم تدخل تحت طاعة الحكومة فإن المضرات المذكورة لا تنقص بل تزيد»[٨٦].

لم تسفر بعثة محمد رفعت إلى البحرين إلا عن هذا التقرير فقد رفض الشيخ عبد الله بن أحمد مطالب خورشيد التي حملها رفعت. وتمثلت تلك المطالب في تسليم عمر بن عفيصان وما أخذه معه من خزينة الإحساء، وإرسال اثنين من أبناء الشيخ إلى الباشا، واستئناف دفع الزكاة التي كانت تؤدى سلفاً إلى الرياض، وتسليم قلعة الدمام وجزيرة تاروت إلى الإدارة المصرية[٨٧].

اضطر شيخ البحرين تحت ضغط هذه الظروف إلى إعلان أنه تابع لفارس، وقام لتوه بإرسال خطاب إلى حاكم مقاطعة فارس طالباً إليه أن يقبل منه الطاعة وما يستتبعها من مال، وأن يدخله تحت المظلة الفارسية(٨٨). ويبدو أن ذلك كان المخرج الوحيد للشيخ الذي بات يخشى على وضعه من المصريين الأتراك، ومن المحاولات الفارسية العمانية المشتركة الطامحة إلى الانفراد بخيرات الجزيرة، فأراد أن يضرب القوى المختلفة بعضها ببعض، ويكف عنه يد خورشيد، وينأى ـ في الوقت نفسه ـ عن قبضة السيد سعيد.

قام أمير شيراز بإجابة مطالب الأمير عبد الله بن أحمد فأرسل له «رقماً» وبعثة شرف من عشرة رجال برئاسة الحاج قاسم، الذي طلب إليه أن يستقر في البحرين ليكون وكيلاً مفوضاً لفارس يتسلم الزكاة ويصبح قناة اتصال بحكومته عندما تنشأ الحاجة لذلك(٨٩). وبهذا اعتقد الشيخ بأنه قد خرج بضربة واحدة من دائرة القوتين اللتين تطمعان في طيوب البحرين، خصوصاً وأنه لم يجد من المقيم البريطاني في الخليج مساندة جادة.

وفي هذه الأثناء وصلت تعليمات أوكلاند ورسالة بالمرستون إلى المقيم هنيل،فبدأ يعدّ العدة لمقاومة الامتداد التركي المصري في دروب البحرين.

استمر الحوار بين الأمير عبد الله بن أحمد وخورشيد باشا عن طريق الرسائل والرسل. ويهمنا من هذه الرسائل رسالة خورشيد المؤرخة في ٢٠ ذي الحجة ١٢٥٤ هـ / ٦ مارس ١٨٣٩ م رداً على خطاب سابق من شيخ البحرين. جاء في رسالة خورشيد تأكيد بأن هدفه من طاعة البحرين هو «الإصلاح وتمشية السبل، والمساعدة على الأشغال ونكون نحن وأنتم على حال واحد من قبال العجم والإنجليز فهم لا يحطوا يدهم على الأمر الذي إحنا فيه». ويضيف هذا الخطاب بأن دخول الشيخ في الطاعة سيجنبه خطر السيد سعيد سلطان مسقط «فإذا بلغه اتفاقنا معكم، فلا يحط يده، وهذه الأمور لا تحملوا همها هذا علينا»(٩٠).

أرسل الحاكم العام للهند في أواخر ذي القعدة ١٢٥٤ هـ / ١٣ مارس ١٨٣٩ م أوامره إلى حكومة بومباي. وتقضي هذه الأوامر بأن يستعمل هنيل كل ما في وسعه لوقف استفحال أمر خورشيد في البحرين، كما يمكن له أن يُطمئن شيخ البحرين بأنه سيلقى كل الدعم والمساندة من الحكومة البريطانية[٩١].

وفي المحرم ١٢٥٥ هـ / ١٣ ابريل ١٨٣٩ م أرسل المقيم البريطاني رده على خطاب خورشيد السالف الذكر مع السفينة الحربية البريطانية الفرات (Euphrates) التي أبحرت من بوشهر إلى القطيف. يقول رد هنيل إن الحكومة البريطانية تهتم جداً لأي تحرك معادٍ من قبل خورشيد على البحرين، وذلك لأن البحرين عضو في الاتفاقية العامة لعام ١٨٢٠ م. وطلب هنيل إلى خورشيد أن يؤجل هجومه على البحرين ـ إن كان لا بد فاعلاً ـ حتى يتصل بحكومته ويتلقى تعليماتها في هذا الصدد. وطلب الخطاب إلى خورشيد أن يعطي للمقيم إنذاراً قبل فترة كافية من الهجوم على البحرين إذا كان لا بد من الهجوم، وذلك حتى يتمكن المقيم من إرسال الوحدات الحربية البريطانية في الخليج إلى البحرين لتأمين سلامة أرواح وممتلكات الرعايا البريطانيين[٩٢].

استمرت محاولات خورشيد السلمية مع شيخ البحرين حتى أفرخت عن خطاب من عبد الله بن أحمد بتاريخ ٢٣ صفر ١٢٥٥ هـ / ٨ مايو ١٨٣٩ م إلى خورشيد جاء فيه: «إن الاتفاق الذي تم بيننا وبينكم على يد محمد أفندي كما ذكر جنابه نيابة من طرف جنابكم وعلى أن نحن نعادي من عاداكم ونوالي من والاكم وأنتم كذلك، ونؤدي لجنابكم الزكاة، كما هو مذكور في الورقة التي كتبناها لجنابكم واصلتكم معه وأخذنا منه ورقة مقابلها باسمك وورقة أخرى من جنابه على ربط الجواب بالعهد وصار حالنا معكم حال واحد»[٩٣].

وصلت إلى المقيمية البريطانية أخبار من السلطات المصرية تفيد بأن شيخ البحرين قد أصبح تابعاً لهم. وركب المقيم لمقابلة الشيخ عبد الله بن أحمد وطلب إليه أن يعطيه نص الاتفاق لتمزيقه، ولام المقيم الشيخ لأنه لم يثق في

التأكيدات البريطانية السابقة بحمايته. علل الشيخ تصرفه بأن الحكومة البريطانية لم تقدم له حتى تلك اللحظة مساندة فعالة وتركته بمصادره الذاتية القاصرة أمام قوة خورشيد. كما قال الشيخ بأن مشاكله مع أبو ظبي متفاقمة ويخشى أن يقوم الظبيانيون بمهاجمته ولا يجد من ينصره، ولكنه بانحيازه إلى جانب خورشيد قد أمن شر الهجوم من تلك الناحية. وأضاف الشيخ بأن مشاكله مع عيسى بن طريف، أحد أتباعه الذي سار بجماعاته من البحرين مغاضباً له، قد تزايدت حدتها في الفترة الأخيرة، خصوصاً وأن عيسى المذكور حين لجأ إلى أبو ظبي بايع خورشيد والتزم بمساندته ودعمه،وأنه يمكن لعيسى أن يقوم بتحريك مئة مركب صغير من الساحل المواجه ليحتل البحرين قبل أن تصل السفن البريطانية لردعه[٩٤]. وجد الشيخ ـ كما قال للمقيم ـ أن من مصلحته التسليم لخورشيد، وأن يدفع له مبلغاً تافهاً لا يتجاوز ٢٠٠٠ ريال[٩٤-أ]، وأنه حين يفعل هذا، فقد اشترى سلامة أرضه وموضعه من شياختها. وأضاف الشيخ بأنه ـ مثله مثل العرب الأخرين ـ لا يرضى التبعية للمصريين، وقد احتال لذلك حين ضمن له الاتفاق مع خورشيد بأن لا يكون للباشا أي وكيل[٩٤ـب] ينوب عنه في البحرين. وانتهى الشيخ إلى القول إنه إذا تعهدت له الحكومة البريطانية تعهداً مكتوباً يلزمها بحمايته فإنه في هذه الحالة سيسقط عنه كل الارتباطات السابقة مع خورشيد، وسيدخل في طاعة الحكومة البريطانية. طلب المقيم من الشيخ أن يثبت كلماته هذه كتابة فرفض الشيخ محتجاً بأن قد خسر حتى الآن شيئاً قليلاً ولا يريد أن يخسر المزيد، فإذا تعهدت الحكومة البريطانية بحمايته فلن يتردد في أن يكتب لهم ما يريدون، وإذا لم يكن ذلك ممكناً فيجب عليهم تركه وشأنه[٩٥].

خاطب المقيم هنيل خورشيد باشا عن طريق وكيله مدحت أفندي في شأن هذا الاتفاق، وأخطره في لهجة صريحة بأن الحكومة البريطانية تعارض كل اتفاق يدخل البحرين ومناطق العتوب الأخرى تحت السيادة المصرية، وأن بريطانيا ستنبري لمقاومة كل دعاوى الباشا في البحرين[٩٦]. ورد خورشيد على

هنيل بأن ما قام به لا يستوجب الاعتراض لأنه لا يعدو أن يكون استيلاء على أراضٍ كانت فيما مضى تابعة للسعوديين. وبما أن محمد علي باشا قد أناب عنه خالد بن سعود في حكم المنطقة فإنه ليس للمقيم حق في الاعتراض. وادّعى خورشيد بأن الاتفاق الذي تم مع شيخ البحرين لا يختلف في طبيعته عما كان بين هذا الشيخ وبين السعوديين من قبل[٩٧].

خاطب خورشيد بعد هذا أمير البحرين الذي أكد له وقوفه إلى جانبه، وأعلن بأنه لا يؤيد البريطانيين «فهم على غير الملة الإسلامية، ولن يتبع الفرس فهم شيعة روافض»[٩٨]. وبهذا تأكد الاتفاق مرة أخرى. وقد شوهت الوثائق البريطانية هذا الوضع حينما اعتبرت أن هذا الاتفاق اتفاق حماية حيث إنها كانت تطبق مفاهيمها الاستعمارية على العلاقات بين الدول الإسلامية[٩٩].

حاول المقيم البريطاني إقناع أمير البحرين بأن يعدل عن اتفاقه نظير الحماية، وضمان وراثة الإمارة في صلبه، وضمانات أخرى غير منصوص عليها كتابة. ورفض الشيخ محتجاً بأنه حين طلب الحماية البريطانية سابقاً لم يكن قد تصالح مع خورشيد بعد على شروط ارتضاها، وأنه حين فعل ذلك كان مدفوعاً بخوفه من اقتراب قوات محمد علي باشا، ولم يكن مدفوعاً برغبة في أن يكون ضمن الرعايا الإنكليز. وتضيف مصادر الشيخ ـ كما جاءت في الوثائق المصرية ـ بأنه حالياً يفضل الانتظام في حكومة خورشيد الذي يحكم نجد «لأننا منذ القدم مشتركون مع أهل نجد جيراننا في التجارة فلا يمكن أن نفترق عن مالنا وملكنا»[١٠٠].

لم تكن الأمور مستقرة تماماً في الإحساء ومناطق قطر التي دخلت في طاعة خورشيد. طلب محمد أفندي رفعت حاكم الإحساء إلى النعيم الذين، يسكنون قطر دفع متأخرات الزكاة فرفضوا. وأرسل محمد رفعت عليهم قوة نظامية وأخرى من الأعراب لتأديبهم والسطو على مزارعهم ومراعيهم. وقد اضطرت هذه القوة للتراجع حين سمعت بمقتل محمد أفندي بواسطة بعض

العرب على أطراف الإحساء[١٠١]، واضطربت أمور الحكومة في المنطقة. ووفدت إلى الخليج العربي في ١٢٥٥ هـ / يوليو ١٨٣٩ م وحدات أسطولية هندية لمعالجة الوضع المتأزم في البحرين، ولم يكن لخورشيد قوة تجعله يجابه هذه المشاكل خاصة مع بريطانيا. وكان من المستحيل أن يتلقى خورشيد الدعم بحراً بعد أن أتم البريطانيون احتلال عدن. وبالرغم من وصول سفينة بحرية تابعة للكويت في ١٢٥٥ هـ / نوفمبر ١٨٣٩ م تحمل عتاداً وذخيرة للقوات المصرية في المنطقة، وبالرغم من إعلان بحارتها بأن عددا من السفن المصرية يتراوح بين ١٨ إلى ٢٠ سيلحق بها[١٠٢]، فإن خورشيد قد أدرك تماماً ما حرج موقفه أمام المد البريطاني المتزايد في المنطقة، والضغط البريطاني المطرد على القاهرة. واضطر شيخ البحرين أمام وطأة هذه الظروف أن يتراجع عن عهده الذي قطعه على نفسه بالولاء فأخطر خورشيد شفاهة بتراجعه عن اتفاق صفر[١٠٣]. كانت بريطانيا جادة في تهديداتها فيما يتصل بالحيلولة بين جيوش محمد علي والخليج العربي حتى لو أدى الأمر إلى احتكاك عسكري مباشر؛ إذ نلاحظ أن وزارة الخارجية البريطانية قد كتبت في ذي الحجة ١٢٥٥هـ/ ٢٤ فبراير ١٨٤٠ م إلى هيئة الهند بأنها لن تسمح إطلاقاً لقوات محمد علي بالإستيلاء على البحرين،وزادت بأن فوضت الشركة بأن تقوم قواتها باحتلال البحرين مؤقتاً إن رأت ضرورة لذلك[١٠٤]، غير أن تراجع خورشيد حلّ الأمر سلمياً.

العلاقة بين حكام نجد والساحل العماني ١٢٥٤ - ١٢٥٧ هـ / ١٨٣٨ - ١٨٤١ م:

التحق سعيد بن مطلق المطيري الذي كان نائباً عن الأمير فيصل في البريمي والذي كان له نفوذ على قبائل المنطقة وخبرة بإدارتها بخورشيد باشا عند بداية تقدم قوات خورشيد في نجد[١٠٥]. وكان لابن مطلق موجدة على فيصل الذي عزله عن الإدارة في تلك المنطقة. فوض الباشا ابن مطلق كي يسير إلى عمان ويحصل من شيوخها البارزين على إعلانات بالولاء لخالد بن سعود.

وصل سعيد إلى الشارقة في أوائل محرم ١٢٥٥ هـ / مارس ١٨٣٩ م واستقبله شيخها القاسمي استقبالاً حافلاً بعد ما بلغه من ابن مطلق من وعود ووعيد. قدّم الشيخ لسعيد بيتاً كي يستقر فيه ريثما يتدبر أموره مع نعيم البريمي[١٠٦].وخاطب سعيد بعد هذا شيوخ البريمي وحاول أن ينزل بجنوده عليهم، إلا أن شيوخ النعيم الذي كانوا يسيطرون على تلك الواحة رفضوا الدخول في طاعة السلطة التي تسيطر على نجد، وأقسموا بأن لا تدخلها عليهم، جيوش محمد علي إلا وهم تحت أنقاضها. اتصل هؤلاء بشيخ آل بني ياس يطلبون دعمه، كما اتصلوا بالسيد حمود بن عزان حاكم صحار. وقد تلقف الأخير الدعوة حالاً وأرسل أخاه قيس في ٢٠٠ من رجاله لدعم حصون البريمي[١٠٧]. وشدّ البريطانيون في أزر المقاومة حين قام هنيل بمظاهرة حربية على ساحل المنطقة. بدأ هنيل برأس الخيمة حيث قابل أميرها سلطان بن صقر في ١٢٥٥ هـ / ٢٧ أبريل ١٨٣٩ م وناقش معه أمر تقدم خورشيد في المنطقة، وأطلعه على رأي الحكومة البريطانية في هذا الصدد، وموقفها المتشدد من محمد علي باشا ومخططاته. وانبرى القائد البحري بركس Brucks في محاولة جادة للتوفيق بين أطراف القواسم في المنطقة وإعادة توحيد رمس ورأس الخيمة والشارقة وعجمان وأم القوين تحت سلطة شيخ القواسم. ولم يفلح بركس في مهمته كثيراً لأن الضربات التي تلقاها شيخ القواسم من البريطانيين سلفاً قد هدت من قوته وذهبت بهيبته فلم يعد بقادر على فرض السيطرة في المنطقة مرة أخرى. واتصلت هذه البعثة البريطانية بشيخ لنجة كذلك، وأبدى الأخير حماسته لمناصرة أهله في الشارقة ضد جيوش الباشا. كما قام الشيخ خليفة بن شخبوط في أبو ظبي بتأكيد تضامنه مع شيخ البحرين، وتعهد بطي ملف الخلاف لمواجهة الظروف الطارئة[١٠٨].

طلب المقيم إلى الأمير سلطان بن صقر شيخ القواسم أن يبرر موقفه ويوضح تصرفه حين قدم المأوى لسعيد بن مطلق. ودافع الشيخ عن نفسه بأنه قام بذلك خوفاً من نتائج تصرفات شيخ آل بني ياس في أبو ظبي الذي دخل في مراسلات مع وكيل الباشا ووعد بمساندته ودعمه. وأبرز سلطان في هذا الصدد

خطاباً أرسله الشيخ خليفة من أبو ظبي إلى سعيد بن مطلق جاء فيه بأن سعيداً قد استقر لأربعة شهور حتى الآن في أرض القواسم ولم يظفر بطائل، ولم يلق مساندة جدية ودعماً فعلياً. وأضاف الخطاب بأن آل بني ياس مستعدون لوضع كل إمكاناتهم بحراً وبراً تحت تصرف سعيد متى احتاج إليها وطلبها منهم(١٠٩). واحتج الشيخ سلطان بأنه يخشى على نفسه من اتحاد سعيد مع شيخ أبو ظبي أو أي شيخ آخر من شيوخ المنطقة، وأن قوة أي شيخ حين تتحد مع قوة سعيد يمكن أن تنال من أرضه ومركزه.

تدخل المقيم لدى الأمير خليفة بن شخبوط وجعله يقسم يميناً بأنه لن يسمح لهذه القوة أو لأية قوة أخرى تابعة للمصريين بأن تقيم في أرضه. وتعهد هذا الشيخ بأن لا تكون له أية اتصالات بخورشيد وعملائه، وأنه سيعادي أعداء الحكومة البريطانية، وأنه لن يتبادل المراسلات مع أية قوة أو وكلائها إلا بعد أن تأذن له الحكومة البريطانية بذلك. وتعهد المقيم في المقابل أن يعطي خليفة حصة من الذخيرة والسلاح في حالة وقوع أي هجوم على مناطقه نتيجة لاتفاقه مع الحكومة البريطانية(١١٠).

اقتنع الشيخ سلطان بما أقسم عليه الشيخ خليفة وسأل المقيم أن يزوده بخطابين: أحدهما موجه له ينهاه عن استضافة سعيد حتى يبرزه لسعيد ليبرر طرده له، والثاني لسعيد يطلب إليه فيه العودة فوراً إلى نجد، ومغادرة المنطقة. كتب المقيم الخطابين وأضاف في خطاب سعيد بن مطلق بأن قبائل النعيم التي تقيم في البريمي تقع تحت الحماية البريطانية. وحمّل المقيم البريطاني سعيداً مسئولية أي اعتداء يقع على هذه القبائل التي تحميها بريطانيا، وطلب إليه أن يرحل حالاً ويترك المنطقة تحقيقاً للعهود التي قطعها محمد علي باشا بعدم التدخل في شئون المنطقة.

لم يجد سعيد إلا أن ينسحب من المنطقة بعد أن حصّنها المقيم ضد تطلعاته. ولاذ سعيد بالعقير وهو يحمل وعداً من شيخ سلطان بن صقر بأنه في

حالة عودته إلى عمان بجيش قوي كبير فإنه سيضع كل إمكاناته تحت تصرفه. غير أن رحيله بهذه الصورة قد ذهب بهيبة المصريين وسط قبائل المنطقة لامتثال وكيلهم لأوامر المقيم البريطاني(١١١). وقد غضب خورشيد باشا لتراجع وكيله وزجّ به في السجن فوراً وذلك لأنه «سمع كلام القنصل ورجع بالثاني مع أننا جهزنا له خمسين خيالاً وأربعمائة هجان»(١١٢).

استطاع المقيم في رحلته هذه أن يحصل على تعهدات مكتوبة من شيوخ أبو ظبي والشارقة وأم القوين بأنهم يؤيدون السياسة البريطانية التي ترمي إلى الحفاظ على «استقلالهم»، ويعارضون السياسة المصرية التي تسعى لفساده. وكان تعهد شيخ أبو ظبي الذي أشرنا إليه سابقاً أغلظ هذه المواثيق وأوثقها وأقواها.

وافقت الهند مقيمها على ما قام به من اجراءات وقائية لتدارك الموقف، وعلى ما أبرم من تعهدات، ولكنها لم ترض منه مبدأ حمايتها للنعيم لأن ذلك من «شئون السياسة البريطانية العامة ومجريات الأمور السياسية التي يقع عبؤها على مجلس الوزراء البريطاني في لندن الذي سيتولى معالجة المسألة المصرية من كافة جوانبها».

فوضت الهند مقيمها المساعد في الخليج العربي لتوزيع السلاح والعتاد على قبائل الساحل لمواجهة التقدم المصري. وأصبح رأي الهند أن التدخل الجاد في البريمي أمر لا محيص عنه، ولهذا أرسلت الكابتن همرتون Hamerton إلى البريمي ليتسقط الأخبار، ويوحد القبائل، ويشير بالرأي. ولم يستطع همرتون بلوغ البريمي إذ لم يجد من الشيوخ مساعدة في مسعاه ذلك فبقي بالشارقة حتى أتاه المقيم في ٢ ذي القعدة ١٢٥٥ هـ / ٦ يناير ١٨٤٠ م. عقد المقيم في الشارقة مؤتمراً لشيوخ البريمي حضره حمود بن عزان وشيخ الشوامس، وهي فرع من النعيم كبير، كما حضره عدد غفير من شيوخ البريمي. هنأ المقيم شيوخ البريمي على مقاومتهم العنيدة لخورشيد وأتباعه، وشرح لهم

أبعاد السياسة البريطانية التي ادعى بأنها ترمي إلى الحفاظ على استقلال القبائل وتشجيع ازدهارها، ولكنها، رغم هذا، لا تتدخل تدخلاً مباشراً في شئونهم. وحثّ المقيم شيوخ القبائل على الاتحاد، وأبدى رغبته الملحة في أن يصل النعيم والظواهر إلى اتفاق كامل. وما زال المقيم بشيوخ القبائل حتى تغلب على الكثير من خلافاتهم الموروثة وحقق تحالفاً بين النعيم والظواهر وإن لم يحقق بنجاح كبير التحالف بين الظواهر وبني قتب. وقام المقيم البريطاني بعد هذا بمد القبائل ببعض المال والذخيرة والمؤن والشعير وبعض المأكولات. وطفق الشيوخ بعد هذا قافلين إلى البريمي وسافر همرتون في معيتهم[١١٣] لتحقيق أهدافه في التجسس وإمعان النظر في دروب عمان.

العلاقة بين أمراء نجد ومسقط ١٢٥٤ - ١٢٥٧ هـ/ ١٨٣٨ - ١٨٤١ م:

أراد سيد عمان توثيق علاقته بالقيادة التركية المصرية في نجد آملاً بأن يستولي على البحرين عن طريقهم أو من خلال تغاضيهم. ولم يستمر هذا الخط من السياسة طويلاً، إذ رضخ سيد عمان لوجهة نظر الهند التي طلبت إليه أن تكون مراسلاته مع المسئولين في نجد حسب ما يشيرون به[١١٤].

أرسل الأمير خالد بن سعود خطاباً إلى ثويني وهلال ابني السيد سعيد الذي كان وقتها في زنجبار. أشار خطاب خالد إلى أنه عين سعد بن مطلق وكيلاً له، وعليه فيجب أن تكون علاقتهما معه كعلاقة أبيهما مع سلفيه تركي وفيصل، وأنه يجب عليهما إعلان السمع والطاعة وإعطاء الزكاة. أحيل خطاب خالد بن سعود إلى السيد سعيد في زنجبار، فأرسل السيد سعيد رسالة عن طريق الحاكم العام للحجاز إلى محمد علي يشتكي من تصرف خالد: «إلا أنه في هذا التاريخ، وصلنا هذا التعريف من الأولاد محمد وثويني مرسلة لهم مع سعد بن مطلق وهو من طرف ابن سعود والذي نؤمله أن الذي ليكون من طرفكم لا يكتب مثل هذا التعريف فلأن النظر والرأي راجع لكم وقد فرحت الخلق برواح فيصل بن سعود ويـدعون لكم آناء الليل وأطراف النهار. وإن تمكن خالد بن

سعود يقع منه أكثر مما مضى ومحبكم إن شاء الله بعد شهر زمان متوجهاً إلى مسكت[١١٤-أ] فكل حاجة تبدى لكم في ذلك الطرف فالإشارة منكم والسلام خير ختام»[١١٥] .

استمر المقيم البريطاني في الخليج في جولاته البحرية على موانىء الخليج، وعرف من ثويني ومحمد بن سالم ابن أخي سعيد اللذين كانا يحكمان المناطق العمانية بالنيابة عن سعيد بفحوى هذا الخطاب وأخطراه بأنهما يقفان إلى جانب الحكومة البريطانية في مقاومة تحركات خورشيد وعميله الأمير خالد. طلب المقيم من الرجلين أن يترجما حديثهما إلى عمل وأن يدعما قوة النعيم في البريمي ضد خورشيد وخالد ولكنهما اعتذرا له عن القيام بهذه المهمة[١١٦].

وبالرغم من الاتصالات الودية التي كانت قائمة بين باشا مصر والإمام العماني، إذ كان السيد سعيد إمام عمان يطمع في أن يفوضه الباشا الحكم في البحرين لقاء دفع مبلغ من المال، فإنه على الجانب الأخر قد أصدر أوامره إلى وكيليه محمد وثويني في مسقط يطلب إليهما التعاون مع حمود بن عزان لمقاومة كل تحركات خورشيد. كما تدل رسائل سعيد إلى البريطانيين على أنه كان يبدي رغبته في التعاون معهم، ويسألهم عن خططهم السياسي، والخطط التي اتخذوها لإحباط مخططات الباشا[١١٧].

رجع السيد سعيد من أفريقيا إلى مسقط في ١٢٥٥ هـ / سبتمبر ١٨٣٩ م، واتصل به المقيم البريطاني طالباً إليه أن يعينه في تنظيم شيوخ البريمي في جبهةٍ متحدة ضد «الغزو» المصري. وتمشياً مع هذا كتب الإمام إلى قبائل عمان الداخلية لتكون يداً واحدة ضد التدخل المصري، وطلب إليهم مقاومة الوكيل المصري الجديد ابن بتال بكل الطرق، ووعد الإمام العماني القبائل بكل الدعم والمساندة. كما أحدثت سلطات الخليج البريطانية صلحاً بين السيد سعيد وقريبه حمود في ١٦ شوال ١٢٥٥ هـ / ٢٣ ديسمبر ١٨٣٩ م لتزيد بذلك في ترابط الجبهة العمانية، خصوصاً وأن حمود كان عدواً لدوداً لكل

مخططات محمد علي باشا. كما اجتمع السيد سعيد من جانبه بعيسى بن طريف ورجال البوكوارة لينظموا خطة لاجتياح البحرين حتى لا تصير إلى المصريين. ولم يكن هذا بالطبع يتطابق مع سياسة الحكومة البريطانية التي كانت ترفض إلحاق البحرين بنجد أو عمان، غير أن انحياز عيسى بن طريف للسلطات المصرية في نجد هدم خطة الإمام من أساسها[١١٨] ، ولهذا كان سعي الإمام إلى الفرس لمساعدته في ذلك.

قامت سلطات الهند البريطانية كذلك بتعيين وكيل بريطاني في وكالة مسقط التي ظلت لمدة ثلاثين عاماً دون ممثل مقيم ،وذلك منذ تصرم خطر فرنسا النابولونية. رأت الهند وجوب إرسال ممثل مقيم في مسقط لتوثيق العلاقة مع أميرها. وصدر عن الهند قرار في هذا الصدد جاء فيه: «.. فمن أجل استعادة نفوذها بالساحل، وبغرض إبعاد المداخلات المصرية، يوصي الحاكم العام في مجلسه بتعيين موظف بريطاني في مسقط ويترك له أمر المسئولية المباشرة في المنطقة على أن يكون مسئولاً في النهاية للمقيم البريطاني الكابتن هنيل». وأرسل همرتون في ١٢٥٦ هـ / ٢٠ مايو ١٨٤٠ م ليملأ هذا المنصب. وكان لهمرتون أثره العميق في مجريات الأمور خاصة وأنه قد خبر هذه المنطقة عن كثب[١١٩]. ومع هذه التطورات في عام ١٢٥٦ هـ / ١٨٤٠ م وضع إمام مسقط كل قواته البحرية تحت تصرف البريطانيين وذلك في حالة قيامهم بحصار الموانىء الخاضعة للمصريين[١٢٠].

عندما أجلي خورشيد عن نجد والإحساء ترك المنطقة وسياستها في يد خالد بن سعود لتبدأ متاعبه مع ابن ثنيان. وبالرغم من عجز الأمير خالد الواضح عن مواجهة البحرين أو عمان والساحل العماني، إلا أن أوكلاند رأى في المحرم ١٢٥٧ هـ / أواخر فبراير ١٨٤١ م وجوب أن توجه حكومة بومباي تحذيراً إلى خالد بن سعود، تؤكد فيه أن الحكومة البريطانية ستواجه بالقوة أية محاولة لمد سلطته في جنوب شرق الجزيرة العربية، وأن أية قوة مسلحة يرسلها خالد في

اتجاه «ساحل القراصنة» ستجابه من قبل سفن الحرب البريطانية بالقوة اللازمة»[١٢١].

وفي ١٢٥٧ هـ / يونيو ١٨٤١ م وصلت إلى المقيمية البريطانية أخبار تفيد بأن الأمير خالد بن سعود قد اتصل بالباب العالي وقدم الهدايا وفروض الولاء، وأن الباب العالي ردّ بدوره بفرمان يعين بموجبه خالد والياً على نجد. كما اتصل خالد في نوفمبر من نفس هذه السنة البريطانيين في الخليج معبراً عن رغبته في تحسين العلاقات مع بريطانيا. وبالغ الأمير خالد في تنميق عبارات الصداقة والود وإظهار حسن النوايا للبريطانيين وطلب خالد تجديد علاقات الصداقة التي ربطت بين أبيه الإمام سعود وبين الحكومة البريطانية سلفاً. وأضاف خالد بأنه كان يزمع منذ زمن بعيد الاتصال بالحكومة البريطانية طالباً صداقتها إلا أن محمد علي باشا قد نهاه عن ذلك فامتثل[١٢٢]. وجاءت المقيمية في نفس الوقت تقارير تشير إلى أن خالد قد وصل في اكتوبر إلى الإحساء وأنه يجهز لحملة بقيادة سعيد بن مطلق للمسير إلى البريمي بالرغم مما ذكره في خطابه من خطب صداقةالحكومة البريطانية. وطلبت حكومة بومباي إلى مقيمها أن يستوثق من صحة هذه الأخبار ويحذر الأمير خالد بن سعود من مغبتها إن كانت حقيقية.

كتب هنيل رسالة إلى خالد أرسلها مع الضابط كيث جوب Keith Jopp يحذره فيها من أي تحرك تجاه الساحل العماني براً أو بحراً. سلمت الرسالة إلى خالد في الهفوف فأنكر مخططاته أولاً، وعاد فأصرّ عليها ثانياً، وتنازل عنها أخيراً. وكتب خالد إلى هنيل، بما استقر عليه أخيراً. وجاء في التقرير الذي أرفقه كيث مع خطاب خالد بأنه لا يرى ضرورة لهذا الخطاب لأن خالد ـ كما سمع كيث وعرف ـ لن يستطيع في الوقت الراهن بمصادره الذاتية تسيير حملة لأبعد من حدود الإحساء[١٢٣]. وقد برهنت الأحداث صدق رأي هذا الضابط إذ إن خالد لم يستطع أن يحافظ على سلطته في نجد ذاتها.

الفصل الرابع

علاقة نجد بالبحرين والمجابهة البريطانية

١٢٥٨ـ١٢٨٧هـ/١٨٤٢ـ ١٨٧٠م

ظهر في شعبان ١٢٥٧هـ/ ديسمبر ١٨٤١م ابن ثنيان عند أسوار الرياض التي يقال أن قلوب أهلها كانت معه دون خالد، وكان لخالد في الرياض ٨٠٠ من الجند النظاميين نصفهم من المشاة ونصفهم من الفرسان. ولم يكن خالد يظفر برضاء جنده الذين تأخرت رواتبهم لمدة عام أو أكثر، كما لم يكن له وسط القبائل فيما عدا المطير وبني هاجر وبعض رؤساء القصيم إلا القليل من الأنصار. لم يكن لخالد أسلحة متفوقة وكان شأنه في هذا شأن ابن ثنيان حيث لم يترك الجيش المصري المنسحب لخالد سوى بعض المدافع التي عفا عليها الدهر فأسكتها، بل إن هذه المدافع الصامتة لم تكن في الرياض إنما كانت في قلعتي الهفوف والقطيف[١].

اضطر الأمير خالد أن يتراجع إلى الإحساء بعد أن نظّم إدارة الرياض وتركها في أيدي بعض المخلصين من رجاله ليواجهوا عبد الله بن ثنيان. وأرسل خالد إلى الرياض في أوائل شوال ١٢٥٧ هـ / يناير ١٨٤٢ م نجدة مكّنتها من الصمود فترة وحققت بعض النصر على حزب ابن ثنيان[٢] الذي اضطر بعد ذلك إلى القيام بعمل حاسم فتمكن بمساعدة أهل الرياض من المدينة في ١٤ شوال . وقتل عبد الله بن ثنيان ثلاثة من أوثق مسئولي الأمير خالد في الرياض وأبقى على عمر بن عفيصان الذي كان خالد يثق فيه ويعتمد عليه كثيراً[٣] .

البحرين والنزاع النجدي على الإمارة :

بلغ أهل الاحساء خبر سقوط الرياض لابن ثنيان فأرسلوا له مبايعين . ولم يكن الأمير خالد يعلم بأمر هذه البيعة فاستدعى شيوخ الإحساء ليفاوضهم ويستشيرهم في الأمر . أشار هؤلاء عليه بتسريح من لا يزال تحت إمرته من الجيش الأجنبي ، فوقع خالد في الفخ وسرّحهم . طلب خالد من الشيوخ موافاته في القطيف لتنظيم المقاومة فخذلوه بعد أن أضعفوه ،فاضطر إلى الهروب إلى الدمام التي كان يحكمها مبارك بن عبد الله بن أحمد . استقبل مبارك خالداً بالحفاوة ووعده بالدعم ، وخرج خالد من الدمام في صفر ١٢٥٨هـ/ ابريل ١٨٤٢ م إلى خور حسان ليقابل الأمير عبد الله بن أحمد شيخ البحرين الذي طعن في السن وتحدى أبناؤه سلطته ،ولكنه على أي حال كان لا يزال الشيخ الأول في البحرين . لقي خالد من عبد الله الحفاوة والاحترام والوعد بأنه سيبذل كل ما في وسعه لمناصرته ومعاضدته في استرداد القطيف . وقام خالد من خور حسان إلى البحرين حيث زار محمد بن خليفة الذي وعد بالدعم ، وعاد خالد أدراجه إلى الدمام مرة أخرى[٤] . اعتقد الأمير خالد بأنه قد نظم هذه الجبهة فأراد أن يواجه ابن ثنيان من منطقة أخرى، فخرج إلى الكويت ليدلف منها إلى القصيم التي كان يعتقد أنها ما زالت على الولاء له . وفي نفس هذا الوقت قام مبارك بن عبد الله بإرسال قواته لمهاجمة قلعتي القطيف والإحساء مناصرة لخالد إلا أن قواته عادت بالهزيمة[٥] .

كان آل خليفة في جبهة خالد ، غير أن الشقاق الذي وقع في تلك الأسرة أضعفها وذهب بآخر أمل لخالد . أراد أحمد بن عبد الله بن أحمد الزواج من ابنة لعبد الرحمن بن راشد ، وكان محمد بن خليفة يريد أن يزوجها لآخر من أقربائه . وحين عاد الشيخ عبد الله بن أحمد من خور حسان ليعالج المسألة وجد أن الأمر قد خرج من يده حيث تجمع البدو هناك في فريقين ، كلٌ يناصر طرفاً . كان أحمد بن عبد الله يسيطر على المحرق وكان بأبيه الأقوى نفراً وعدّة

في البحر ، أما محمد بن خليفة فكان يسيطر على المنامة التي تسيطر سفن أحمد بن عبد الله وأبيه على دروبها البحرية . ولحقت الهزيمة في ١٢٥٨ هـ/ منتصف يونيو ١٨٤٢ م بمحمد بن خليفة الذي اضطر إلى الفرار إلى ساحل قطر، وتقدم من هناك إلى الرياض ينشد عون حاكمها عبد الله بن ثنيان على قريبه عبد الله بن أحمد(٦) . ووعد ابن ثنيان محمداً بالدعم وبهذا تهدمت الجبهة التي كان خالد يأمل في دعمها .

استولى ابن ثنيان على الإحساء وتمكن من توابعها دون مقاومة كبيرة، وذلك حين أرسل إلى تلك المناطق في أوائل محرم١٢٥٨هـ/ مارس ١٨٤٢م بعض قادته الأقوياء، مثل عبد الله بن بتال المطيري وعمـر بن عفيصان وفهد بن عبد الله بن عفيصان وبلال بن سالم الحرق . استولى هؤلاء في فترات متلاحقة على الإحساء والقطيف وسيهات ، وضبطوا الأمن ونظّموا الإدارة فيها . وسجن ابن ثنيان شيخ سيهات متهماً إياه بأنه «يمالىء صاحب البحرين على طوارف المسلمين»(٧) .

رجع محمد بن خليفة من الرياض إلى ساحل قطر ومنها إلى المنامة التي استطاع أن يسيطر عليها في أواخر عام ١٢٥٨ هـ / ١٨٤٢ م دون مقاومة تذكر . كان محمد بن خليفة مدعوماً بعيس بن طريف وبشير بن رحمة وأتباعهما، كما لقي كل المساندة والدعم من عبد الله بن ثنيان أمير الرياض . وكانت مناصرة ابن ثنيان لمحمد بن خليفة جادة وذلك لمعاقبة عبد الله بن أحمد الذي ظل لفترة طويلة يحاصر ميناءي القطيف وسيهات، بدعوى ضرب المتمردين عليه الذين سكنوا الساحل بعد أن سمح المقيم البريطاني لهم بأن يبحروا من جزيرة قيس إلى تلك المنطقة لئلا يقع نزاع بين أولئك المتمردين وشيخ البحرين في عرض الخليج وتثور فيه الاضطرابات التي لا يريدها البريطانيون(٨) .

وفي ربيع الأول ١٢٥٩ هـ/ أبريل ١٨٤٣ م تقوّى محمد بن خليفة ببعض حلفائه الذين وفدوا إليه من جزيرة قيس أيضاً وهاجموا عبد الله بن أحمد في

المنامة فلاذ الأخير إلى جزيرة مجاورة . وجرت مفاوضات بين الطرفين فسُمح لعبد الله أن ينتقل بأهله ومتاعه وأتباعه إلى الدمام التي كانت لا تزال تحت حكم ابنه مبارك . وبدأ عبد الله منذ يونيو ١٨٤٣ م يهاجم البحرين من الدمام ويهدد تجارتها ، فرد محمد بن خليفة بمحاصرة الدمام . وبدأ الفريقان المتنافسان من آل خليفة في الدمام والمنامة يتصلان بعبد الله بن ثنيان في الرياض ويتنافسان على إرضائه والظفر بمساعدته(٩) .

اتصل عبد الله بن أحمد بالمقيم البريطاني في الخليج فلم يجد منه الدعم، حيث أدى سلوكه مع خورشيد باشا سابقاً إلى أن تعتبره الهند البريطانية متخلياً عن صداقة الحكومة البريطانية ، بل إن اللجنة السرية لمديري شركة الهند الشرقية كانت تناقش في ذلك الحين أمر استبداله بشيخ آخر على مشيخة البحرين يكون أكثر استعداداً للتفاهم . وانتهى الأمر بأن قرر المسئولون في الهند أن لا يقفوا في وجه سيد مسقط إذا حاول غزو البحرين . وحين تحقّق هدف البريطانيين دون تدخل منهم، لم يكن من الممكن أن ينال عبد الله من المقيم شيئاً، خصوصاً وأن لعبد الله أعداءً كثيراً في جزيرة قيس كان تحركهم لمواجهة البحرين يودي بأمن مياه الخليج وهذا ما لا يريده البريطانيون(١٠) ، ورفض المقيم سلفاً لعيسى بن طريف الذي هاجر من جزيرة قيس إلى أبو ظبي في ١٨٤٠ أو ١٨٤١ م أن يهاجم البحرين، كما رفض له مرة أخرى في ١٢٥٧ هـ / ١٨٤١ م حتى لا يخرق قانون الخط المانع . وها هي الظروف تتبدل من تلقاء نفسها فتريح المقيم من إقالة عبد الله التي كان يزمع عليها ومن المعارضين لعبد الله الذين كانوا سيثيرون الاضطرابات فوق مياه الخليج . ولكن هل صدق هذا الزعم؟

الأمير فيصل وعبد الله بن أحمد في سياسة البحرين :

لم يكن المقيم البريطاني يرى في الأمير السعودي ابن ثنيان إلّا «بدوياً جاهلاً» لم يغادر في حياته شبه الجزيرة العربية . وأدرك المقيم هنيل أن الأمير

ابن ثنيان سوف لن يتفهم «الوضع الراهن» أو يعمل على استتبابه . ولهذا أشار المقيم البريطاني في الخليج برأي وجد المساندة من حكومة الهند ثم تبنته حكومة لندن بعدئذ كأحد التدابير للحفاظ على أسس سياسة الأمن في الخليج العربي التي أخذت في هذا الوقت تتبلور في أفكار محددة . أشار هنيل بضرورة الاتصال بمحمد علي باشا لاطلاق سراح الأمير فيصل بن تركي الذي لا بد أن يكون قد عرف وهو في منفاه في مصر عن البريطانيين القوة والمنعة . ولهذا فحين يوكل إليه حكم نجد لن يشاكس تلك الامبراطورية في الخليج، كما يمكن للأمير ابن ثنيان أن يفعل حيث لا يعرف هذا الأمير الأخير عن البريطانيين شيئاً . وتم اتصال الحكومة البريطانية بحكومة محمد علي باشا التي أطلقت بدورها سراح فيصل بن تركي[١١] . خرج فيصل ليستقر في العقير ليراسل من هناك قبائل الجزيرة وشيوخها وكان ابن رشيد من أبرز مناصريه .

آلت السلطة في الرياض إلى فيصل في ١٢٥٩ هـ / ١٨٤٣ م واتجه فيصل الاتجاه السعودي التقليدي إلى الخليج العربي . وفي ذي الحجة ١٢٥٩ هـ/ ديسمبر ١٨٤٣ م ، قصد الأمير فيصل جهة القطيف وأغار على المناصير «وأخذهم في الرمل على سيف البحر» وذلك في محاولة منه لتأمين طريق الحجيج التي عبث بها هؤلاء ، كما أغار بعد هذا على بعص عربان بني هاجر[١٢] لضبط النظام وإقرار الأمن في المنطقة، خصوصاً بعد قيام بعض القبائل بنهب الحجاج الفرس . وحاول الأمير فيصل في ١٢٥٩ هـ/ ديسمبر ١٨٤٣ م أن يصلح ذات البين بين أمراء البحرين، فاستجاب محمد بن خليفة الحاكم الفعلي De Facto للبحرين للوساطة ومال إلى الصلح ورفض عبد الله بن أحمد ، حاكم البحرين المخلوع والذي كان لا يزال يسيطر هو وأبناؤه على قلعة الدمام ، فكرة الصلح . وعلى هذا ساند الأمير فيصل محمد بن خليفة ضد عبد الله بن أحمد ، وحوصرت قلعة الدمام براً وبحراً[١٣] ، وطلب عبد الله بن أحمد وأولاده الصلح فأبى فيصل «إلا على إحسانه أو إساءته» واضطروا للخروج إليه فمنّ عليهم بدمائهم وأخذ جميع ما في القصر من سلاح وعتاد وأموال[١٤] .

وهكذا وجد الأمير عبد الله بن أحمد مرة أخرى نفسه بلا ملجأ، خصوصاً وأن موقف الأمير فيصل منه كان حاسماً . فبالاضافة إلى رفض هذا الشيخ وساطة الإمام فيصل بن تركي فقد كان مسئولاً عن كثير من الإشكالات التي أودت بحياة الإمام تركي ، كما لم يُخفِ اغتباطه حين تم اعتقال فيصل وترحيله إلى القاهرة[١٥] .

طوّف عبد الله بن أحمد بموانىء الخليج المختلفة واستقر إلى حين في نابوند ثم تركها للكويت حتى يتفادى الخط المانع ولكنه لم يصب من البحرين شيئاً كثيراً[١٦] . ولم يكن محمد بن خليفة حاكم البحرين الذي انتصر له فيصل بن عبد الله بن أحمد راضياً عن الإمام فيصل لأنه حين استولى على الدمام من عبد الله بن أحمد جعل فيه حامية سعودية ، كما لم يرضِ هذا التصرف أيضاً بشر بن رحمة بن جابر الذي كان لأبيه حق في الدمام فانحاز إلى تجمع الأمير محمد بن خليفة وانتظم في صف المعارضة[١٧] ضد فيصل .

لم تكن الحكومة في الهند بعيدة عن هذه الأحداث ، إنما كانت تتابعها بدقة بالغة . قامت حكومة بومباي التي كان يرأسها جورج أرثر Arthur في ١٢٥٩ هـ/ سبتمبر ١٨٤٣ م بالاستفسار من الحكومة العليا في الهند عن السياسة التي يجب عليهم انتهاجها بالنسبة لفيصل وتحركاته . ورأت حكومة بومباي أن تلتزم بسياسة عدم التدخل طالما اقتصرت جهود فيصل على تثبيت حكمه في داخل الجزيرة العربية وعلى أملاكه التي كانت له سابقاً . وأبدت حكومة بومباي شكها من أن فيصل سيلزم هذا الخط وأعربت عن رأيها بأنه سيحاول أن يكسب نفوذاً في البحرين أو وسط الشيوخ المرتبطين بتعهدات للحكومة البريطانية. وطلبت هذه الحكومة إلى الحكومة العليا في الهند أن تشير لها بالسياسة التي يجب التزامها في هذه الحالة . وجاء رد اللورد النبرة E. L. Ellenborough الحاكم العام في مجلسه ، بأنه «ليس من الضرورة ولا من الحكمة أن نتدخل في العمليات التي يقوم بها هذا الشيخ»[١٨] . فيصل .

عاد عبد الله بن أحمد حاكم البحرين المخلوع في ١٢٦١ هـ/ اكتوبر

١٨٤٥ م للاتصال بعبد الله بن سعد المداوي الوالي السعودي السابق على القطيف واستقر عنده وأخذ يعمل على ضرب تجارة البحرين ومحاصرة موانئها . وانتهى الأمر بهزيمة عبد الله مرة أخرى فهرب إلى الكويت لفترة رجع بعدها إلى القطيف . وفي ١٢٦٢ هـ / سبتمبر ١٨٤٦ م عاد عبد الله مرة أخرى ليستقر في منطقة الدمام في مواجهة البحرين يتحين الفرص للانقضاض عليها . ووافق الأمير فيصل على أن يلتجيء عدوه السابق عبد الله إلى الإحساء وأصبح عبد الله بن أحمد بؤرة تتجمع حولها كل عناصر المقاومة لمحمد بن خليفة . ففي عام ١٢٦٣ هـ / ١٨٤٧ م حين قامت بعض الاختلافات بين العماير ومحمد بن خليفة نفض هؤلاء عن رقابهم الولاء لمحمد ، ودخلوا في طاعة السعوديين ، وتعاونوا مع عبد الله . واضطر الأمير محمد بن خليفة في اغسطس ١٨٤٧ أن يصل إلى اتفاق مع الأمير فيصل ، وارتضى أن يدفع مبلغ ٤,٠٠٠ ريال زكاة تؤدّى كل سنة ، كما تعهد فيصل بعدم مساندة عبد الله بن أحمد أو المعارضة ضد البحرين . ولم يرض عبد الله بن أحمد بهذا الاتفاق فغادر الإحساء إلى الدمام وخرج منها إلى جزيرة قيس .

غادر عبد الله بن أحمد قيس إلى بوشهر في ١٢٦٥ هـ / ١٨٤٩ م فأقام فيها فترة يراجع أمره ، وانتهى إلى طلب مساندة السيد سعيد ضد البحرين . وسافر عبد الله للقاء السيد سعيد في زنجبار . وخشي الأمير محمد بن خليفة من تحركات عبد الله بن أحمد فكتب إلى المقيم هنيل في ١٥ رجب ١٢٦٥ هـ / ٩ فبراير ١٨٤٩ م طالباً إليه أن تمد بريطانيا حمايتها على البحرين . وكان رأي هنيل الذي كتب به لحكومته أن وضع البحرين تحت الحماية البريطانية سيدخل المقيمية في مشاكل وسيقحمها في سياسات الساحل العربي المواجه . وعلى هذا رفضت الهند رسمياً في ١٢٦٥ هـ/ مايو ١٨٤٩ م أن تسبغ حمايتها على البحرين . وبدأ وكأن مشاكل الأمير محمد بن خليفة قد بدأت تنداح بوفاة عبد الله بن أحمد الأمير المخلوع التي حدثت في مسقط في هذا الوقت[١٩] .

تنصل محمد بن خليفة شيخ البحرين من أداء الزكاة للأمير فيصل حين أحس بانقشاع خطر عبد الله بن أحمد عن البحرين ، وزاد بأن قام يحاصر الموانىء السعودية تحدياً منه لسلطة فيصل . خرج فيصل من الرياض في ١٢٦٥هـ/ ١٨٤٩ م وقصد الإحساء ليشرف بنفسه على معالجة هذا الأمر ويعمل على إخضاع البحرين لسلطته تماماً . لقي فيصل ولاء وتشجيعاً من أهالي قطر لغزوالبحرين،إذ أسقط هؤلاء عنهم الولاء لشيخ البحرين وبايعوا الإمام فيصل . وبدأت العمليات العسكرية وخرج أبناء عبد الله بن أحمد الشيخ المتوفى من الساحل الفارسي بحملة بحرية استطاعت أن تخترق الحصار البحريني على القطيف وتصل لمساندة قوات الإمام فيصل . وجدّ بهذا عنصر جديد دفع بمحمد بن خليفة إلى تسوية مشاكله مع الأمير فيصل واستأنف إداء الزكاة[٢٠] .

لم يكن تحسن العلاقات بين الأمير فيصل والشيخ محمد بن خليفة إلا أمراً مرحلياً حيث بدأ الشيخ محمد يماطل في دفع الزكاة التي تعهد بأدائها . أرسل فيصل أحد رسله إلى البحرين لمفاوضة الشيخ ، وحين عاد المبعوث السعودي من مهمته التي لا تحفظ لنا الوثائق أهدافها ونتائجها ، عومل من قبل فيصل معاملة عنيفة ، وقام فيصل بتجريده من كل الهدايا التي أعطاها إياه الشيخ محمد ، ثم زجّ به في السجن . واحتج الشيخ محمد على معاملة فيصل هذه وهدده بالرد عليها عملياً بحصار القطيف مرة أخرى . وفي ١٢٦٦ هـ/ أبريل ١٨٥٠ م ، أرسل إلى فيصل شيخ البحرين رسولاً آخر هو سعيد بن مطلق ، قائده في البريمي، في مهمة لا نعلم الكثير من أهدافها ونتائجها. ولم يكن استقبال سعيد هناك إلاّ فاتراً ، ولم تؤد هذه المهمة إلى تحسن العلاقات[٢١] .

لم يكن المقيم البريطاني يرضى الحماية البريطانية على البحرين لزهده في مشاكل أسرتها الحاكمة ، ولكنه كان أشد رفضاً وأصدق عزماً في رد فيصل عن البحرين ، وعدم التمكين له فيها . كان المقيم هنيل يرى أن احتلال السعوديين للبحرين يعني فرض السيادة العثمانية عليها . «فالأمير السعودي يدفع

زكاة سنوية للباب العالي ، وهناك مندوبون رسميون من بلاط عباس باشا في معسكر الأمير ، كما أن الوكيل الوهابي في الكويت ، (وهي ميناء يتبع تركيا) يعتبر نفسه وكيلاً عن باشا مصر ، كما يوجد مندوبون أتراك على طول الساحل . وعلى هذا فإن البواخر الحربية التركية ستقوم بالإبحار في الخليج»[٢٢].

زادت المشاكل البحرانية السعودية في ١٢٦٦ هـ/ النصف الأخير من عام ١٨٥٠ م . وفي ربيع الثاني ١٢٦٧ هـ / أوائل ١٨٥١ م سار الأمير فيصل إلى نواحي الإحساء قاصداً العقير بعد أن نسق جهوده ضد أمير البحرين مع الشيخ مبارك بن أحمد[٢٣] وشيوخ، خصوصاً شيوخ العماير الذين وعدوه بغزو البحرين إذا وصل بهم إلى ساحل قطر[٢٤] . وصل الأمير السعودي فيصل إلى منطقة ما قرب العقير وتجمعت له قوة كبيرة من بدو المنطقة. وسار في معيته أبناء الأمير عبد الله بن أحمد إلى قطر،وقد وعده هؤلاء بأنهم سيدفعون له عشرة آلاف ريال حال غزوه لقطر وسيؤدون له بعدئذ ضريبة سنوية محددة . ولما شكك الأمير فيصل في موقف البريطانيين شجعه أبناء عبد الله بن أحمد وأكدوا أنهم لا يخشونهم إذا تمكنوا من ساحل قطر المصوب تجاه البحرين[٢٥] . توجس شيخ البحرين خيفةً من هذا التجمع وأخذ في أعمال سياسته في تفريغ ساحل قطر من الجماعات التي قد تساند الأمير فيصل. واستطاع أن يقنع أهل فويرات ووكرة بالنزوح إلى البدع ليشدوا في أزر أخيه الشيخ علي هناك. وتعهد أمير البحرين بدفع غرامة كان البريطانيون قد فرضوها على أهل هاتين المنطقتين لقيامهم ببعض التعديات البحرية. وأفاد أمير البحرين أن ابن ثاني رئيس الدوحة التي تعارض خططه يستطيع أن يؤدي لهم مبلغ الغرامة التي يطلبونها منه . كان هدف أمير البحرين الذي حمله حمود بن محمد أحد أقربائه إلى المقيم ترحيل كافة أهالي ساحل قطر إلى البدع ليكونوا تحت سلطة أخيه أو إلى البحرين ليكونوا تحت قبضته المباشرة، وذلك لمنع تعاونهم وتعاون الشخصيات المعارضة له مع الأمير فيصل . وأكد محمد بن خليفة أمير البحرين بأنه لا يخشى على نفسه من فيصل ما دام الأخير لا يملك قوة بحرية، وما دام لا يجد السند والدعم من أهل

ساحل قطر أصحاب القوارب . وبالرغم من تأكيد المقيم لحمود بن محمد مبعوث شيخ البحرين، بأن حكومته لا تتدخل في المسائل الداخلية للساحل، إلا أنه دعم هذه الخطة بسفنه الحربية بحجة أنه يريد استخلاص الغرامة المقررة على أهل ذلك الساحل[٢٦] . نزل فيصل إلى قطر وتمكن من قصر البدع الذي كان يحكم فيه علي بن خليفة الأخ الأصغر لشيخ البحرين ، تمكن فيصل من البدع وفرّ علي بن خليفة إلى البحرين، وأعلنت قطر انحيازها للإمام فيصل . وتدخل سعيد بن طحنون شيخ أبو ظبي مسانداً محمد بن خليفة أمير البحرين وأخاه . وانتهى الإشكال حين عاد سعيد بن طحنون ليسعى بالوساطة بين الطرفين في ١٢٦٧ هـ / نهاية يوليو ١٨٥١ م وأقام بينهما اتفاق سلام . قضى الاتفاق بأن يعيد فيصل قرية البدع للشيخ علي بن خليفة على أن يقوم محمد بن خليفة مرة أخرى باستئناف أداء الزكاة للرياض[٢٧] .

فيصل وأبناء عبد الله بن أحمد في سياسة البحرين :

لم يستمر الاتفاق طويلاً حيث مكّن الأمير فيصل لأبناء الشيخ عبد الله بن أحمد مرة أخرى في الدمام في مواجهة البحرين وعلى بعد أميال قليلة من القطيف . كتب الشيخ محمد بن خليفة إلى المقيم البريطاني شاكياً الوضع ، كما كتب إلى الأمير السعودي فيصل بن تركي متوعداً ومهدداً بأنه لن يؤدي ما عليه من زكاة ما لم يقم الإمام بترحيل أبناء عبد الله من الدمام . وتجمعت غيوم خطر الصراع مرة أخرى وانجلت حين اقنع الشيخ علي أخاه بدفع القسط المستحق لفيصل من الزكاة ، وأظهر فيصل مرونة في التعامل مع أمير البحرين تحسباً لرد الفعل الهندو بريطاني .

اختلف الوضع بالنسبة للمقيم بعد تدخل أبناء عبد الله بن أحمد بقيادة محمد بن عبد الله بن أحمد الذي كان يرى في نفسه الوريث الشرعي لحكم البحرين التي انتزعت من أبيه . أبلغ المقيم محمد بن عبد الله بأنه لا شأن له بالنزاع الأسري في البحرين ، ولا مانع لديه من أن يهاجم البحرين كيف شاء ،

وأنّى شاء ، بشرط أن لا يدخل السعوديون طرفاً في النزاع . فالسعوديون، كما كان رأي المقيم ، تابعون لقوة دولية أخرى . طلب المقيم في الوقت نفسه من حكومة بومباي أن تخوله منع كل تحرك من الساحل العربي في اتجاه البحرين دون التحري عن هوية المتحركين من البحرانيين أو من غيرهم (يعني بهم السعوديين) الذين يسيطرون على الساحل المواجه . فالجزيرة ، في رأي المقيم ، حين يتمكن منها السعوديون ستدخل تحت النفوذ العثماني من خلال والي مصر(٢٨) .

بعثة فيصل إلى المقيم البريطاني :

أرسل فيصل إلى المقيم مبعوثاً هو عبد الرحمن بن إبراهيم، حيث وصل إلى بوشهر في ١٩ شوال ١٢٦٧ هـ / ١٦ أغسطس ١٨٥١ م لينهي إليه أنه مندهش لتصرف الحكومة البريطانية حياله ، ووقوفها ضد مخططاته ، ومنعها أتباعه في رأس الخيمة ودبي من أن يعيروه قواربهم ومراكبهم ليسوقها إلى البحرين ليؤدب أتباعه الذين شقوا عليه عصا الطاعة هناك . كما استنكر مبعوث فيصل أن يسمح المقيم لسعيد بن طحنون شيخ أبو ظبي بأن يساند محمد بن خليفة بالمال والرجال . وطلب مبعوث فيصل تفسيراً للسياسة البريطانية تجاه الدولة السعودية . وأعلن هنيل لعبد الرحمن، مبعوث الأمير، صراحة بأنه لا يعترف بتبعية البحرين ومشيخات الساحل العماني لفيصل ، وإن لشيوخ الساحل العماني الحق في دعم محمد بن خليفة أمير البحرين لأن فيصل يهدد أراضيه . وأضاف المقيم أن كل ما يستطيع فعله ـ بعد إعلان هذا الموقف ـ هو تقديم النصح لمحمد بن خليفة ليعيد العلاقات الطيبة مع فيصل ، ولكنه لن يفعل أكثر من هذا(٢٩) .

كان قرار حكومة بومباي الضمني أن تظل البحرين مستقلة عن كل القوى الإقليمية . كتب المقيم لفيصل بأنه سيُجابه بالقوّة لو قصد إلى البحرين، كما أبلغ المقيم أمير البحرين عن عزم بومباي على الدفاع عنه . وأرسل المقيم في

١٢٦٧ هـ / ١٨٥١ م كل الفيلق البحري الذي كان في الخليج إلى مياه البحرين لحمايتها والتعبير عن الموقف الحاسم لحكومته تجاه الأحداث . لم يكن المقيم البريطاني مأذوناً من بومباي بذلك، لكنه كان يعتقد أن ما يقوم به يتمشى مع رغبة وزير الخارجية البريطاني الذي كان يؤكد على إبعاد النفوذ العثماني عن البحرين . وكانت أوامر المقيم لضباطه أن يتدخلوا بالقوة المسلحة لرد السعوديين عن البحرين إذا دعت الضرورة[٣٠] .

أرسل المقيم إلى بومباي يخطرها بسفارة الأمير السعودي وبأنها انتهت إلى تعهد من المبعوث بأن فيصل قد نفض يده عن أمر غزوالبحرين، بالرغم من تحفظه في أنه لن يسحب حقوقه في السيادة على قبائل البحرين وعمان وساحل الباطنة . كما أخطر المقيم بومباي بأن مبعوث فيصل قد طلب أن تقوم الحكومة البريطانية بضمان الاتفاق المبرم مع البحرين بشأن الزكاة والترتيبات الأخرى، وبأنه رفض أن يضمن الاتفاق ولكنه لا يرى ضيراً في أن يبذل مساعيه لجعل أمير البحرين يؤدي الزكاة التي هي «واجب ديني وليس إتاوة لجهة ما فلا تحمل معنى التبعية»[٣١] .

رأي حكومة الهند :

أرسل محمد بن خليفة في ١٢٦٨ هـ/ صيف ١٨٥٢ م إلى السيد سعيد بن سلطان في زنجبار يطلب إليه عقد حلف دفاعي هجومي ضد الأمير فيصل ، ولم يستجب سعيد للأمر ، وعاد الرسل إلى شيخهم بفكرة أخرى . عرف الرسل أن سعيد قد أرسل إلى عباس باشا في مصر يطلب إليه أن يمنع فيصل من إرسال حملة إلى عمان «في الشتاء القادم» كما يزمع . أشار هؤلاء على شيخهم أن يتبّع الأسلوب نفسه. فأرسل الأمير محمد بن خليفة سفارة إلى القاهرة برئاسة القائد النجدي السابق مطلق بن بتال المطيري الذي كان قد التجأ في فترة الامتداد المصري إلى البحرين، وقد سافر ابن بتّال إلى مصر عن طريق الكويت وفي جعبته عدة رسائل من الأمير محمد بن خليفة يشكو من فيصل بن

تركي والتقدم المرتقب لجيوشه تجاه قطر . ويبدو أن الوهابيين قد تعرضوا لبتال واضطروه للرجوع إلى الكويت، فركب سفينة من الكويت ولكنه لم يبلغ البحرين حيث مات غريقاً .وعلى العموم استطاع الأمير محمد بن خليفة أن يوصل خطاباته إلى القاهرة(٣٢) . وأرسلت القاهرة وفداً بقيادة آغا أفندي إلى البحرين في ١٢٦٩ هـ / ١٨٥٣ م . ورجع هؤلاء الرسل إلى القاهرة عن طريق نجد في ١٢٦٩ هـ / يونيو ١٨٥٣ م . ولم يفد هذا التحرك في شيء ولم يؤد إلاّ إلى زيادة الخلاف حيث لم تكن لعباس باشا أيّة سلطة فعلية في نجد(٣٣) .

في هذه الأثناء طلبت حكومة بومباي إلى حكومة الهند أن تضع لها بصفة محددة الخط الذي يجب اتباعه في حالة هجوم السعوديين على البحرين . وصدر عن الحكومة في الهند في ١٢٦٩ هـ / ١٠ مايو ١٨٥٣ م قرار يقضي بوجوب أن تقوم بومباي «بزرع كل العقبات في هذا السبيل، وذلك استناداً على أن حكومة جلالتها سوف لن تسمح باحتلال البحرين من قبل الحكومة التركية أو آخرين يعملون بالإنابة عنها»(٣٤) .

هاجم الأمير فيصل في ١٢٧٠ هـ / يوليو ١٨٥٤ م البحرين بألفي رجل في ١٢٠ مركباً كانت تخصّ محمد بن عبد الله والبوعينين . وعندما بلغ المقيم خبر الهجوم قام على السفينتين الفرات وكلايف إلى مياه البحرين . طلب المقيم هنيل من محمد بن عبد الله واللاجئين البحرانيين في الدمام مغادرة المنطقة إلى جزيرة قيس .ورجع المقيم بعد درء الخطر عن البحرين ، إلا أنه لم يحقق هدفه في ترحيل محمد بن عبد الله وأتباعه من الدمام .

كتب الأمير فيصل إلى المقيم هنيل في المحرم ١٢٧١ هـ / نهاية سبتمبر ١٨٥٤م يبرر هجوم أتباعه على البحرين. جاء في رسالة فيصل بأنه يجب على الحكومة البريطانية أن تعترف له بأن أرضه تمتد من عمان إلى الكويت ، وأن على المقيم ألا يتدخل في معاملته لأتباعه من آل خليفة وغيرهم من الخارجين عن طاعته . وشكا فيصل من أن محمد بن خليفة حاكم البحرين يحاصر

سواحل الإحساء ولا يستطيع أن يرده نتيجة لتدخل البريطانيين . وطلب فيصل إلى هنيل أن يتدخل لدى محمد بن خليفة ليرفع حصاره عن سواحل الإحساء وعن القطيف بصفة خاصة(٣٥) . ورد هنيل على فيصل بأن الحكومة البريطانية لا تعرف له حقاً في البحرين كما أبلغته سلفاً ، وأن للحكومة البريطانية معاهدات مع البحرين منذ ثلاثين سنة «بصفتها مستقلة تماماً» . ووعد هنيل بأنه سيعمل على دفع محمد بن خليفة للاتفاق مع فيصل ، وأن على فيصل أن يخطو الخطوة الأولى في هذا الصدد ، ويثبت لمحمد بن خليفة حسن النية وذلك بطرد محمد بن عبد الله من الدمام . واتبع المقيم ذلك بأن كتب لمحمد بن عبد الله بن أحمد في ١٢٧١ هـ / يناير ١٨٥٥ م يطلب إليه أن يترك الدمام ويرحل إلى الكويت إذا لم يمانع شيخها في استضافته. كما كتب خطاباً آخر إلى فيصل يحمل المعنى نفسه . ورد فيصل على هنيل بأنه يحكم باسم الدولة العثمانية التي يدين لها بالولاء ، وأن سلطانها قد فوّض له حكم كل العرب في هذه المنطقة . وأضاف فيصل بأنه يعرف تماماً وجود اتفاقات بين بريطانيا والأمراء البحريين عقدتها بريطانيا قبل ثلاثين سنة مضت . ويرجع فيصل هذه الاتفاقات إلى سعي بريطانيا لتنظيم نشاط صيد اللؤلؤ ، وتهدئة الأفراد الذين يعبثون بأمن الخليج . وقال فيصل إنه يقر بذلك تماماً ، كما يقر بوجود اتفاق بين أسلافه وبين الحكومة البريطانية يجري سريانه لمدة ١٠٠ عام لضمان أمن المسافرين في البحر والتجارة البحرية ، وأنه يحترم هذا الاتفاق . ومضى فيصل للقول بأن القائد المعين من قبله على البريمي يسيطر على البدو ويمنعهم من الاغارة على المشيخات البحرية . وقد رفض المقيم كل هذه الحجج وثبت على رأيه المعلن سلفاً بعدم حق فيصل في التدخل في البحرين وغيرها من المناطق التي ترتبط مع الحكومة البريطانية باتفاقات وتعهدات(٣٦) .

تسوية بواسطة المقيم :

أرسل الأمير فيصل في ١٢٧١ هـ / أواخر مارس ١٨٥٥ م محمد بن

عبد الله إلى كمبال المقيم البريطاني في الخليج ، وطلب إليه التوسط لإنهاء النزاع القائم بين الأسرة الحاكمة في البحرين وتسوية الأمر بين الأمير محمد بن خليفة حاكم البحرين ومحمد بن عبد الله . وقبل المقيم كمبال التدخل ووعد خيراً . وفي ١٢٧١ هـ / ١٥ مايو ١٨٥٥ م قام المقيم في كلايف وكونستانس إلى الدمام ،حيث التقى هنالك بمحمد بن عبد الله واصطحبه معه إلى البحرين للقاء محمد بن خليفة . ودارت بين الرجلين بحضور المقيم ، مفاوضات في يومي ٢١ و٢٢ مايو . ووصل الشيخان إلى اتفاق نقض بموجبه محمد بن عبد الله كل حق له في حكم البحرين ، وأقرّ بأنه لن يتعاون أبداً مع الأمير فيصل في الهجوم على البحرين مستقبلاً . ونال محمد بن عبد الله في مقابل ذلك ريع عدد من القرى والمقاطعات في البحرين . وتعهد الطرفان برد كل الخلافات التي تنشأ عن هذه التسوية إلى المقيم ليقطع فيها برأي ملزم لكليهما . وعلى هذا يمكن لمحمد بن عبد الله أن يسكن الدمام إذا رغب في ذلك وله أن يتركها إذا أراد . وكتب المقيم إلى فيصل يخطره بفحوى الاتفاق وطي ملف الخلاف في أسرة آل خليفة . ورد فيصل على المقيم بموجب خطابه في ١٢ شوال ١٢٧١ هـ / ٢٧ يونيو ١٨٥٥ م مباركاً التسوية ، ومذكِّراً المقيم في الوقت نفسه بأن البحرين تابعة له[٣٧] .

هجرة آل بني علي إلى الدمام ونتائجها :

هاجرت جماعات آل بني علي بقيادة علي بن سلطان من جزيرة قيس لتستقر في الدمام مع محمد بن عبد الله ، فأرسل الأمير محمد بن خليفة في أول محرم ١٢٧٢ / سبتمبر ١٨٥٥ م إلى المقيم يتهم محمد بن عبد الله بتحريك هذه الجماعة وذلك ليتقوى بها ضد البحرين ، مما يعني نقضاً للاتفاق الذي أبرم قبل شهور . وفي ١٢٧٢ هـ / مايو ١٨٥٦ م حين توفرت للمقيم فيلكس جونز سفن الحرب الكافية غادر إلى البحرين التي وصلها في ٤ مايو . وبعد أن حقق في الأمر وتحقق من أن محمد بن عبد الله شيخ الدمام كان وراء الأحداث

أرسل في استدعائه واستدعاء علي بن سلطان كذلك . وأبلغ المقيم شيخ الدمام محمد بن عبد الله بقرار حكومة بومباي من أن عليه أن يطرد الشيخ علي بن سلطان من الدمام ، «فإذا كان ذلك ليس في مقدوره فعليه شخصياً أن يترك الدمام فوراً ويرحل عنها» . كما أنهى المقيم إلى علي بن سلطان أن يتراجع إلى جزيرته التي جاء منها ، أو أن يسكن أية منطقة في الساحل العربي بعيدة عن البحرين بشرط ألّا تقع هذه المنطقة إلى الجنوب من الكويت أو إلى الشمال من أبو ظبي . وطلب الرجلان من المقيم مهلة لقضاء شهر رمضان الذي كان على الأبواب ينفذان بعدها الأمر فأعطيا المهلة. وفي شوال ١٢٧٢ هـ/ يونيو ١٨٥٦ م جاء القائد البحري أثيرسلي Ethersley إلى الدمام ليشهد على جلاء علي بن سلطان وجماعاته . ووجد ذلك القائد أن شيخ الدمام محمد بن عبد الله لا يريد لهم أن يرحلوا، وذلك ليزيد في قوته أمام شيخ البحرين ، كما وجد أن علي بن سلطان شيخ آل بني علي قد وصل إلى اتفاق مع الأمير محمد بن خليفة يرجع بموجبه بجماعاته ليسكن البحرين . وفي أواخر ١٢٧٢ هـ / ٢٥ يوليو ١٨٥٦ م تحركت جماعات آل بني علي من الدمام على قوارب أرسلها محمد بن خليفة لتستقر في البحرين[٣٨] .

أراد الأمير محمد بن خليفة أن يتحرش بشيخ الدمام محمد بن عبد الله فمنعه المقيم عن ذلك، حيث كانت حكومة بومباي جادة في قطع الجزيرة عن الساحل تماماً . وكانت بومباي تعرف معرفة أكيدة أن محمد بن خليفة ، حين يثير الاضطرابات في الساحل السعودي ، لن تكون النتيجة إلا زيادة في الامتداد السعودي في البحر . لم يرض محمد بن خليفة بهذه السياسة من حكومة الهند وسعى إلى شجبها فهو لا يريد أن يؤدي الزكاة للأمير فيصل ، ولا يريد كذلك الوفاء بالتزاماته المقطوعة لمحمد بن عبد الله . كتب الأمير محمد بن خليفة إلى المقيم البريطاني في ٢٢ جمادي الثانية ١٢٧٣ هـ / ١٠ مارس ١٨٥٧ م : «إني أدرك تماماً بأنه ليس ثمة خطر على حين استقرت جماعات آل بني علي في

الدمام وذلك لوجود اتفاق بيني وبين محمد بن عبد الله عقده السركار . وحين نقض محمد بن عبد الله الاتفاق كان أملي أن تقوموا بتوبيخه على ذلك ولكنكم وافقتم محمد بن عبد الله بأنه لم يقم باضطرابات ، وإن دوره في هذا كان ثانوياً . غير أني أقسم لكم بالله العظيم بأنه ما قامت اضطرابات في هذه المنطقة صغيرة أو كبيرة إلا ومحمد بن عبد الله هو المحرك لها وهذه حقيقة بينة لا تحتاج إلى دليل» . ويستطرد الشيخ ليقول للمقيم بأنه يريد أن يقيم علاقاته مع الدمام على أسس جديدة ، وأنه يرجو أن يشهد المقيم هذه المفاوضات لأن دخوله في مفاوضات لا يشهدها المقيم مع محمد بن عبد الله هو أمر غير مجدٍ «لأنك تسيطر على الجميع ومفاوضاتك هي الناجعة ،وليس سوى ذلك من شيء» . وعليه «فإننا نرجو من الله ثم منكم العدل» ، ويجنح محمد بن خليفة إلى القول بأنه لن يثق في أية عهود يقطعها محمد بن عبد الله على نفسه، فالعداء الكامن فيه سيجعله يحرك الجماعات الأخرى ضده . وينتهي شيخ البحرين إلى القول بأنه لا يحسد محمد بن عبد الله على المكانة التي نالها عند المقيم رغم معرفته بأنه لا يخلص له الود . ويصل محمد بن خليفة في ختام الرسالة إلى أنه يريد حلاً يرضي جميع الأطراف[٣٩] .

لم يحرك هذا الخطاب الرقيق المقيم، فكتب رده إلى الشيخ محمد بن خليفة في ٢٥ رجب ١٢٧٣ هـ / ٢٠ مارس ١٨٥٧ م بأنه يدرك تماماً أن محمد بن عبد الله قد خرق اتفاقه ، إلا أن اعترافه بالخطأ قد رده إلى الصواب . ويطلب الخطاب إلى شيخ البحرين بأن يكون كريماً مع محمد بن عبد الله وأن يطلق يده في الممتلكات التي حددها الاتفاق السابق بينهما . وكانت الاتصالات جارية بين شيخ الدمام والمقيم في هذا الوقت نفسه، فقد أرسل محمد بن عبد الله إلى المقيم يطلب إليه أن يعمل على إزالة سوء التفاهم بينه وبين شيخ البحرين . ورد المقيم في شعبان ١٢٧٣ هـ / ٣ أبريل ١٨٥٧ م يقول بأنه سيتوسط لتسوية الأمر حال أن تأذن له بومباي بذلك[٤٠] .

كان شيخ البحرين ثابتا في عدائه لمحمد بن عبد الله ولم يُرضه موقف المقيم المتهاون . ورد الشيخ على المقيم في ٦ شعبان ١٢٧٣ هـ / ١١ أبريل ١٨٥٧ م ، «بأن القرى التي خصصت لمحمد بن عبد الله لا تزال بيد وكيله وأرجو أن لا تعتقد بأني أحسده عليها أو أريد حرمانه منها»[٤١] . ويشهد الحاج قاسم الوكيل البريطاني في البحرين في خطابه بتاريخ ٩ شعبان ١٢٧٣ هـ / ١٤ أبريل ١٨٥٧ م بأن محمد بن خليفة كان يطمع في «أن لا يُمكِّن أبناء المرحوم عبد الله بن أحمد من مزارعهم إلا بحضور المقيم، ولكنه عدل عن ذلك الآن»[٤٢] . وبهذا بدأت الأمور تنفرج عن وفاق قصير الأمد أنهاه موقف حكومة بومباي . كتب اندرسون سكرتير الحكومة في ٢٩ مايو ١٨٥٧ إلى المقيم بأن «الحاكم في مجلسه يحذركم من أي سلوك يظهرك بمظهر المتعاطف مع شيخ الدمام ومساندة ادعاءاته ضد شيخ البحرين» . ويفند خطاب الحكومة رأي المقيم فيشجبه ، فالحكومة لا ترى ضرورة أن يعيد محمد بن خليفة لمحمد بن عبد الله الأراضي التي حددها الاتفاق الذي أحدثه المقيم كمبال . «إن هذا لن يعيد الوئام ، ولن يدمل الجراح القديمة ، فالخلاف قائم عاجلاً أم آجلاً» . ويضيف الخطاب : «إنه من الأوفق أن تحاول دفع شيخ البحرين لإرضاء خصمه ، ولكن عليك وأنت تتعامل مع هذا الموضوع أن تتسم بالحرص الشديد. فقد أقدم شيخ الدمام على خرق الاتفاق الذي أبرم سلفاً بواسطة الكابتن كمبال مما يجعل التزام شيخ البحرين تجاهه غير ملزم» . وتوصي بومباي المقيم بأنه يجب عليه أن يزيد في ثقل شيخ البحرين[٤٣] . وتوافق حكومة الهند على رأي بومباي ، ويكتب المقيم لبومباي معتذراً متنصلاً[٤٤] ، وينتظر الفرصة لينقلب على شيخ الدمام .

خط جديد لمعالجة الأزمة :

تسنح للمقيم البريطاني الفرصة لمحاباة شيخ البحرين ضد شيخ الدمام حين كتب الأخير إلى المقيم في ١٠ شوال ١٢٧٣ هـ / ٢ يونيو ١٨٥٧ م خطاباً جاء منه : «إن هذا هو الخطاب الثالث في سلسلة خطاباتي لكم ، وأرجو أن

تردوا عليّ كي يستقيم خاطري» . وينتهي الخطاب بأن «آل بني علي قد جاؤوا لنصرتي ولم أقبل مساندتهم امتثالاً لأمر السركار . وبما أن شروط الاتفاق تقضي بأن يرد الخلاف الناشىء عن تطبيقه إلى المقيم ليفتي فيه فإني أطلب إليك أن تنظر في الأمر ، لأنك إذا تركت شيخ البحرين يتصرف كيف يشاء ، وغللت يدي عن التصرف ، فإن أموري ستضطرب . وعليه أرجو أن تتدخل لدى الشيخ محمد بن خليفة كي يقوم بتنفيذ تعهداته الواردة في الاتفاق ، أو تتركني لشأني لأتصرف كيف أشاء»[٤٥] . وفي الجملة الأخيرة وجد المقيم بغيته لتطبيق سياسته الجديدة حيث رد على شيخ الدمام بخطاب جاء فيه : «لم تعجبني اللهجة التي أنهيت بها خطابك . يجب أن تعرف بأنك خرقت هذا الاتفاق بسوء تصرفك . ويترتب على هذا أنه ليس من حقك أن تطلب شيئاً من وراء اتفاق لم تلتزم بشروطه . يجب أن تدرك أني لن أسمح لك بإثارة أية اضطرابات في هذه المنطقة ، وعليك أن تلزم نطاق الشرعية بمعالجة الأمور بواسطتي . كما يجب عليك أيضاً أن تدرك بأني سأتبع أسلوباً كالذي أجبرتني على اتباعه معك في الصيف الماضي وذلك حال قيامك بأي تآمر . وإذا حدث أن قمت بالتآمر ، كما تنبىء الفقرة الأخيرة من خطابك، فإني سأقوم بطردك من الدمام»[٤٦] . ويطبق المقيم سياسته العدائية تجاه شيخ الدمام فوراً حتى أنه يرفض مقابلة سفارة أرسلها ذلك الشيخ برئاسة أخيه إلى المقيمية في بوشهر . ويعتذر محمد بن عبد الله في خطاب لاحق حرره للمقيم عن الضيق الذي سببه له «وأرجو أن تعذرني إن وقعت معكم في خطأ غير مقصود فذلك نابع من الشعور بالغبن ، كما تدركون»[٤٧] . وينتهي الخطاب بالتعبير عن الأمل في وصول المقيم إلى المنطقة «ليحكم في الأمر» . وفي غمار هذه الأحداث يتصل شيخ البحرين بقبيلة العماير التي كانت تقيم شمال القطيف ويحرّضها على التمرد وتحدي سلطة الأمير فيصل . كتب الوكيل الوطني البريطاني بهذا الأمر إلى المقيم فيلكس جونز فرد جونز في ١٢ ذي القعدة ١٢٧٣هـ / ٣ يوليو ١٨٥٧م «بأن شيخ الوهابيين ليس على علاقة طيبة بالسركار ، ولا يهمنا من أمر مهاجمة قبيلة العماير

للقطيف شيء ، بل إننا لا نريد حتى أن نتحرى صدق هذا الأمر» . وينتهي خطاب المقيم إلى الوكيل الوطني البريطاني في البحرين إلى أن كل ما يهم الحكومة البريطانية من هذا الأمر هو عدم اضطراب أمن البحر . «ويقتضي هذا الأمر ، ألّا تقوم القبيلة المذكورة بمهاجمة القطيف بحراً ، وألّا يساعدها شيخ البحرين في هذا الشأن»[٤٨] .

قام جونز ، المقيم البريطاني، في عام ١٢٧٤ هـ/ مايو ١٨٥٨ م ليحكم في الخلاف بين البحرين والدمام فبدأ بمقابلة الأمير محمد بن خليفة وأخيه علي . وكان من رأي هذين الشيخين أن محمد بن عبد الله قد فقد كل حق له في البحرين حين نقض الاتفاق الذي أبرمه المقيم كمبال سلفاً . ولم يعترض المقيم على هذا الرأي ولكنه أضاف بأن العطف على العدو يساعد على تفتيت العداء ، ويقود إلى حفظ الأمن فوق البحار ، وهذا هو الهدف الذي تسعى الحكومة البريطانية لتحقيقه . أسفرت مفاوضات المقيم مع الشيخين المذكورين عن إعطاء محمد بن عبد الله الفوائد المادية التي حصل عليها بموجب اتفاق كمبال في حالة موافقة محمد بن عبد الله على الخروج من حماية الحاكم الوهابي والنزوح من الدمام ليلحق بأهله في الكويت»[٤٩] .

أرسل المقيم في طلب محمد بن عبد الله . وعلى ظهر سفينة المقيم الراسية عند سواحل البحرين بدأت المفاوضات . طلب المقيم من محمد بن عبد الله ، كما جاء في التقرير المرسل منه إلى حكومة بومباي،«أن تخرج عن طوق الحماية التي يفرضها عليك الحاكم الوهابي ، وأن لا تقوم بخدمة أهدافه ، وأن تتجنب أي عمل من شأنه إثارة اضطراب في أمن البحار . وعلى هذه الشروط فقط ، يمكن أن يشملك كرم شيخ البحرين الذي سيقوم هو بتقديره» . وعبثاً حاول محمد بن عبد الله رد المقيم إلى موقف معتدل . وانتهت المفاوضات حين أنهى الشيخ محمد بن عبد الله إلى المقيم بأنه لن يغادر الدمام «فهي الملجأ الذي أقطعه إياه الحاكم الوهابي ، وإنه إذا حدث أن غادر

هذا الملجأ فسيهلك وأهله جوعاً لأنه يعتمد حالياً على العطاء القليل الذي يصله من شيخ الوهابيين» . وعلى هذا كان تقرير المقيم لبومباي بأن الخلاف عميق ، وصدعه لا يرأب . كما أشار تقرير المقيم بأن آل بني علي وشيخهم علي بن سلطان يقيمون منذ أن طردوا من الدمام في ذي القعدة ١٢٧٢ هـ / يونيو ١٨٥٦ م في كنف شيخ البحرين .

ما إن وصل المقيم إلى بوشهر حتى لحق به علي بن خليفة يحمل نيابة عن أخيه أسساً أخرى للصلح مع الدمام . تدور الشروط على أنه يمكن أن يدفع شيخا البحرين لمحمد بن عبد الله مبلغاً مماثلاً للمبلغ الذي كان ذلك الشيخ يتلقاه في حياة والده ، على أن لا يتدخل في أمر المبالغ التي سيدفعها شيخ البحرين لإخوة محمد بن عبد الله الذين يسكنون البحرين أو الكويت ، وأن لا يكون لشيخ البحرين أدنى التزام تجاه أبناء عبد الله بن أحمد الآخرين الذين يقيمون مع أخيهم في الدمام[٥٠] . وقد قصد الأميران محمد بن خليفة وأخوه علي تجريد محمد بن عبد الله بن أحمد من الدعم الذي يمكن أن يجده من إخوته الذين ستتعامل البحرين معهم، كل وفق قوته . كما قصد شيخا البحرين ـ فيما نعتقد ـ حرمان محمد بن عبد الله من مساندة إخوته الذين سيخرجون بموجب هذا من الدمام إلى البحرين ليقيموا مع أتباعهم هنالك. وربما قوي الشيخ في البحرين بهم وبأنصارهم وفتّ ذلك في عضد محمد بن عبدالله. ونعتقد أيضاً أن إسراع الشيخ علي في أثر المقيم بشروط جديدة للصلح كان بسبب معرفة الشيخ محمد بن خليفة بأن «محمد بن عبدالله قد خرج بعد لقائه غير المثمر مع المقيم مباشرة لمقابلة الحاكم الوهابي، وذلك في محاولة منه لتحريك عداء الوهابيين تجاه البحرين». ويرى الوكيل الوطني البريطاني في البحرين أن هناك خطراً محدقاً بالجزيرة إذا تحرك السعوديون رغم ما يعتقده شيخها من أن «القوة التي بين يديه كافية لرد أي اعتداء على الجزيرة يأتيها من الساحل المواجه».

يستعد المقيم لمواجهة القوة التي ربما ترسلها نجد مع محمد بن عبد الله

فيصدر أوامره في ١٥ ذي الحجة ١٢٧٤ هـ / ٢٦ يوليو ١٨٥٨ م إلى القائد الأعلى للسفن الحربية في الخليج ، والتي جاء فيها أنه يعتقد أن محمد بن عبد الله قد عاد من نجد واستقر في منطقة ما في الساحل في مجاورة البحرين ، وإن له مخططات عدائية تجاه تلك الجزيرة . وعليه «أرجو أن تبحر إلى مياه تلك الجزيرة، وتعمل على مجابهة الأمر. أما إذا كان الأمر مجرد إشاعة فإن زيارتك ستزيد من ثقة شيخ البحرين فينا ، وستوعز للآخرين بأننا جادون في رصد تحركاتهم . ويقع عليك أيضاً أن تتحدث في البحرين مع بعض الفئات التي يشك الشيخ في ولائها له حتى تظهر بمظهر من يراقب الموقف بدقة» . ويشرح المقيم للقائد البحري سياسة حكومته تجاه البحرين فيقول : «إن سياستنا الراهنة تقضي بالحفاظ على الأحوال في البحرين على ما هي عليه الآن حفاظاً على التوازن في منطقة الخليج . فإذا تبين لك أن محمد بن عبد الله أو أي عدو آخر لمحمد بن خليفة يخطط بشكل مباشر لغزو الجزيرة ، أو الإخلال بأمن البحار ، فإنك مكلف بموجب هذا باتخاذ كافة الترتيبات الاسطولية المباشرة ، واستعمال القوة التي تحت إمرتك لضرب مناطق الأعداء ، وتشتيت أي تجمع من قبل تلك القوى يتحرك في اتجاه البحرين ، وضرب كل قارب يتحرك بذلك القصد . وعليك أيضاً ألاّ تقوم بأي عمليات في البر مهما كانت الظروف»(٥١) .

تقدم القائد البحري إلى الجزيرة ولما لم يجد خطراً ماثلاً عليها طمأن شيخها واستخلص منه طرفاً من غرامة قديمة كان المقيم قد فرضها عليه سلفاً(٥٢) . وفوّض المقيم بعدئذ قائد السفن البريطانية في الخليج تفويضاً دائماً للتدخل في أية لحظة يتجدد فيها النزاع بين البحرين والدمام ، وأن عليه أن يذكّر محمد بن عبد الله دائماً بأن حكومة الهند سوف لن تسمح له بالاقامة في الدمام أو أي مكان آخر قريب من البحرين «في حالة اصراره على التآمر على شيخ البحرين»(٥٣) .

البحرين تحاصر الساحل السعودي اقتصادياً :

شعر أمير البحرين بثقة مفرطة من جراء حماية سفن الحرب البريطانية، وقادته هذه الثقة إلى القيام بأعمال مخالفة لما يريده المقيم . أراد محمد بن خليفة أن يقطع تجارة البحرين عن الساحل السعودي فمنع البنيان ، وهم من الرعايا البريطانيين ، من الإتجار مع القطيف وذلك بدعوى أن علاقاته مع القطيف سيئة وأنه «لا يعرف موقفه من الأمير فيصل الذي لم يرسل في هذه السنة أحد عماله لجباية الزكاة»(٥٤) .

أراد محمد بن خليفة كتم خبر هذا الحصار الاقتصادي عن المقيم ، وبات يهدد الوكيل الوطني البريطاني ويتوعده حتى لا يفشي بهذا الأمر للمقيم . وارتكب محمد بن خليفة بهذا في نظر المقيم ثلاث مخالفات ، الأولى : زيادة الخلافات بين البحرين والساحل السعودي بما فرضه من حصار ، والثانية : إنه حظر على الرعايا البريطانيين العمل في تجارة مشروعة ، والثالثة تهديد الموظف البريطاني المسؤول . ولما علم الأمير محمد بن خليفة أن أمره قد انكشف لدى المقيم قام بوضع ضرائب عبور على بضائع الرعايا البريطانيين، كما أعلن أنه سيطرد البنيان عن أرضه. وعلى هذا فقد أمير البحرين ثقة المقيم، كما فقد سلفاً ثقة الأمير فيصل(٥٥) .

كتب المقيم في المحرم ١٢٧٥ هـ / ٦ سبتمبر ١٨٥٨ م إلى محمد بن خليفة بما بلغه من أخبار فرضه للضرائب غير العادية على بعض القوارب التي تحمل العلم البريطاني ، وأنه قد حظر تحركاتها مما سيسبب خسائر مادية للرعايا البريطانيين «وأخطرك بأني مصمم ، باسم السركار ، على أن تتحرك هذه القوارب دون قيد أو شرط، ودون اعتراض منكم مهما كان السبب . وسأعتبرك مسئولاً عن كل ما ينجم عن خسائر ، وكل نتائج هذا العمل. وإني لواثق بأنك ستبرر عملك هذا بمسئوليتك عن حماية أمن وممتلكات الرعايا البريطانيين .ولهذا أبلغك بأن حدود مسئوليتك عن الأخطار الحقيقية التي قد يتعرض لها الرعايا

البريطانيون تنتهي عند حدود أراضي البحرين التي تقع بصفة فعلية تحت حكمكم . وأرجو أن أبلغك أيضاً بأن هذه الأعذار لن تنطلي عليّ. فالحكومة البريطانية لن تقبل أدنى إساءة للقوارب التي تحمل العلم البريطاني ، ولن تطلب إلى شيخ البحرين حمايتها إلا حين تكون في مينائه»[٥٦] .

البوصميط والبوكوارة :

حاول محمد بن عبد الله أن يأتي البحرين من اتجاه آخر فحرك في ذي الحجة ١٢٧٤ هـ / يوليو ١٨٥٨ م بعض الجماعات المناوئة لشيخ البحرين التي كانت تسكن جزيرة الخرج «خارك» التي كانت تحت حكم أخيه حسن بن عبد الله ، وكذلك بعض الجماعات العربية التي كانت تسكن الساحل الشرقي للخليج مكرراً بذلك ما فعله مع آل بني علي قبل حوالي السنتين . كان لهذه الجماعات قضايا لم تحسم مع شيخ البحرين . وكانت هذه الجماعات تسعى للإقامة في البحرين والساحل السعودي المواجه للمشاركة ـ في ما يبدو ـ في التجارة التي بدأت تروج في الخليج . فحذر المقيم شيخ البوصميط الذي حاول مساندة محمد بن عبد الله . ورد شيخ البوصميط بأنه إذا «كان رأي السركار أن لا يساعد الناس بعضهم بعضاً لزم إخطارنا»[٥٧] .

أما محمد بن سعيد الكواري فقد أراد حسم خلافاته مع شيخ البحرين بالانحياز للمعسكر المناوىء . وترجع مشكلة الشيخ الكواري إلى فترة سابقة حين احتجز الشيخ محمد بن خليفة بعض الغواصين الذين يعملون معه . تدخل المقيم لحسم الخلاف صلحاً لأنه رأى أن تحرك الكواري ليسكن في الساحل السعودي المواجه للبحرين سيبعث الحياة في الخلافات الهامدة .طلب المقيم إلى الكواري أن يبقى حيث هو أو أن يذهب إلى البحرين ويسكن في كنف شيخها كدأب آل بني علي سابقاً . ووجد المقيم في الكواري تصميماً للانضواء تحت راية المعارضين لشيخ البحرين في الدمام[٥٨] . قبل الكواري بعد لأي أن يسكن قطر بشرط أن يرد شيخ البحرين له جميع مظالمه ، ورفض شيخ البحرين

ذلك . وأخيراً سمح المقيم للكواري في ٢٣ شعبان ١٢٧٥ هـ / ٢٩ مارس ١٨٥٩ م أن يهاجر للساحل العربي بشرط أن لا يسكن في المنطقة الواقعة بين أبو ظبي والكويت[٥٩] .

قام الكواري بعدئذ بزيارة الأمير فيصل في الرياض ثم عاد إلى جزيرة الخرج وغشي الكويت في طريق رجعته . كتب محمد بن خليفة للمقيم بأن فيصل ربما سمح للكواري بأن يسكن القطيف : «وبما أنه من ملاك القوارب فإنه سيعمد إلى إثارة اضطراب البحر» . وطمأن المقيم الشيخ بأنه قد حظر على الكواري الاقامة في المنطقة الواقعة بين أبو ظبي والكويت. ويأتي قرار حكومة الهند في ٣ شوال ١٢٧٥ هـ/ ٥ مايو ١٨٥٩ م موافقاً لما فرضه المقيم: «إن لهذه الحكومة سياسة ثابتة واضحة محددة وهي أنه يجب على المقيم مساندة الشيخ محمد بن خليفة شيخ البحرين الحالي . ويقع على المقيم أن يحمي ذلك الشيخ من محاولات شيخ الدمام والشيوخ الآخرين كلما كان ذلك بالامكان . كما يوافق الحاكم العام في مجلسه على الاخطار المرسل منكم إلى محمد سعيد الكواري يحظر استقراره في منطقة بذاتها على الساحل العربي . إن إبعاد هذا الشخص عن بؤرة الصراع تجعلنا أقدر على تحقيق أهدافنا . أما إذا حدث أن استقر الكواري في أراضي الحاكم الوهابي أو أي حاكم آخر فيجب على ذلك الحاكم إعلان مسئوليته عن سلوك الكواري»[٦٠] .

كان محمد بن عبد الله شيخ الدمام يخطط لكسب هذه القوة البحرية المناوئة فخاطب المقيم في ٥ شعبان ١٢٧٥ هـ / ١١ مارس ١٨٥٩ م بأن «أرض البحرين أرضي وأنا أطلبها ولن أعمل على إثارة اضطراب أمن البحر . وإنك تعرف ، وجميع الخلق يشهدون ، بأن البحرين تابعة لأبي ولأجدادي من قبله ، وهذا أمر أوضح من الشمس . ولهذا فإني أكتب إليكم محذراً بأني لن أتغاضى عن حقوقي ، وسأنتهز كل فرصة ممكنة للحصول عليها»[٦١] . ويرد المقيم في ١٩ شعبان/ ٢٥ مارس بأن «صبر السركار قد نفذ ، وإنك إذا سرت

في طريق المغامرات هذا لن تجني من ورائها شيئاً ، وستخسر ملجأك في الدمام»[٦٢] .

حوار سعودي بريطاني :

استمرت السفن البريطانية تراقب سواحل الدمام فلم يرض الأمير فيصل عن هذه التحركات عند سواحله . أرسل فيصل في ٢٥ شعبان ١٢٧٥ هـ / أبريل ١٨٥٩ م إلى المقيم رسالة حملها إليه محمد بن سعيد الكواري . كتب فيصل إلى المقيم البريطاني محتجاً على ذلك ناهياً المقيم البريطاني عن التدخل في شئون رعاياه الذين يقيمون على ذلك الساحل[٦٣] . ويرد المقيم على فيصل منكراً أي تدخل من قبله في شئون أتباع الأمير ، معلناً في الوقت نفسه عن عدم رضائه عن استضافة الكواري في الأراضي السعودية . وكتب المقيم في الوقت نفسه رسالة إلى محمد بن أحمد السديري ، قائد فيصل في منطقة الإحساء ، معبراً عن معارضته للجوء محمد سعيد الكواري للساحل السعودي ، راجياً أن ينظر الأمير فيصل لهذه المعارضة «بعين الصداقة» ، لأن الغرض من ذلك هو «استتباب الأمن في المنطقة» . ويذهب خطاب المقيم للسديري إلى أن : «الوكيل في البحرين قد حدثني ذات مرة بأنك تنوي زيارته للنظر في أمر العلاقة التي تربط بين حاكمكم ذي السمعة العالية وبين الحكومة البريطانية . كما عبرت عن هذه الرغبة مرة أخرى بعد أن عرفت بأن هنالك تحركات للسفن البريطانية في المنطقة التي تليكم من البحر . وعليه أرجو أن تقوم بالاتصال بي شخصياً بدلاً من الوكيل في البحرين الذي لن يستطيع التجاوب مع رغباتك أو أن يقوم بفعل شيء ما دون تخويل مني . وأرجو أن أعبر لك بأن التقارير التي وصلت إليك عن تحركات سفننا غير صحيحة . ولم أسمع بأن أياً من رعايا الأمير فيصل قد أضير من جراء تحركاتنا ، وما ذلك إلا لأن الحكومة البريطانية تحترم قواعد الصداقة التي تربطهم مع الإمام فيصل ، وإن موظفي هذه الحكومة وأنا على رأسهم يسعون بكافة السبل لتقوية أواصر

التحالف القائم بيننا . فماذا نستطيع أن نفعل فوق هذا؟ . » وينتقل الخطاب إلى القول: «أما إذا كنت تشير إلى أشخاص آخرين لجأوا إلى الأماكن التابعة لكم وانتهزوا بعد ذلك الفرص لاثارة الاضطراب في أمن البحار ، فأرجو أن أشير لكم بأني أراقب سلوك هؤلاء مراقبة جادة ، وسأقوم بحسم الأمر بكل قوة . إني لن أتهاون مع هؤلاء الذين يُعرِّضون أمن البحار للخطر . أرجو أن أؤكد لك مرة أخرى بأننا لا نريد التدخل في شئون صاحب السمو أو الذين يلجأون إليه ، ولكني أعبر لك بأن مصلحة سموه بالإضافة إلى مصلحة حكومتي فارس وتركيا والأطراف الأخرى مجتمعة تقتضي أن تكون البحار آمنة . ويقع تنفيذ هذا الأمر على كاهل الحكومة البريطانية وعلى جنودها الذين لن يغفلوا عن تحقيق هذا الهدف طرفة عين . ولهذا أرجو أن أؤكد للأمير بأنه ليس ثمة خلاف بيننا ما دامت دوافع الأمن هي المحرك للجميع»(٦٤) .

رد فيصل على المقيم جونز بتاريخ ٢٨ شوال ١٢٧٥ هـ/ ١ يونيو ١٨٥٩ م يخطره بوصول الخطابين المرسلين له وللسديري . وأنه قد فهم منهما «بأن الحكومة البريطانية تسعى لكي تكون علاقتها معنا ودية ، وليس لديها الرغبة في التدخل في أمر اللاجئين لنا من أهل البحار والذين استوطنوا السواحل الراجعة لسيادتنا . وهذا رأي طيب . وعلى هذا فقد كتبت لعمالي في تلك المنطقة أوجههم بالابتعاد عن كل ما يفسد أمن البحار ، وأن لا يسمحوا لمن لا يتقيد بهذا الأمر بالسكنى في مناطقنا . يبقى بعد هذا أن أشير لكم بأنه في حالة أن يقوم أحد أتباعنا بعمل يسيء إلى العلاقات القائمة بيننا وبين الحكومة البريطانية فعليكم إحالة هذا الأمر إلى عمالي في المنطقة الذين سيحققون فيه ، وإذا لم ترضكم القرارات الصادرة عنهم أرجو إحالة الأمر إلي وسأتولى بنفسي معالجته . كما أرجو أن أشير بأن حاكم الإحساء حين طلب لقاء وكيلكم في البحرين إنما أراد أن يطلب إليه الاتصال بكم كي تبتعدوا عن التدخل في شئون رعايانا مراعاة منكم للصداقة التي تقتضي أصولها ذلك»(٦٥) .

وفي هذا الوقت نجد جملة من الخطابات أرسلها الشيخ محمد بن خليفة وأخوه علي إلى المقيم البريطاني . تفيد هذه الخطابات المتواترة في الفترة من ١٢ ذي الحجة إلى ١٦ ذي الحجة ١٢٧٥ هـ / ١٤ - ١٨ يوليو ١٨٥٩ م بأن هناك خطراً محدقاً بالجزيرة من جراء الأعمال التي يقوم بها محمد بن عبد الله والقبائل الضاربة حول الدمام وبدو نجد بصفة عامة . ويستلفت النظر بصفة خاصة خطاب الشيخ علي بن خليفة للمقيم البريطاني في ١٣ ذي الحجة الذي يطلب فيه إرسال سفينة حربية بريطانية إلى مياه البحرين[٦٦] .

ساد الارتباك صفوف محمد بن خليفة وأخيه علي، ولاحقاً المقيم بخطاباتهما المتكررة . ورد المقيم على الشيخين في ١٦ ذي الحجة ١٢٧٥ هـ/ ١٨ يوليو ١٨٥٩ م بأنه لا يرى داعياً يستوجب كل هذا الارتباك، خصوصاً وأنه قد حذر مجدداً محمد بن عبد الله في الدمام بخطاب جاء فيه : «إن أية محاولة منكم للتحرك وإثارة العداء بحراً ستضطرني إلى أن أعلن بأنك عدو للسلم في البحار ، ولن تنصبّ المشاكل إلا على رأسك وحدك . إني بهذا أحذرك من أني أعتبرك مسئولاً عن كل عمل يأتي به الآخرون الذين يساندونكم في الدمام»[٦٧] . كما أرسل المقيم البريطاني في ٢٠ ذي الحجة/ ٢١ يوليو خطاباً آخر يوافق فيه على إرسال السفينة التي طلبتها البحرين[٦٨] . وبالرغم من رد محمد بن عبد الله للمقيم في ١٨ أغسطس ١٨٥٩ م بأنه لا يسعى إلى إفساد أمن الخليج، وأنه ما فتئ يسعى جاهداً لصداقة الحكومة البريطانية رغم أن «الأعداء يسعون بيننا بالقطيعة»[٦٩] ، إلا أن المقيم أصدر تعليماته في/ ٣٠ أغسطس إلى القائد الأعلى لقطع الأسطول في الخليج بإرسال فوكلاند Falkland لتبحر في مجاورة الدمام بهدف «تقديم الدعم المعنوي والمادي لشيخ البحرين» ، جاء في الأوامر الصادرة لذلك الضابط[٧٠] : «نتوقع قيام بعض البدو من الساحل المواجه بالهجوم على البحرين . فإذا كان هذا الأمر صحيحاً فإننا نفوِّض قائد السفينة فوكلاند بضرب تجمعات السفن الوطنية في تلك المنطقة ، وحماية الجزيرة والدفاع عن شيخها بشكل حاسم دون أن تقوم بأي عمل

عسكري على البر» . أما إذا لم تكن هنالك مشاكل بارزة فعلى قائد فوكلاند ـ بعد التشاور مع الشيخ ـ أن يقوم بالإبحار في المنطقة الواقعة بين البحرين والدمام والقطيف ، وأن يقوم ببعض الاستعراضات الأسطولية في تلك المنطقة ، وأن يقوم كذلك باستعراضات على سواحل صيد اللؤلؤ لاعطاء دفعة ثقة لشيخ البحرين .

تصل فوكلاند إلى مياه البحرين في ١٥ محرم ١٢٧٦ هـ/ ١٥ أغسطس ١٨٥٩م، ويقع سوء تفاهم بين قائد السفينة المتغطرس وبين أمير البحرين . وترجع السفينة دون أن تنفذ من أوامرها شيئاً . وتعود السفينة إلى البحرين مرة أخرى بخطاب اعتذار من المقيم جاء فيه : «أرجو أن تثق بأني لا أريد مساعدتكم فقط ولكني أريد أيضاً أن أحفظ عليكم كرامتكم ومكانتكم». وخيّر المقيم شيخ البحرين في الاحتفاظ بالسفينة أو الاستغناء عنها[٧١] .

طلب الأمير إلى قائد السفينة أن يبقى في مياه البحرين أسبوعاً وذلك لرد كل اعتداء يمكن أن يقع من شيخ الدمام «الذي سيستمر في عدائه لنا ما بقي على أرض الوهابيين»[٧٢] .

أرسل الوكيل الوطني البريطاني في البحرين في ١٨ صفر ١٢٧٠ هـ / ١٦ سبتمبر ١٨٥٩ م إلى المقيم خطاباً يقول فيه إن هناك تعبئة حربية في الإحساء استعداداً «لشن الهجوم على البحرين ، وأن القوارب المعادية تتجمع على السواحل استعداداً لتنفيذ الهجوم» . وإن هنالك حالة من القلق تلف أهل البحرين من جراء ذلك . وكان المقيم قد أصدر في نفس هذا اليوم أوامره لمجموعة من سفن الحرب البريطانية للتقدم إلى مياه البحرين خوفاً من صحة الاشاعات التي تفيد بأن هناك «هجوماً وشيكاً على هذه الجزيرة»[٧٣] .

أرسل المقيم البريطاني مع هذه السفن الحربية خطابين مؤرخين في ١٨ صفر ١٢٧٠ هـ/ ١٦ سبتمبر ١٨٥٩ م أحدهما إلى محمد بن عبد الله والآخر إلى فيصل . جاء في الخطاب الأول : «إني سأعمل على هزيمة الشر الكامن

فيك وسأبذل جهدي في تدمير خططك كلما اتجهت نيتك إلى تحقيقها ، وعلى هذا فإني أرسل قوة أسطولية بريطانية لحفظ الأمن في البحار . وإني بهذا أطلب إليك أن توقف التعبئة للحرب ، وأن تسرِّح أتباعك لأنك حين تتمادى في غيك ضد شيخ البحرين ، وضد السياسة البريطانية فلن يبقى أي أمل لوصل حبال الصداقة بيننا»(٧٤) . وجاء في الخطاب المرسل إلى الأمير فيصل «لا شك أن سموكم تدركون الأخطار المحدقة بالبحرين ، والقلق الذي يلف أهل البحرين لفترة طويلة من جراء ما يقوم به الشيخ محمد بن عبدالله وأتباعه في الدمام. . . اضطر شيخ البحرين إزاء هذا الخطر الماثل لاتخاذ قرار حاسم بحماية أرضه وشعبه والدفاع عن استقلال البحرين . ولهذا فقد قمت مدفوعاً بواجبي بارسال سفن حربية إلى المنطقة ، وذلك ليس من أجل مساعدة محمد بن خليفة والدفاع عن البحرين فحسب ، إنما لسحق قوة الشيخ محمد بن عبد الله وكل الذين يريدون العبث بأمن الخليج، «ولهذا أرجو أن أنهي إليكم أنه إذا كانت هنالك حقيقة وراء الشائعات التي بلغتني من أن بعض البدو قد تجمعوا في تلك السواحل مساندين لمثير الشر هذا ، اللاجىء إلى منطقة الدمام التابعة لسموكم ، فإني استثير فيكم روح الصداقة التي تقدرونها للحكومة البريطانية التي تريد أن تعمل في تناسق تام مع سموكم كي تتدخلوا لابطال تلك المخططات التي ستنتهي إلى تدمير هذه الجماعة . حقيقة أني لا أرغب أن يقع صدام بين أتباع سموكم وضباط هذه الحكومة الذين يهدفون إلى رعاية حرية التجارة ، والحفاظ على أمن هذا الخليج . هذه هي السياسة الجادة التي تسير عليها الحكومة البريطانية التي هي قوة بحرية عظمى تعمل على استتباب أمن البحار والتجار الذين يعملون في هذه السواحل مهما كلفها الأمر . وبصفتكم شيخاً بارزاً فإنكم ـ كما يبدو لي ـ تحرصون على تحقيق هذه الأهداف أيضاً . وعليه فإني أرجو إلى سموكم الابتعاد عن التعارك ، كما أرجو طرد الشيخ محمد بن عبد الله وأتباعه من الدمام لأنه ، إذا بقي في هذه المنطقة، فلا أمن يرتجى ولا إصلاح . إن طرده قد غدا أمراً مُلحاً بعد أن استنفدت الحكومة

البريطانية كل محاولاتها لكبح جماحه»[٧٥] .

تفاقمت الأحداث بين القوتين في الدمام والبحرين . واستوثق شيخ البحرين من المساندة البريطانية الجادة فأعلن في صيف ١٨٥٩ م بأنه لن يؤدي الزكاة بعد هذا لفيصل . ورد فيصل بأن أرسل إلى محمد بن أحمد السديري طالباً إليه أن يعين عبد الله بن أحمد بألف مسلح يرمي بهم البحرين .

تشير تقارير مقيمية بوشهر المرسلة إلى الهند في ربيع أول ١٢٧٠ هـ / أكتوبر ١٨٥٩ م بأنه قد لوحظ أن هناك استعدادات حربية كبرى تجري في القلاع السعودية في القطيف والدمام ، وأن هناك حركة دائبة للقوارب التي تجهز لغزو البحرين . وتضيف التقارير بأن السلطات السعودية صادرت قوارب ترفع أعلاماً تركية وفارسية لتستعين بها في الإغارة على البحرين . وتذهب التقارير إلى أن حكومة الأمير فيصل قد أباحت لبعض الشيوخ الهجرة إلى أراضيها لتستخدمهم في مخططاتها ، وأن «هؤلاء يعملون لصالح حاكم نجد وتحت مسئوليته» . وتشير هذه التقارير بأن التهديد البريطاني لم يعد كافياً لدرء الخطر ، «وأن معسول الحديث الذي يكتب به إلينا محمد بن عبد الله لا يجب أن يعتمد عليه» . ويتساءل المقيم البريطاني في إحدى رسائله لحكومته عما إذا كان الأمير فيصل يقوم بهذه التحركات «لحسابه الخاص أم لحساب تركيا أم مصر؟» . ويضيف المقيم بأن حاكم البحرين قد توقف عن أداء الزكاة لحكومة نجد ، وأنه سيصر على موقفه هذا «إلا إذا احترم الوهابيون سلامة ممتلكاته» . ويخطر المقيم البريطاني حكومته بأن شيخ البحرين «على استعداد للتعاون معنا في حصار الموانىء الوهابية ، وأخطرنا بأنه سيساهم بكل قوته في هذه الحرب المعلنة ضده» . وتنتهي الرسالة إلى أن مساهمة هذا الشيخ سيكون لها قيمتها وذلك «لضحالة المياه في المنطقة مما يجعل القوارب الخفيفة تعمل بشكل أكثر كفاءة من القوارب الأخرى»[٧٦] .

بدأ المقيم بإرسال رسالة إلى فيصل في ١٥ صفر يطلب إليه التعاون

لتحقيق الأمن . كما أرسل المقيم الحاج قاسم ، الوكيل الوطني البريطاني ، إلى الدمام لينقل إلى شيخها رغبة حاكم البحرين الشيخ محمد بن خليفة ورغبة السركار في هدوء الأحوال . وجد الوكيل البريطاني حشوداً في منطقة القطيف جاءت من الإحساء والمناطق الأخرى ، كما عرف أن السلطات السعودية في المنطقة صادرت ثلاثة قوارب أجنبية أجبرت على نقل الجند من القطيف إلى الدمام . وصرَّح محمد بن عبد الله أن محمد بن أحمد السديري قد صادر هذه المراكب . وحين التقى الحاج قاسم بالسديري أبلغه السديري بأن محمد بن خليفة شيخ البحرين هو أحد أتباع الأمير فيصل ، وأن شيوخ البحرين كانوا تابعين لأبيه من قبله ، وإن هذه التبعية تمتد إلى تاريخ بعيد «قبل وصول السركار إلى هذه الأرجاء» . كما قال السديري إن أهل قطر يتبعون السعوديين ، وأنهم يؤدون لهم الزكاة ، غير أن محمد بن خليفة لا يزال يتآمر مع قبائل قطر ضد السلطة السعودية ، ولهذا أرسل فيصل بالسديري إلى منطقة القطيف لرد اعتداءات شيخ البحرين . وحين جاء السديري إلى القطيف وجد مراكب علي بن خليفة ترابط في مواجهة المدينة ، كما وجد السفينة فوكلاند تجوب المنطقة . ويتساءل السديري : هل يوافق البريطانيون على اضطراب أمن البحار؟» . وإذا كان الحال كذلك «فليعلمونا لنقوم بعمل اللازم !» . ويتحدى السديري بعد هذا علي بن خليفة «إذا أراد أن يهاجمنا فليأت فنحن لا نهتم»(٧٧) .

مهمة بلفور في الدمام :

أصدر المقيم البريطاني في ٢٢ صفر/ ٢٠ سبتمبر ١٨٥٩ م أمره للقائد بلفور Balfour ليقوم بمهمة عمل في الدمام ويطلب إلى الشيخ محمد بن عبد الله أن يفك حالا أسر القوارب التركية والفارسية(٧٨) . وحين وصل القائد البريطاني بقوته إلى الدمام لم يجد محمد بن عبد الله إلا أن يفك أسر السفن وتعهد(٧٨-أ) بذلك في ٢٤ صفر/ ٢٢ سبتمبر. وبدأت بعد هذا مفاوضات بين حمود بن حمد، وكيل شيخ البحرين، وبين محمد بن عبدالله حضرها القائد

بلفور . جهد محمد بن عبد الله في هذه المفاوضات في تثبيت شروط الاتفاق الذي توصل إليه مع البحرين سابقاً بحضور المقيم كمبال . أما حمود فقد ركز على ضرورة رحيل محمد بن عبد الله من الدمام إلى الساحل الفارسي أو إلى البحرين إن شاء . ولم تصل المفاوضات إلى نتيجة .

طلب بلفور ـ بعد هذا ـ إلى محمد بن عبد الله أن يسرِّح حالاً الجماعات التي تناصره[٧٨-ب] . ورفض محمد بن عبد الله متعللاً بأن هذه الجماعات جاءت للدفاع عن المنطقة ضد مخططات شيخ البحرين، ولم تأتِ بغرض الهجوم على الجزيرة . وأصر بلفور على رأيه ، واستجاب محمد بن عبد الله وتعهد كتابة بتنفيذ الأمر .

غادر بلفور الدمام إلى القطيف ، وقابل شيخ القطيف في منزله . أنكر الشيخ أنه يريد أن يهاجم البحرين ولكنه «بصفته قائداً وهابياً أسرع في حشوده إلى الدمام للدفاع عنها ضد علي بن خليفة الذي أُشيع بأنه سيهاجمها . وقال القائد السعودي بأن فيصل «إذا أراد مهاجمة البحرين يمكنه أن يجند مليون شخص يرمي بهم في اتجاه البحرين ويستولي عليها بسهولة»![٧٩] . وأنهى قائد القطيف إلى القائد الانكليزي بأن الأمير السعودي فيصل بن تركي يسعى لكي تكون علاقاته مع البريطانيين حسنة ، وأن على القوتين العمل من أجل تحقيق هذا الهدف المشترك . واستطاع بلفور أخيراً أن يصل إلى هدفه من تسريح الجماعات المحاربة[٨٠] . وأعطى هذا دفعة ثقة قوية لشيخ البحرين الذي شعر بالطمأنينة وتوهم خطأ بأن المقيم يمكن أن يحميه حتى لو أثار الاضطرابات على الساحل السعودي . وجه المقيم في ٢ ربيع أول ١٢٧٦/ ٢٩ سبتمبر ١٨٥٩ م خطاباً إلى الشيخ محمد بن خليفة طلب إليه أن لا يسيء معاملة الرعايا البنيان ، «وقد حذرتكم سلفاً من أي تدخل في حرية تجارتهم مهما كان طفيفاً» ، وذكّره بأن هذا العمل يتعارض مع ما يقوم به السركار من جهود لحماية أمن واستقلال البحرين من القوى السعودية المتربصة . وقد وافق المقيم في ٣ ربيع

أول على أن تقوم القوارب المسلحة للبحرين بمراقبة تحركات قوارب الدمام «على أن لا يعني هذا أننا نسمح لكم بالاعتداء على الدمام أو أية منطقة أخرى على الساحل . إن تقدير هذا متروك لقائد السفينة البريطانية التي تجوب المنطقة فهو الذي سيتخذ القرار لرد محمد بن عبد الله وشل حركته ، أما بالنسبة للخطوات التالية فنحن في انتظار رأي السركار»[٨١] .

أرفق القائد بلفور من على سفينته التي كانت تحوم في المنطقة لمراقبة تحركات الجبهات المختلفة في أحد تقاريره إلى المقيم رسالة من الحاج قاسم ، الوكيل البريطاني في البحرين، جاء فيها أن أمير البحرين لم يرض برسالة المقيم له بتاريخ ٢ ربيع الأول ، وثار ثورة عارمة على الوكيل لأنه كان قد أبلغ المقيم بتصرفات الشيخ مع البنيان . واتهم الأمير الوكيل البريطاني بالعداء له ، وبأنه صديق السعوديين ويعمل على تقويض حكومته . وطلب الأمير إلى بلفور أن ينقل الحاج قاسم من مركز البحرين فهو لا يريده هنا «فهو تاجر أكثر من كونه وكيلاً» . واتهم شيخ البحرين الوكيل البريطاني بأنه ينقل الأخبار للسعوديين عن طريق قواربه التي تتاجر معهم[٨٢] .

لم يرض المقيم أن يتهم الشيخ الوكيل البريطاني بتلك الاتهامات ، كما لم يرضه أن يتعامل مع الرعايا البريطانيين على هذا النهج ويمنعهم عن الاتجار مع القطيف . واستاء المقيم لأن شيخ البحرين يتحدى الرغبات البريطانية التي يحملها إليه ضباط بريطانيون .

رد الأمير فيصل على المقيم في ٧ ربيع الثاني ١٢٧٦ هـ / ٣ نوفمبر ١٨٥٩ م يخطره بوصول خطابه المرسل بتاريخ ١٥ صفر[٨٣] : «تقولون إنكم تعملون لتثبيت أمن البحار وحماية التجار للقيام بتجارتهم المشروعة وهذا رأي نرضاه لأنه يرضي الله ويزيدنا في العالم قوة . ومن أجل هذا جندنا الجنود واتخذنا الاجراءات لقمع الاضطرابات ولكفالة الأمن في الطريق . غير أني أريد منك أن تعلم أن شيخ البحرين وأخاه قد حرّضا أهل قطر ، وهم من رعيتي ،

على قوم آخرين تابعين لي أيضاً فحاربوهم ونهبوهم وقتلوا فيهم . ولما عرفوا أني سأثار منهم ساعدهم محمد بن خليفة وأخوه علي أن يرحلوا بمتاعهم إلى البحرين . وعلى هذا فقد أخطأ الرجلان في ثلاث : أثارا الفتنة ، وناصرا المعتدي ، وأعطياه الملجأ. فأوجدا بذلك الشعور بالعداء وعدم الأمن . لقد جندا أيضاً جنوداً من مقاطعة فارس. ويعرف الحاج قاسم ، وكيلكم في البحرين ، هذا الخبر . لقد ساق أهل البحرين علينا السفن وقطعوا السبل ، وتوجس محمد بن عبد الله منهم هجوماً وشيكاً ، ولهذا طلب منا أن نجهز جماعة لحماية الدمام . ولهذا أيضاً أرسلنا إلى محمد بن أحمد السديري ليقوم بالأمر . إن قوتنا كبيرة وبأسنا أكبر من بأس شيخ البحرين ، وتقديرنا ـ بحمد الله ـ أوفق من تقديره». ويمضي خطاب فيصل لينهي للمقيم بأن البحرين تابعة له ، وأن شيخها يحكم بالإنابة عنه ، ويؤدي له الزكاة «كما يعرف الجميع» . ويضيف الإمام فيصل بأنه قد وقعت بينه وبين البريطانيين اتفاقات عديدة ، كما ربطت بينه وبين السلطان العثماني عبد الحميد اتفاقات أخرى . وتنص هذه الاتفاقات جميعاً على ألاّ يتدخل أحد في شؤون الآخر ، إلاّ باعتبارات خاصة . وحدث أن وقعت في السابق بين السعوديين وشيوخ البحرين ، بعلم السلطات البريطانية ، مشادات ولم تتدخل الحكومة البريطانية فيها «لأن هؤلاء الشيوخ من أتباع السعوديين». وذكّر فيصل المقيم «بأنه مندوب الحكومة البريطانية وننتظر منكم الانحياز للعدالة ، ودرء الشر . فإذا اقتضت حكمتكم أن ترفضوا ما أدعيه من سيادة على البحرين ، فيجب علي أن أذكركم بأن محمد بن خليفة قد أساء إلى أهل البحرين حتى تفرقوا عنه وجلوا من تلك الجزيرة ، وهاجروا إلى مقاطعة فارس ، وإلى عمان والكويت وإلى بوشهر . لقد أصبح شره واضحاً للجميع .فلماذا لا تلتفت لهذا الشر ولماذا تتدخل بيني وبين رعاياي وتحمي الشرير؟ إن فاعل الشر هذا سيتسبب في خلاف بيني وبين الحكومة البريطانية» . ويطلب فيصل إلى المقيم أن يخطره إذ أقدم رعاياه على فعل يؤدي إلى اضطراب في أمن البحر «وأنا الكفيل بهم ، أما أنت فتكون قد أديت

ما عليك» . وينتهي خطاب فيصل حيث يقول : «أرجو أن تعمل على مراعاة الصداقة التي تربط بيننا وأن تبتعد عن التدخل في شؤون التابعين لنا . وإني لواثق من أن التفاهم المشترك بيننا سيقود إلى السلم ، وردع المعتدين في المسالك والبحار[٨٤]» . وأرفق فيصل مع خطابه إلى المقيم خطاباً آخر كان قد أرسله له في ٢٧ رجب ١٢٦٢ هـ / ٢٠ يوليو ١٨٤٦ م المقيم هنيل ليذكره بأنه لم يتقيد بما تقيّد به المقيمون من قبله.

ورد المقيم على الإمام في ٤ جمادي الأولى ١٢٧٦ هـ / ٣١ نوفمبر ١٨٥٩ م بخطاب اعتذر في بدايته لتأخير الرد نسبة لغياب المترجم . ويفيد المقيم باستلام خطاب فيصل والرسالة المرفقة ، ويقول عن رسالة هنيل التي احتج بها فيصل بأن «هذه الورقة لم تعد ذات جدوى وكان يمكن لك أن تعرف هذا إذا تابعت مراسلاتنا على مدى الثماني سنوات الأخيرة[٨٥]» . ويمضي المقيم ليعلل تنصل الحكومة البريطانية من تعهداتها السابقة ، فيقول بأن الاضطرابات الأخيرة التي عصفت بالمنطقة قد زادت في مشاكل تجار البحرين والموانىء المجاورة لها ، وأدى هذا بدوره إلى تدهور الأمن في منطقة الخليج . ويمضي خطاب المقيم إلى القول إن الحكومة البريطانية قد اتخذت قراراً «يقضي بقطع دابر الفوضى التي نجمت عن وجود محمد بن عبد الله في الدمام» . وأنهى المقيم لفيصل بأن الحكومة البريطانية لا تتدخل في المسائل الداخلية للبحرين : «إن المشاكل التي تنشأ في البحرين بين أطراف بحرانيين لن تتدخل الحكومة البريطانية في أمرها إذ لا يهمها إلّا أمن البحار . ولهذا فإنه يهم الحكومة البريطانية أيضاً أن لا ترى أطرافاً أخرى تتدخل في الشؤون الداخلية للبحرين . لقد اضطرت الحكومة البريطانية أخيراً إلى مفارقة خطها السياسي القديم لأنها باتت تحس بأن الخطر يتهدد البحرين كما يتهدد تجارة المنطقة . «لقد أصبح سموكم طرفاً في نزاع ينفذه رجال سموكم على أراضي شيخ اختاره أهل البحرين وارتضوا حكمه . لا أريد أن أخوض في هذا الموضوع الذي امتد وكثرت فيه الرسائل بيننا ولكني أقول بأن سياستنا ثابتة ومحددة وهي أننا لا

نتدخل في الخلافات المحلية وننتظر أن يقوم الآخرون بهذا أيضاً . بمعنى آخر أننا نعترف باستقلال البحرين ونعترف بشيخها ونعارض أي تدخل خارجي في شؤونها وسنقاوم ذلك التدخل بكل ما أوتينا من قوة» . ويمضي المقيم البريطاني ليقول إن الحكومة البريطانية تعمل لما فيه فائدة البحرانيين . وإن الحكومة البريطانية لا تقوم بهذا الأمر لغرض خاص إنما تضحي من أجل راحة الدول والأطراف الأخرى . «ولهذا أسفت لما جاء في خطاب سموكم من لهجة لا تتفق مع هذا الهدف النبيل . ويؤلمني أن أقول إن ما حدث أخيراً من محمد بن عبد الله كان بمعرفتكم خاصة وأن الضباط البريطانيين قد تعلموا بالخبرة أن يفرقوا بين العمليات التي يراد بها الدفاع ، والأخرى التي يقصد بها الاعتداء . إن الاستعدادات التي كانت تجري في الدمام والقطيف والمناطق الأخرى لم تكن عملاً دفاعياً » . وينهي خطاب المقيم إلى فيصل أن أتباعه قد صادروا خلال هذه الأحداث قوارب ترفع العلم العثماني ، وأخرى ترفع العلم الفارسي وذلك في «هذه المنطقة ذات الولاء لتركيا التي هي دولة حليفة لنا . لقد أغار على علم الأتراك جماعة خرجوا من المناطق التي تقع تحت حكمكم . ولقد حرصت أن أعبر لسموكم بأن تدركوا تماماً بأننا مصممون على استقلال البحرين وقد أثبت ذلك صراحة في خطابي إليكم بتاريخ ١٩صفر، وأعلنها لكم هنا مرة أخرى بشكل أكثر صراحة» . وعبّر المقيم عن ثقته في حسن الصداقة بين الطرفين «التي سبق أن عبرتم عنها. وأرجو أن أستطيع أن أكتب إلى حكومتي لأخطرها بأن سموكم ما عدتم تحمون الذين يثيرون الشغب من أجل تحقيق غاياتهم الخاصة»[٨٦] .

وحين وصل رد المقيم البريطاني إلى الرياض تبينت الرياض تماماً ما يقصده المقيم، وأدركت أن عليها أن تعد للرد عدته الرادعة أو أن تصمت وتترك البحرين لشأنها . ولكن هل يرضى شيخ البحرين بكف يده عن شئون الساحل السعودي وعدم التدخل في شئونه وأن ينغلق على نفسه كما تريد له السياسة البريطانية؟

جاء في تقرير أرسله المقيم البريطاني إلى الهند بتاريخ ٢٧ رجب ١٢٧٦ هـ / ٢١ يناير ١٨٦٠ م أن بعض أتباع شيخ البحرين الذين يسكنون جزيرة الزخنونية قد أغاروا بخيولهم على الساحل السعودي ، وانقضّوا على أحد مضارب البدو هنالك واستولوا على حوالى ١٠٠ رأس من الجمال والخيول وخلفوا وراءهم أربعة قتلى : «لقد خالف محمد بن خليفة بهذا أوامري المحددة بضرورة رد هذه الأشياء فوراً . وعليه أطلب من الحاكم في مجلسه أن يصدر أمراً ليؤكد لهذا الشيخ وجوب أن يبتعد وأتباعه عن كل عمل من شأنه أن يثير الوهابيين ، وعن كل فعل يضعنا في موقف المنحازين له حتى لا يضر بأمن الخليج ، ويودي بالتبعات البحرية الملقاة على عاتق البريطانيين» . وينتهي التقرير إلى أن شيخ البحرين سيثير بسلوكه هذا الفتنة التي بدأت تغفو في المنطقة(٨٧) .

أكّد المقيم في رسالته للوكيل الوطني البريطاني في البحرين بتاريخ ١١ رجب ١٢٧٦ هـ / ٧ فبراير ١٨٦٠ م استياءه من هذا الاعتداء. وطلب إليه أن ينقل للشيخ تصميم المقيم على رد السلب ، وعلى أنه «سيعامل الجناة بنفس الروح التي عامل بها الآخرين حين حاولوا غزو أراضي البحرين سابقاً وذلك باعتبارهم أعداء للسلم البحري». كما طلب المقيم إلى الوكيل الاتصال بالقائد السعودي في الإحساء وابلاغه بأن المقيم لن يسمح بأن يضار رعايا الإمام(٨٨) .

دخول العثمانيين والفرس في علاقة البحرين بالدمام :

أراد شيخ البحرين أن يعيش في ظل حماية السفن البريطانية التي أرادت حجز المد السلفي عن البحرين. واعتقد الشيخ خطأ أن السياسة الهندوبريطانية يمكن أن تسمح لقوته أن تؤثر في الساحل حيث ما زال له بعض نفوذ على أماكن من سواحل قطر . ولما تبين للشيخ محمد بن خليفة بأن كل ما تسعى إليه الهند البريطانية هو قطع العلاقة بين الجزيرة والساحل،حاول أن يكسر الطوق الذي قيدته به تلك السياسة ويحول ولاءه للقوتين الاقليميتين وهما الدولة

ـعثمانية وفارس أو لإحداهما. كما حاول أن يسترضي الأمير فيصل .

كانت الدولة العثمانية قد بدأت منذ ١٢٧٥ هـ / يناير ١٨٥٩ م تهتم شؤون الخليج العربي عموماً . انفذ عمر باشا والي بغداد في هذا الوقت رسولاً حمل كسوات الشرف والأنواط والشارات التي تميز المشايخ الداخلين في طاعة دولة العثمانية إلى الساحل العربي من الخليج . ولسبب لا نعلمه عاد هذا رسول إلى بغداد مرة أخرى قبل أن يبلغ الكويت(٨٩) .

أما فارس فقد قامت في ١٢٧٥ هـ / مارس ١٨٥٩ م بإرسال مبعوثين حملان لأمير البحرين تعهداً من حاكم مقاطعة فارس، بالتزام دولته بضمان أمن بحرين ومناصرته ضد بريطانيا أو أية قوة أخرى إذا قامت بالتدخل في شؤون جزيرة . وقبل شيخ البحرين التعهد وأرجع الرسولين يحملان الهدايا مارس(٩٠) .

لم يرض المقيم البريطاني بهذا المسلك من الشيخ وكتب إلى الهند بأنه ينبغي على الشيخ أن يعرف أن فارس وتركيا لا تستطيعان أن تغيرا من وضعه النسبة لنا . ويجب على هاتين القوتين أن لا تتدخلا في شؤون شيوخ العتوب شيوخ البحرين الآخرين بشكل نشط» . وبالرغم من معرفة شيخ البحرين بهذا خط السياسي البريطاني الواضح ، استمر في تراسله مع القوتين المذكورتين دفع هذا بالمقيم إلى أن يرسل للشيخ خطاباً قاسياً في ١٥ ربيع الثاني ١٢٧٠ هـ / ١٠ أكتوبر ١٨٥٩ م عبّر فيه عن عدم رضائه من سلوك الشيخ، وذكّره بأنا قد عملنا جاهدين على حمايتكم وحماية أرضكم ومواطنيكم حتى أصبحت تمتع بحماية الحكومة البريطانية وبما لها من نفوذ يمتد ليشمل جميع أنحاء معمورة . ولعل هذا هو السبب الذي جعلكم لا تدركون العواقب الوخيمة التي تقع من جراء معارضتكم غير اللائقة لموظفي ورعايا قوة هذا شأنها . لقد كان سلوككم في الفترة الأخيرة رديئاً ، ولهذا أرجو أن تعرفوا أن للصبر حدوداً ، وأن عرف أيضاً أنك قليل الأصدقاء كثير الأعداء . إنك بتّ تعمل على مناهضة

مصالح أصدقائك وسيعرضك هذا الأمر للخطر». وينتهي الخطاب بفرض غرامة على الشيخ، وبتهديدات أخرى إذا لم يثب إلى رشده، ويعمل على اتباع رأي المقيم الذي «يحمي هذا البحر وتجارته. إنك لن تجد عذراً تبرر به سلوكك، وعليه فإني أخطرك أن تلزم جانب الحذر، وإلا فسأجعل أهل البحرين يعرفون تماماً أن محمد بن خليفة، دون غيره، هو عدوهم الحقيقي»(٩١).

تصل نسخ هذه المراسلات برمتها إلى حكومة بومباي. ويقرر مجلس الحكومة بتاريخ شعبان ١٢٧٦ هـ / ١٥ فبراير ١٨٦٠ م أن شيخ البحرين قد اضطر لهذا المسلك لعدم ثقته في صدق نوايا الحكومة البريطانية. فهي لم تقم بضبط تحركات شيخ الدمام المعادية له، ولم تنفذ ما التزمت به من طرد ذلك الشيخ، «لقد انعكست عدم الثقة للشيخ فينا في تصرفاته مع الرعايا البريطانيين وممثلي الدولة في الخليج». وتعبر الحكومة عن عدم رضائها عن المقيم الذي لم يعمل على تنفيذ قراراتها. ويستمر القرار ليقول «بأن عدم طرد شيخ الدمام منها قد خلق لدى شيخ البحرين شعورا بعدم مصداقية الحكومة البريطانية خاصة وأن هذا الشيخ قد رأى بأن تحذيراتنا المتكررة لشيخ الدمام تعقبها وعود متكررة، والوعود المتكررة تعقبها مؤامرات متكررة. إن الحكومة البريطانية لا تريد لهذا الشعور بعدم الأمن أن يستمر، وعليها أن تنظر للحقيقة الماثلة وهي أن الشيخ الوهابي يثير الاضطرابات وذلك بمساعدة محمد بن عبد الله على تنفيذ مخططاته». ويمضي القرار إلى القول إن «محمد بن عبد الله ما هو إلا أداة بيد الأمير فيصل . . . وعليه فإننا حين نقوم بتنفيذ ما هددنا به سلفاً فإن ذلك سيكون تحذيراً عملياً للحاكم الوهابي والقبائل المجاورة كذلك، وسيزيد هذا العمل من ثقة شيخ البحرين فينا. على المقيم أن ينقل لشيخ الدمام بأنه لن يُسمح له بإثارة الاضطرابات في البحر بعد الآن، وعليه أن يفارق الدمام ليسكن القرين، أو الساحل الفارسي. وعلى شيخ البحرين أن يدفع مبلغاً معيناً يكفي لاعالة الشيخ المذكور»(٩٢).

جهد المقيم في تنفيذ سياسة حكومته الرامية إلى إجلاء محمد بن عبد الله من الدمام، خصوصاً بعد أن عنّفته حكومة بومباي على تباطئه في تنفيذ الأمر، واعتقدت بأن هذا التلكؤ هو الذي دفع بالشيخ إلى أحضان الدولة العثمانية وفارس. حاول المقيم البريطاني أن يحدث صلحاً بين محمد بن خليفة ومحمد بن عبد الله يتم على إثره إجلاء الأخير سلماً. ورضي محمد بن خليفة أن يدفع لمحمد بن عبد الله معاشاً سنوياً يكفيه لقاء رحيله عن الدمام، واستشار محمد بن عبد الله الأمير فيصل فلم يرضه ذلك. وبات أمر طرد محمد بن عبد الله من الدمام فرضاً لإبعاد التدخل الفارسي والعثماني في مياه الخليج العربي(٩٣).

لم تتوفر السفن الحربية للمقيم في هذا الوقت لتنفيذ الأمر، حيث لم يكن بالخليج سوى سفينة واحدة «لا يصل مدى مدافعها إلى ملاجيء هؤلاء القوم». وقد أصدر المقيم لهذه السفينة أمره بأن تبقى في مياه البحرين لاستكشاف الطرق البحرية للقطيف والدمام تمهيداً لقذفها بالقنابل حين تتوفر للمقيمية القوة اللازمة(٩٤).

يكتب المقيم البريطاني في رمضان ١٢٧٦ / ١٥ مارس ١٨٦٠م إلى السير هنري رولنسون H. Rowlinson في طهران يخطره بأن الميرزا مهدي منشي، الذي يقوم برعاية الشؤون الخارجية في بوشهر، قام مصحوباً ببعض الشخصيات حاملاً هدايا كثيرة من الأمير الحاكم في مقاطعة فارس إلى الأمير فيصل «إمام الوهابيين وحاكم نجد في الجزيرة العربية. يقال بأن مهمة هذا الرجل في الرياض تقضي بتنظيم مسألة رعاية أمن الحجاج الفرس مع حاكم نجد التي يعبرونها في طريقهم إلى الأراضي المقدسة»(٩٥). ويشكك المقيم في الهدف المعلن لهذه الزيارة، ويميل إلى تصديق ما يقال من أن لفارس أهدافاً أخرى في البحرين التي تسعى إلى ضمها. ويرى أن الوزراء الفرس قد حركوا مقاطعة فارس لبسط السيادة الفارسية على البحرين وتوابعها. ويذكر المقيم أن

أهدافهم في هذا الصدد هي نفس أهداف فيصل «وقد قامت الحكومة البريطانية سابقاً بمقاومة مخططات فيصل في البحرين وذلك حتى لا تعاني التجارة من تسلط البدو».

ويسترسل الخطاب لينهي إلى الوزير في طهران سير الأحداث في ١٢٧٦ هـ / سبتمبر ١٨٥٩ م بأن «قوات فيصل لم ترد أن تدخل في معركة حربية معنا فتفرقت. وزاد هذا من شعور الكراهية لدى فيصل لهؤلاء الشيوخ، وأنه سيعمل بشكل أقوى لإسقاطهم. ولهذا فإني أعتقد بأن الأمير فيصل ربما يوافق على تفريس البحرين». وينتهي المقيم إلى أنه لا يجد سبباً لإرسال هذه البعثة، ولا للبعثات السعودية المتلاحقة إلى فارس غير هذا السبب. «فالحج لا يستوجب كل هذه التحركات خاصة وأن وكيلاً وهابياً يأتي إلى بوشهر كل سنة لينظم هذه المسألة. لقد طلبت إلى بومباي أن ترسل لي بتعليماتها للقيام بواجبي إذا تحركت قوات فارسية في إثر هذه البعثة»(٩٦).

وتأتي التقارير في عام ١٢٧٦ هـ / أبريل ١٨٦٠ م من بحرية الخليج إلى المقيم لتنهي إليه أن العلم الفارسي يرفرف على البحرين. كما تفيد تقارير الاستخبارات في البحرين بأن الميرزا مهدي منشي لم يصل الرياض، فقد نصحه حاكم البحرين بعدم الذهاب وإرسال الرسالة التي يحملها بخصوص تنظيم شؤون الحجيج الفرس إلى والي فيصل في القطيف. كما أفادت هذه التقارير أيضاً بأن شيخ البحرين قد إنحاز إلى فارس خوفاً من مخططات الأمير فيصل ،ولهذا أعلن البحرين أرضاً فارسية يحكمها بموجب فرمان وخلعة من الشاه الفارسي. كما فرض أمير البحرين على نفسه مبلغاً معلوماً يدفعه لفارس، وأبدى رغبته في وجود وكيل لفارس في أرضه. كما تفيد تقارير الاستخبارات أيضاً بأن ضابطاً عثمانياً قد وصل الكويت في طريقه إلى البحرين «يحمل لأميرها الهدايا وخططا مماثلة لخطط الحكومة الفارسية»(٩٧).

يرد الوزير البريطاني في طهران على المقيم في بوشهر في عام ١٢٧٦هـ /

٤ مايو ١٨٦٠ م بأنه يعطي تحركات الميرزا مهدي ثقلاً أكثر مما ينبغي، إذ يبدو أنه قد دخل «في اللعبة التي يلعبها شيخ البحرين بين باشا بغداد والأمير الوهابي والأمير الحاكم في فارس، فكلهم يدّعون الجزيرة ويسعون حرباً أو سلماً لضمها.» وينقل الوزير البريطاني إلى وزراء الشاه رأيه بخطل سياستهم في البحرين. «فالشيخ ربما قام في أية لحظة بتمزيق العلم الفارسي، وطرد الوكيل عن جزيرته أو ربما إنحاز فجأة للعثمانيين، أو ربما قام الحاكم الوهابي بالتدخل في شؤون الجزيرة لتحرير التراب العربي من السلطة الفارسية»[٩٨].

وتفيد تقارير الأسطول البريطاني في الفترة من مايو إلى يونيو ١٨٦٠ م بأن شيخ البحرين قد لجأ مرة أخرى للعثمانيين[٩٩]، وأنه قد رفع العلم العثماني على الجزيرة. كتب المقيم إلى السفير البريطاني في الأستانة لكي يعالج هذه المسألة، كما كتب للقنصل العام في بغداد ليستعمل نفوذه مع الوالي لكي يبتعد عن التدخل في شؤون البحرين حتى تصل السلطات العليا في الأستانة ولندن إلى حل معقول. وطلبت إليه أيضاً أن لا تقوم البصرة بأية إجراءات في هذا الصدد حتى لا تتعقد الأمور[١٠٠]. وقد كتب القنصل العام البريطاني في بغداد بالإنابة إلى الوالي في ٨ ذي الحجة ١٢٧٦ هـ / ٢٧ يونيو ١٨٦٠ م بأن العلم العثماني يـرفرف في البحرين كشارة ولاء للسلطان العثماني. «ولما كانت هناك معاهدات معقودة يين شيوخ تلك الجزيرة وبين الحكومة البريطانية قبل أربعين سنة مضت فقد رأيت أن أخطر سعادتكم بأن حكومتي ترفض رفع العلم التركي هناك، كما ترفض وجود وكيل تركي». وطلب القنصل بالإنابة إلى الوالي إرجاء القيام بأي تحرك في هذا الشأن انتظاراً لما تتمخض عنه مفاوضات الدولتين في هذه المسألة، واقترح عليه أن يبتعد في الوقت الراهن عن كل تدخل في شؤون الجزيرة[١٠١].

ورد الوالي في نفس اليوم على خطاب القنصل بأن «البحرين تدفع العشور لقائم مقام نجد، وقد قمت بدوري بإرسال ضابط إلى تلك الجزيرة

ليتحرى في شؤونها لأن الجزيرة المذكورة تقع ضمن أعمال قائم مقامية نجد التي تتبع بدورها هذه الباشوية. وقد قام الضابط المذكور بتحرير مضبطة أرسلناها إلى القسطنطينية وما زلنا في انتظار الرد»(١٠٢) . ولعل الوالي لم يشأ أن يذكر بأنه قد أرسل مندوبه إلى البحرين نتيجة للخطاب الذي وصله من الأمير محمد بن خليفة المؤرخ في ٢٧ رمضان ١٢٧٦ هـ / ٣٠ أبريل ١٨٦٠ م والذي جاء فيه «أنّ البحرين التي تدفع الزكاة لشيخ نجد تطلب موافقتكم لكي تؤدي الزكاة إلى خزينة بغداد» مباشرة لأن «كل راع مسئول عن رعيته». وقد وردت في هذا الخطاب شكوى محمد بن خليفة من فيصل بن سعود «الذي يتدخل في الشؤون الداخلية للبحرين»(١٠٣). عموماً يبدو بهذا أن الأمر قد أصبح أمبريالياً، ولهذا وجّهت بومباي مقيمها في الخليج للعمل بهدوء وسط العواصف الدولية انتظاراً لرأي لندن، وعليه أن يمنع كل تحرك محلي معادٍ للبحرين(١٠٤).

وتفيد المراسلات بين فيصل والمقيم بأن الإمام لم يرض بارتباطات شيخ البحرين بالقوتين الفارسية والعثمانية. جاء في خطاب أرسله فيصل إلى المقيم بتاريخ ٢٦ جمادي الثانية ١٢٧٧ هـ / ٨ يناير ١٨٦١ م تأكيد آخر بأن البحرين تابعة له، ولكنه ما عاد يثق في شيخها الذي أوغل في دوامة الخطأ، وارتكب العديد من الأخطاء في حق فيصل وحق شيوخ المنطقة الآخرين. يضيف فيصل بأن شيخ البحرين «قد بذل أقصى ما في وسعه للتراسل مع قوى أجنبية وذلك في محاولة منه للخروج عن سلطتي». وأخطر الأمير فيصل المقيم بأن الشيخ محمد بن خليفة قد كتب له يخطره بأنه سيرسل ابنه خليفة إلى الرياض، ولا يعرف فيصل عن هذه المهمة ولا أهدافها شيئاً. «وبما أنكم قد كتبتم لي سلفاً بأنكم ستتولون تنظيم هذه الأمور وضبطها، رأيت أن اتصل بكم في هذاالشأن». وينتهي خطاب فيصل بأن علاقاته مع شيخ البحرين قد وصلت إلى طريق مسدود(١٠٥).

لم يرد المقيم على هذه الرسالة إذ اتخذ قراره باستعمال القوة، وذلك تمهيداً لدرء الخطر الماثل على سياسة الأمن الهندية في الخليج التي تقتضي

أبجدياتها إبعاد كل قوى محلية أو دولية غير بريطانية عن مياه الخليج. تفيد التقارير البريطانية بأنه على الرغم من الانحياز البريطاني الواضح لشيخ البحرين إلا أن الشيخ استمر في مشاكسة التجار البنيان من الرعايا البريطانيين القاطنين في البحرين ومنعهم من الاتجار مع القطيف(١٠٦). كما قام الشيخ بحصار الساحل السعودي بقوارب مسلحة يرفع بعضها العلم الفارسي، وذلك لمنع البنيان من الرحيل بمتاجرهم للاستقرار في القطيف(١٠٧). ومرّ عام من الاعتداء المتواصل على الموانىء السعودية والتحذير المتكرر من المقيم لشيخ البحرين. وقام المقيم في ٢٦ مايو ١٨٦١ م بإرسال سفينة حربية بريطانية إلى البحرين. طلبت السفينة إلى الشيخ «اطلاق سراح السفن الخاصة بالرعايا البريطانيين فوراً لتمارس تجارتها حيث تشاء فوق هذا البحر وإلا فستجدني مضطراً للرد بمصادرة سفنكم. هذا وسأمهلكم حتى مغيب الشمس لتنفيذ هذا الأمر»(١٠٨). حاول الشيخ محمد بن خليفة التنصل وإلقاء اللوم على الوكيل البريطاني في البحرين ولكنه لم يفلح إذ وصله من المقيم إنذار آخر: «اطلب إليكم أن تردوا حالاً كل قواربكم المسلحة التي تجوب المنطقة بين القطيف والدمام وإلا فعليكم تحمل تبعات ما تقومون به. وعليك أن تسلمني قاربين من هذه القوارب عقاباً لك على ما قمت به من عمليات تجافي ما صدر لكم من أوامر من السلطات العليا التي أعمل على تنفيذ أهدافها. وستكون مصادرتي لهذين المركبين عبرة لكم لتبقى حية في ذهنكم مستقبلاً حتى لا تقوموا بعمليات عدائية أخرى في هذا البحر»(١٠٩).

رد الأمير محمد بن خليفة في ٢٨ مايو كل قواربه عن الساحل السعودي بعد أن صادر المقيم أكبر قاربين فيهما وهما الطويلة والحمراء(١١٠). ووقّع الشيخ بعد هذا تعهد بالصداقة مع بريطانيا(١١١)، وكتب المقيم بعد ذلك في ١٢٧٧ هـ / ٣١ مايو ١٨٦١ م إلى الوزير البريطاني في طهران يفسر عملياته في البحرين ويقول: «إنه لا يفهم كيف يقوم محمد بن خليفة بسفن تحمل العلم الفارسي ليهاجم منطقة تعترف بالسلطة التركية». وبعد أن يحلل المقيم خطورة

هذا العمل على الأمن الهندي في الخليج يعبر عن رأيه بأن ذلك الشيخ كان مدفوعاً في عمله هذا «بوكلاء فرس وعدوه بدعم فرنسي»[١١٢].

يرى المقيم بأن شيخ البحرين قد بدأ يفقد منذ المحرم ١٢٧٧ هـ / أغسطس ١٨٦٠ م آماله المعقودة على العثمانيين وأصبح في دائرة الفرس. وبالرغم من هذا نجد في تقارير المقيمية لفبراير عام ١٨٦١ م بأن العلمين العثماني والفارسي يرفرفان على الجزيرة[١١٣]. يقول أحد هذه التقارير، إن الشيخ قد شكا للسلطات البريطانية في الخليج بأن المقيم قد أهمله ولم يعد يعبأ في هذا العام بكامله بالرد على رسائله مما يدل على عدم اكتراث الحكومة البريطانية بشأنه، ولهذا فهو يريد أن يجابه التحديات التي يواجهها من الساحل السعودي بالاحتماء بأي قوة، كما أنه يعمل على تحسين علاقاته مع فيصل. وتنفيذاً لهذا كانت رسالته ـ على ما نعتقد ـ في ٢٦ جمادي الثانية ١٢٧٧هـ / ٨ يناير ١٨٦١ م إلى الإمام فيصل. وبعد أن قام المقيم بعملياته الأخيرة في البحرين على سفن البحرين التي ترفع العلم الفارسي، وفي مياه البحرين التي يرفرف عليها العلمان الفارسي والعثماني، أدرك الشيخ عدم جدوى الاحتماء بهذين القوتين[١١٤].

ضرب الدمام:

توفرت للمقيم في ذي الحجة ١٢٧٧هـ / يونيو ١٨٦١ م القوة اللازمة لضرب الدمام فخاطب في ٢٠ منه محمد بن عبد الله بخطاب جاء فيه: «إن الحكومة البريطانية درست بتأنٍ موضوع إقامتك بالدمام، وقررت أنه يتحتم عليك مغادرتها فورا. لقد استوجبت الاعتبارات العامة تنفيذ هذا القرار. تقضي هذه الاعتبارات علينا ألاّ نفرط في الأمن والسلام في هذه المنطقة. وأني بهذا أخطرك بأنك حر تقيم حيث تشاء وفي أية منطقة تختار الإقامة فيها على ساحل هذا الخليج لا نستثني سوى المنطقة الواقعة بين القطيف وأبو ظبي. وأخطرك بأن شيخ البحرين قد وافق على أن يدفع لك معاشاً سنوياً. . ولم يكن حصولنا على موافقة شيخ

البحرين باعتماد هذا المبلغ بالأمر السهل حيث إنه جادلنا بأنك قد تنكرت للعهود السابقة ونقضتها. وعليه فإني أكتب إليك محذراً طالباً إليك أن تُحكِّم العقل في تصرفاتك مستقبلاً. أرجو أن أستلم منك رداً سريعاً بموافقتك على ما جاء في خطابي هذا ورحيلك فوراً عن الدمام. وعليك أن تدرك تماماً بأنه ليس أمامك من سبيل سوى الانصياع لما خططته، وأن تعرف بأن أي تراخٍ في تنفيذ هذا الأمر سيعود عليك وعلى اتباعك بالبوار والخسران»[١١٥].

ولم يفت المقيم أن يكتب في هذا الوقت إلى الأمير فيصل طالباً إليه أن ينأى بنفسه عن الصراع مع الدولة البريطانية[١١٦]، راجياً أن يفصل الأمير بين مسألة محمد بـن عبد الله ومسألة السيادة السعودية على تلك المنطقة. ويجري خطاب المقيم لينهي إلى فيصل بأن الـحكومة البريطانية قد جهدت خلال السنوات السابقة في حفظ الأمن الخاص بالدول البحرية في هذا الخليج، وأقامت أسساً ثابتة للسلم والنظام السوي فيه. «لقد كانت محاولاتنا هذه ناجحة حيث استطعنا أن نحفظ التوازن في هذا الخليج وأصبحنا لا نجد اضطراباً إلا في المنطقة التي تقع حول البحرين، وعلى السواحل التي هي تحت نفوذ سموكم حيث تضرب الفوضى بأطنابها. ولقد تسبب الشيخ محمد بـن عبد الله اللاجيء إلى الدمام هذه الفوضى. إن العداء السـافر المستقر الذي يحرك هذا الشيخ جعله يعارض كل قراراتنا. ولهذا فقد قررت الحكومة البريطانية أنها لن تحتمل بعد هذا إقامة محمد بن عبد الله في الدمام. وتنفيذاً للأوامر الصادرة من تلك الحكومة فقد كتبت إلى محمد بن عبد الله كي يجلو عن هذه المنطقة وينزاح منها إلى غيرها طائعاً مختاراً وإلّا أجليناه بالقوة. وأننا حين نقوم بتنفيذ هذا الأمر لا نسعى إلا لاستتباب الأمن في المنطقة الساحلية التابعة لسموكم. وهذا ما حدا بي لمخاطبتكم. ارفق لكم مع هذا نسخة من الخطاب الصادر مني إلى محمد بن عبد الله راجياً منكم أن تنصحوه بترك هذا المكان إلى غيره فذلك خير له وللجميع». وينتهي الخطاب إلى «أن شيوخ البحرين يسعون إلى قيام تفاهم تام مع سموكم، ولكنهم يتساءلون كيف يمكن أن يتأتى مع ما يواجهونه من

المعارضة التي تشن عليهم من الدمام . . أن رعاياكم على تلك السواحل يبحثون عن الأمن والأمان والسلم المفقود نتيجة لأعمال محمد بن عبد الله في الدمام. لقد توقفت التجارة في المنطقة ويمكن لها أن تبدأ في الانتعاش من جديد إذ إزيل المعوّق. وأخيراً إذا طلبتم وساطتي لدى شيخ البحرين فإني أعرض خدماتي على سموكم»(١١٧) .

وافقت حكومة بومباي على إجراءات المقيم وضرورة انسحاب محمد بن عبد الله من الدمام، ورأت أنه من الأوفق الحصول على موافقة فيصل على هذا الأمر الذي يجب أن ينفذ، وأن لا يلجأ المقيم، كلما كان ذلك ممكناً إلى استعمال القوة . «وقد أخطرنا قائد الأسطول الهندي ليضع تحت إمرتكم ما يتوفر له من القوارب المسلحة»(١١٨) .

بدأت السفن الحربية البريطانية تتقاطر إلى مياه البحرين في١٢٧٨هـ / ١٢ و ١٣ سبتمبر ١٨٦١ م. جاء في التعليمات الصادرة لقائد كلايفِ أن يقدم الدعم المادي والمعنوي لشيوخ البحرين بوجوده في حدود ذلك الميناء أو ما حوله بالإبحار قرب الدمام والقطيف «وإذا وجدت أن هناك تهديداً حقيقياً من الوهابيين والمتعلقين بهم فعليك أن تهزمهم بالقوة الأسطولية المتوفرة لديك، وعليك ألا تقوّم أبداً بأية عمليات حربية على البر»(١١٩). أما التعليمات التي صدرت لقائد الفنستون فكانت كما يلي : « إذا لم تصلك تعليمات محددة من القائد البحري في الخليج فاعمل تحت إمرة قائد كلايف. وعلى العموم فإن مهمتك في البحرين تقتضي تقديم المساعدة لشيوخها لرد أي اعتداء يقع عليهم من قبل الموانىء الوهابية. لن تكون مساعدتك هذه معنوية فقط إنما يتحتم عليك ـ بعد التشاور مع الوكيل البريطاني ـ استعمال القوة. عليك أن تدعم شيوخ البحرين وتعاملهم بالاحترام، وعليك أن لا تقوم بأية عمليات في البر. يجب أن توجه كل عملياتكم من سفينتكم والقوارب المسلحة التابعة لها»(١٢٠) .

لم تجد هاتان السفينتان والسفن الأخرى المصاحبة لهما خطورة على البحرين تستوجب العمل الحربي. وعادت السفينتان انتظاراً لموافقة الهند على بدء ضرب الدمام. وقد أصدرت حكومة الهند موافقتها على هذا الأمر وكتبت إلى حكومة بومباي بذلك في ١٢٧٨هـ / ١٥ أكتوبر ١٨٦١م. وأشار القرار إلى أن «الحاكم العام في مجلسه يأمل أن لا يقوم المقيم بعمليات في البر أو في البحر إلا بعد أن يضمن نجاحها تماماً»[١٢١].

صدرت الأوامر لفيلق الخليج البحري في ٤ جمادي الأولى ١٢٧٨ هـ / ٦ نوفمبر ١٨٦١ م بأن يتقدم إلى الدمام ليطرد الشيخ محمد بن عبد الله من هنالك. «لقد أرسلت الحكومة البريطانية لذلك الشيخ في أوائل يونيو الماضي تنذره بوجوب انسحابه لئلا تقوم بطرده.. وبما أنه لم يختر حتى الآن أن ينسحب، فلم يبقَ لنا خيار إلّا طرده». وتضيف الأوامر الصادرة لقائد سفن الخليج البريطانية «ستقوم بتنفيذ هذا القرار بالقوة التي تحت يدك ولا تستبق في الدمام أي شخص يمت لهذا الشيخ بصلة. أبذل كل جهدك واستخدم كل ما لديك من قوة وعتاد لطرد هذا الرجل من تلك المنطقة وستعطي بهذا درساً لكل من تسوَّل له نفسه العبث بأمن هذا البحر. إن المنطقة تعج بالضحضاحات وتمتلىء بالسبخات، مما يخلق شعوراً لدى هذه الجماعات بأنها في مأمن من الهجوم، وعليك بانتزاع هذه الفكرة من رؤوسهم. وثق أنه بهذا العمل وحده يمكن أن نحفظ مستقبلاً التوازن في هذه الأرجاء. لقد أوكلت إلى خبرتكم وحسن تدبيركم أمر القيام بهذه المهمة والوصول بها إلى غاياتها المنشودة، ولا أحذركم إلا من الدخول في عمليات عسكرية في البر»[١٢٢].

في الوقت الذي كان المقيم البريطاني يشحذ قوته لضرب الساحل السعودي من البحرين، كانت القوتان الإسلاميتان العثمانية والفارسية تتنازعان السيادة على البحرين بالمذكرات. أرسل المقيم البريطاني في الخليج في ١٢٧٨هـ/ ٢٤ أكتوبر ١٨٦١ م إلى كمبال، الوكيل البريطاني في بغداد، يشجب

الإدعاءات العثمانية على البحرين ويبلغه وجهة نظر حكومة الهند من أنه ليس للسلطة في بغداد القوة الكافية لإدارة شؤون مثل هذه المناطق التي تقع خارج النطاق المعترف به للدولة العثمانية سياسياً. ولكن «تركيا مثلها مثل فارس تعتورها أحياناً أفكار تجديد ادعاءاتها السابقة على البحرين وموانىء أخرى تقع فيما وراء البحرين.. إن آراءك السابقة التي كتبت بها للسفير في القسطنطينية من أن البحرين مستقلة تماماً تتطابق مع وجهة نظر الهند بشكل كامل حيث تعتبر البحرين غير تابعة لتركيا ولا لفارس»[١٢٣].

ويطلب المقيم في الخليج إلى الوكيل في بغداد أن يقنع الوالي العثماني بالابتعاد عن التعقيدات التي تجرها الإدعاءات العثمانية على البحرين. ويدّعي المقيم أنه أنقذ الدمام والقطيف في عام ١٢٧٧هـ / ١٨٦٠م من الحصار الذي ضربه عليها شيخ البحرين. وينتهي المقيم إلى القول بأن القوة البريطانية في المنطقة هي التي تغل أيدي الشيوخ بعضهم عن بعض، وأن إجراءاته ضد شيخ البحرين هي التي تنقذ دائماً الدمام والقطيف من جراء الحصار، وأن السفن العثمانية والفارسية كثيراً ما تطلب مساعدته حين يحاول البحرانيون الاستيلاء عليها[١٢٤].

وأهمل المقيم البريطاني الإدعاءات الفارسية التي ثارت وقتها. أرسل أغا حسين الوكيل الفارسي في البصرة إلى منيب باشا في ١٠ صفر ١٢٧٨ هـ / سبتمبر ١٨٦١م يخطر برجوع البحرين إلى حظيرة الدولة الفارسية. جاء في الخطاب إلى «جناب حضرة مير مران الفخام صاحب العزة والسعادة الأقوم حضرة محمد منيب باشا دام ظله سلمه الله تعالى وأبقاه وحفظه. الواجب تحريره هو السؤال عن استقامت مزاجكم ثم إعلام سعادتكم من خصوص بلدة البحرين من تبعت الدولت العلية الإيرانية ولها مدة لم تؤدي الرسومات والآن رجع الحق إلى أهله وأدوا الرسومات وبهذه الدفعة قد وردنا تعريف فى الحال حضرة الشاهبندر المقيم في محروسة بغداد بالالتفات إلى أهالي بلدة المذبورة

القاطنين بهذا الطرف والمترددين وعابرين السبيل فلهذا بادرنا بتحرير هذه التذكرة الرسمية مأمولنا الافادة من خصوصي ذلك بمنه تعالى والسلام»(١٢٥) .

وبينما كانت حرب المذكرات تدور بين المندوبين الفرس والعثمانيين أصدر المقيم البريطاني في ٥ نوفمبر إنذاراً إلى محمد بن عبد الله وأهل الساحل عموماً جاء فيه أنه «يجب على محمد بن عبد الله وأتباعه أن يجلوا عن الدمام قبل ١٢ نوفمبر القادم». ولم ينفذ محمد الأمر فقامت السفن البريطانية وبعض قوارب أمير البحرين الشيخ محمد بن خليفة بضرب الدمام. ولم ترد الحامية السعودية التي كانت في القلعة على تلك النيران. وبهذا هرب محمد بن عبد الله من المنطقة. ويعتقد المقيم أن السلطات السعودية في الساحل والتجار الذين يعملون هناك مغتبطون لهذا الإجراء ولفرار محمد بن عبد الله الذي كان لاجئاً إلى فيصل وسبب له الكثير من المشاكل «غير أن الشهامة العربية تأبى طرد اللاجىء. وعلى العموم لم ترد علينا القلعة وحاميتا القطيف والدمام. وكانت الأوامر من جانبنا ألاّ نرسل النار على القلعة ما دامت مدافعهم خامدة». وقضى المقيم ١٦ يوماً بعد ذلك في البحرين على أمل أن يصل مبعوث وهابي للتفاوض، إلا أن ذلك لم يحدث. ولهذا قام المقيم بإرسال خطاب إلى الأمير فيصل يعبر فيه عن ابتهاجه بانتهاء تلك المشكلة ويعرض وساطته لإحداث سلم دائم بين الرياض والمنامة. وأنهى المقيم إلى فيصل أن شيوخ البحرين يريدون السلام ويسعون إليه شريطة أن يخفض فيصل مبلغ الزكاة المفروضة على البحرين. ويُطمئن المقيم فيصل بأنه لن يقبل بهذا أو أي أمر آخر من شأنه الإضرار «بمصالح صاحب السمو الحاكم الوهابي، فكل شيء خاضع للتفاوض». وأخطر المقيم حكومته بأنه أنهى إلى فيصل أنه مستعد للوساطة بين الطرفين إذا أرادها فيصل وأرسل مندوباً عنه إلى بوشهر ليفاوض علي بن خليفة الموجود في حضرته(١٢٦).

وفي ٢٥ جمادي الأولى ١٢٧٨ هـ / ١٨٦١ م خاطب أحمد توفيق باشا والي بغداد، كمبال الوكيل السياسي البريطاني في ولايته في «أن أحد شيوخ

البحرين المطالبين بحكمها وهو أحد أبناء عمومة شيخ البحرين الحالي قد التجأ إلى الأمير فيصل بك قائم مقام نجد وقد أقطعه الأمير منطقة الدمام ليقيم فيها(١٢٧) . وعارض شيخ البحرين سكنى هذا الشيخ هنالك واتصل بالقنصل البريطاني في بوشهر وطلب منه إجلاء هذا الشيخ إلى الكويت أو أي منطقة أخرى في داخل نجد . وقد قام القنصل البريطاني بسفنه إلى الدمام لحمل ذلك اللاجىء إلى النزوح من المكان، وهدد بأنه سيستعمل القوة في حالة رفض الشيخ للأمر . وبما أن ذلك المكان هو من الممتلكات الراجعة للباب العالي ، وبما أن حكومة الباب العالي تربطها بالحكومة البريطانية وشائج الصداقة ، فإن ما قام به القنصل المذكور لا يستقيم مع علاقات الصداقة القائمة بين الدولتين . أرجو إخطاري بحقيقة ما يقوم به القنصل المذكور في ذلك المكان والهدف من وراء ذلك» .

وأكّد الوكيل البريطاني في رده للوالي أنّ المقيم لا يقصد إلا الحفاظ على أمن وسلامة البحرين التي هي «أرض مستقلة تجمعها مع الحكومة البريطانية علاقات تعاهد. وأن هدف ذلك الضابط من وراء هذا العمل هو الحفاظ على الأمن والسلم في منطقة الخليج، وذلك أمر مفيد لكل الأمم التي تجري تجارتها في هذا البحر»(١٢٨).

تتدخل الحكومة العثمانية فتطلب إلى السفير البريطاني بالأستانة أن يقدم تفسيراً لما قام به هذا الضابط في الدمام. ويكتب السفير البريطاني في ١٢٧٨ هـ / ٤ ديسمبر ١٨٦١ م إلى لندن يستطلع أمر السفن الحربية التي ضربت الدمـام وتفاصيل ما قامت به، ويسأل عن الجرم الذي ارتكبه محمد بن عبد الله شيخ الدمام. وتذهب رسالة السفير إلى أن «الأمير فيصل، الحاكم الوهابي، تابع للحكومة التركية، وأن المنطقة من الدمام والقطيف هي منطقة تقع تحت حكم هذا الأمير، وهذا أمر لا يمكن إنكاره. ولكن علينا أن نلاحظ أن الباب العالي ليست له المقدرة على ضبط الأمور في تلك النواحي، ولا يستطيع ـ كما

أثبتت الحوادث في الماضي ـ عقاب السلطة المسؤولة هنالك إذا حاولت القيام بأعمال القرصنة. ولكن هل يمكن أن نقول بأن الباب العالي يرضى عما يقوم به الأمير فيصل من مد سيادته على البحرين؟»(١٢٩).

وقدم والي بغداد بعدئذ عدة احتجاجات للقنصل البريطاني على قصف «قصبة» الدمام ومرت احتجاجاته دون جدوى(١٣٠).

لم يرد الأمير فيصل على الخطاب الذي أرسله له المقيم البريطاني في ١٢٧٨ هـ / نوفمبر ١٨٦١م، ولهذا كتب له المقيم مرة أخرى متعجلاً الرد. جاء في هذا الخطاب: «لقد مضى شهران منذ أن خاطبتكم في شأن شروط شيخ البحرين للصلح، ورجائي في أن تخولوني وساطة الخير بينكما. إن هدفي من وراء وساطتي هو العمل على إسباغ بركات السلم على سواحلكم وسواحل البحرين. ولم أتلقّ منكم رداً، الأمر الذي يعني رفضكم قبول وساطتي. ورأيت أن أتقدم لكم مرة أخرى وأخيرة بعرض وساطتي». ويستمر المقيم في خطابه هذا المؤرخ في ٨ شعبان ١٢٧٨ هـ / ٨ فبراير ١٨٦٢ م ليقول بأن هناك انتهاكات خطيرة للأمن في منطقة ساحل قطر، وقد كتب له شيخ البحرين بذلك. ويقول المقيم بأن هذه الانتهاكات ترقى إلى إعلان الحرب لأنها ستصيب الرعايا البريطانيين وممتلكاتهم في المنطقة بالخطر والبوار. ويستمر الخطاب إلى القول «ولا أستطيع أن أمنع البحرين التي هي قوة مستقلة من أن تمارس حقها القانوني في الدفاع وذلك في حالة إذا لم تتحرك سموكم في اتجاه تقدير معنى أمن الخليج.. إن من واجبي أن أرعى الأمن في البحار، وعليكم أن تختاروا بين هذا العرض من قبلي في الوساطة لفتح باب السلم وبين غيره. وسيعتمد على ردكم أو صمتكم الكثير مما هو آتٍ»(١٣١). ولم يرد الأمير على المقيم في هذه المرة أيضاً.

توسط أحد شيوخ آل ثاني بين المنامة والرياض، وحين عاد هذا الشيخ في رمضان ١٢٧٨ هـ / مارس ١٨٦٢ م من نجد عاد متفائلاً بسيادة السلم وعودة

المياه إلى مجاريها، حيث رضي فيصل بالصلح على أساس زيادة مبلغ الزكاة إلى ٨٠٠٠ ريال[١٣٢]. ولم يوافق شيخ البحرين حيث كان يطمع في أن تسنده الدولة العثمانية وأن تسند إليه إدارة الساحل العربي من القطيف إلى مسقط . وقد كتب الشيخ بذلك إلى الأستانة وعرض أن يدفع ١٠,٠٠٠ ريال زكاة سنوية بشرط أن تحميه الدولة من فيصل[١٣٣] و«الآخرين». ولعل الشيخ كان يقصد الانكليز بـ «الآخرين» . كما طلب أن يوكل له نظير دفعه هذا المبلغ حكم الساحل الواقع بين القطيف ومسقط .

يكتب المقيم البريطاني في الخليج إلى الوكيل البريطاني في العربية التركية (العراق)بتاريخ ذي القعدة ١٢٧٨هـ /٨ مايو ١٨٦٢ م خطاباً يقول فيه إن الأمير فيصل قد التزم الصمت واتخذ خطاً سياسياً ثابتاً في عدم التراسل مع المقيمية البريطانية في الخليج أو قبول وساطة المقيم في الخلافات العربية. ويقول إنه قد أرسل لفيصل خطاباً آخر «إذ لا زال الأمل يراودني في أني سأتلقى منه رداً يتسم بالصداقة، وسأقوم في هذه الحالة بتسوية المشكلة المتفاقمة مع الزمن»[١٣٤]. وقد أدرك المقيم البريطاني أن فيصل لم يعد يبادل المقيمية علاقات الصداقة القديمة بعد طردها لمحمد بن عبدالله من أرضه دون موافقته.

عموماً لم نعد نحس في ما تبقى من عهد الأمير فيصل أثراً له في سياسة البحرين، خصوصاً بعد أن نجحت أسرة آل خليفة في ١٢٨٠هـ / ١٨٦٣م في أن تلملم خلافاتها حين تمت المصالحة بين الشيخ محمد بن خليفة وأبناء عبد الله بن أحمد. ولم يكن عهد الأمير عبد الله بن فيصل الذي خلف والده في الرياض عهداً مؤثراً في السياسة البحرانية، إذ وقفت المشاكل الداخلية والخارجية دون ذلك. فبالإضافة إلى الثورة التي واجهته في الداخل وشغلته بنفسه نجد فهماً صريحاً لدى البريطانيين في الهند يؤكد أن حكومة البحرين حكومة مستقلة عن سلطة الحاكم النجدي استقلالاً ناجزاً، وأن المال الذي

تؤديه البحرين عادة إلى الرياض هو مجرد ثمن تدفعه البحرين لحمايتها وحماية ممتلكاتها وحواضرها على ساحل قطر من تعديات القبائل النجدية[١٣٥]. وقد اتبع أمير البحرين سياسة قضت بإخلاء مدن قطر لكي يأتي بسكانها فيصبحون تحت قبضته المباشرة في البحرين أو تحت قبضة أخيه علي في البدع. وقام أمير البحرين ـ دون تحريض من المقيم ـ منذ أبريل ١٨٦٣ بإخلاء وكرة حتى لا تمثل بؤرة معارضة ضده وأتى بشيخها إلى البحرين مصفّداً. وقد وافقت المقيمية على هذه السياسة[١٣٦] وتمّ بعدئذٍ في مارس ١٨٦٧ م ترسيم استقلال البحرين حيث أصدر الحاكم العام للهند في مجلسه قراره المرسل إلى سكرتير حكومة بومباي بتاريخ ٢٢ مارس ١٨٦٧م ، والذي جاء فيه أن سعادته في مجلسه يوافق على استقلال حاكم البحرين، وأنه ليس بذي تبعية أو ولاء لأية قوة أخرى[١٣٧] .

كانت الهند البريطانية تخشى وقوع البحرين تحت قبضة العثمانيين بصفة مباشرة أو غير مباشرة، ولهذا سعوا إلى ضبط أمور البحرين بواسطة المقيم في الخليج . وقد وافقت هيئة مديري الشركة البريطانية منذ الامتداد التركي المصري على أن أية محاولة للسيطرة على البحرين من قبل أية قوة دولية يجب أن تقابل بالقوة الأسطولية المسلحة . كما أشارت بعدئذ إلى أنها لن تسمح للعثمانيين أو من ينوب عنهم باحتلالها، وعليه يجب أن تقام كل المصاعب في وجه الأمير الوهابي الطامح في البحرين، وأكد القرار واعتمده بعدئذ الحاكم العام للهند في مجلسه[١٣٨] .

ويبدو أن هذا الاعتراف من حكومة الهند قد قوى في عزم محمد بن خليفة أمير البحرين وشدّ من عزيمته، فراح يضايق أهل قطر وقوارب صيدهم وهو مطمئن إلى الحماية التي يمكن أن تسبغها عليه الهند البريطانية التي تعهدت له بالاستقلال .

حدث أن أغار أمير البحرين على بعض قوارب أهل قطر وتمكن منها. وعندما خرج أهل ساحل قطر لرد الاعتداء استنجد علي بن خليفة قائد القوارب

البحرانية المغيرة بشيخ دبي وشيخ أبو ظبي فتقاعس الأول وهبَّ الثاني في جماعاته لنصرته . تمكن التجمع الظبياني البحريني في صفر ١٢٨٤ هـ / يونيو ١٨٦٧ م من مناطق قطر وحواضرها المختلفة وأنزلوا الدمار بوكرة والدوحة والبدع واستولوا على غنائم قُدِّرت باحدى عشرة لخ روبية (ما يعادل ٥٠,٠٠٠ استرليني). وتفرق أهل هذه البنادر أيدي سبأ ، فوصل بعضهم إلى نجد وسار آخرون إلى مناطق ساحل عمان والتجأ البعض إلى الساحل الفارسي . وحين استنجد أهل قطر بالأمير السعودي عبد الله أرسل إلى شيخ البحرين يطلب إليه ردّ مظالم العباد فوراً وأداء ما لهم من حقوق ، وأن لا يعترض من يريد منهم العودة إلى وطنه . وينسب إلى الأمير عبد الله بن فيصل قوله في هذا الخطاب لشيخ البحرين «بما أن أهدافه في إشاعة السلم متطابقة مع أهداف الحكومة البريطانية فإنه لن ينزل مكروه بأهل هذا الساحل». وردّ شيخ البحرين على خطاب عبد الله بحملة أخرى على قطر خربت الأطلال الباقية إثر الهجوم الأول وشرّدت ما تبقى من السكان . ولم يستثنِ الشيخ حتى أولئك الذين أصدر أمره بالعفو عنهم وسمح لهم سابقاً بالعودة . وبدأ عبد الله بن فيصل في أول المحرم ١٢٨٥هـ / أبريل ١٨٦٨م النفير والتعبئة للهجوم على البحرين[١٣٩]، ولم يتمكن لعدم استقرار أميره في نجد من القيام بشيء مؤثر . وتكشف الحوادث التالية حتى عهد الشيخ عيسى في البحرين وما تبقى من فترة الإمام عبد الله في نجد أن الشيخ يرفض أداء الزكاة للدولة السعودية بدعوى أنه لن يؤدي الزكاة ما لم يدخل عبد الله في السلم[١٤٠] ـ وينفض كل دعوى له في السيادة على البحرين .

الفصل الخامس

علاقة نجد بالإمارات الساحلية وعمان وأثرها في السياسة البريطانية في المنطقة

١٢٥٨-١٢٨٧هـ/١٨٤٢-١٨٧٠م

ابن ثنيان والاتجاه نحو عمان:

تذكر المصادر السعودية أنه بوصول عبد الله بن ثنيان إلى حكم نجد في ١٢٥٨ هـ / فبراير ١٨٤٢ م بدأت محاولاته لكسب مواقع السعوديين القديمة في عمان والساحل العماني. وتذكر هذه المصادر أيضاً أن ابن ثنيان كتب في فبراير ١٨٤٢ م إلى شيوخ الساحل العماني يخطرهم بعزمه على إرسال سعد بن مطلق ليكون ممثلاً له عندهم. ودعا ابن ثنيان الشيوخ بشكل ودي إلى الاتحاد والعمل يداً واحدة مع قائده في تلك المنطقة وتقديم كل المساعدات الممكنة بالنسبة له[١].

تناهت هذه الأخبار إلى الكولونيل روبرتسون Robertson، مقيم الخليج بالإنابة، فأسرع بزيارة الساحل العماني، وصادر أصول كتب ابن ثنيان للشيوخ جميعهم فيما عدا الكتاب الموجَّه إلى خليفة بن شخبوط، حاكم أبوظبي، الذي أصر على الاحتفاظ به وأنكر حق البريطانيين في طلبه منه، فالخطاب معنون له وسيحتفظ به[٢]. كتب روبرتسون بعد هذا إلى ابن ثنيان في الرياض خطاباً جاء فيه أن تعاليم المبادىء الوهابية «أدت فيما قبل إلى حالة من الفوضى بين رؤساء

القراصنة. وقد تجشمت الحكومة البريطانية ـ فيما مضى ـ شططاً لكي تكبح جماح القرصنة، وتمكنت بعد لأي من أن تنزل بهؤلاء الشيوخ العقاب، وتجبرهم على السلام». واستنكر المقيم البريطاني بالإنابة محاولات ابن ثنيان إدراج هؤلاء الشيوخ تحت نفوذ السعوديين أو سلطتهم مرة أخرى، لأن ذلك «سيثير الدوافع الوحشية الكامنة في هؤلاء» ـ على حد تعبيره ـ وسيعرضهم هذا لانتقام رادع من الحكومة البريطانية»[٣].

ردَّ الأمير عبد الله بن ثنيان على المقيم البريطاني بالإنابة رداً يتسم بالود، وأعلن عن رغبته في التعاون مع الحكومة البريطانية لضبط الأمن، وضرب القرصنة والقراصنة والوقوف بكل إمكاناته ضد القبائل التي تحدث الفوضى، وتقوم بالتعديات في البحار. وأشار خطاب ابن ثنيان إلى أنه بعث برسله إلى مناطق عمان المختلفة حيث دعا أتباعه هناك والآخرين الذين يسكنون المناطق المتاخمة لهم إلى الخلود إلى السكينة، وإقرار الهدوء، والابتعاد عما من شأنه أن يثير في البحار اضطراباً[٤].

رد شيوخ البريمي وعمان على الأمير عبد الله بن ثنيان ردوداً متفاوتة حيث رحب به البعض وأبدى رغبته في التعاون والانتظام في الدولة. ورد آخرون محذرين من التدخل في شؤونهم، لأنهم داخلون في «اتحاد» مع الحكومة البريطانية. وفي الحقيقة لم يتمكن ابن ثنيان من إحداث أثر سياسي في هذه المنطقة لعدم ثبات أمره في نجد. وصلت منذ ١٢٥٩ هـ / يونيو ١٨٤٣ م أخبار تفيد بوصول فيصل إلى نجد مرة أخرى، ولما لم يكن لابن ثنيان من مناصرين إلا أهل الرياض اضطر للتسليم ودفنت بهذا طموحاته في الخليج العربي[٥].

بومباي تبحث عن سياسة لمواجهة الامتداد:

أرسل الأمير فيصل بن تركي في ١٢٥٩ هـ / يوليو ١٨٤٣ م إلى شيوخ الساحل العماني يخطرهم بأنه سيرسل، بعد انتهاء فترة القيظ، سعد بن مطلق ومعه قوات ضخمة لرد تلك المناطق للسيطرة السعودية. ورد كل الشيوخ فيما

خلا شيوخ البريمي ودبي مبدين اغتباطهم بهذا الأمر(٦). وفي أواخر ١٢٥٩ هـ / نوفمبر ١٨٤٣ م اتصل حمود بن سرور ومحمد بن عبد الله، شيخا البريمي البارزين، بالمقيم البريطاني يطلبان المساندة ضد القوة السعودية الصاعدة فلم يتحمس المقيم لطلبهما، ورد عليهما بأن ما يحدث في داخل شبه الجزيرة العربية هو أمر لا يعني حكومته البتة. فحكومته ظلت تحمي الشيوخ من الامتداد المصري وتعديات «محمد علي على نجد». أما الآن وقد انحسر هذا المد، وتغيرت الأحوال برحيل خورشيد من نجد، فإنه يرى أن ما يحدث حالياً هو نزاع بين قبائل المنطقة. ويقع على القبائل نفسها حسم هذا الأمر، فموقف الحكومة المعلن هو عدم التدخل في الشئون الداخلية للجزيرة العربية(٧). وفي الحقيقة أن السلطات الهندوبريطانية في الخليج لم تقترح عودة فيصل بن تركي إلا لأنها تريد رفع يدها عن مشاكل شبه الجزيرة والدفع بها إلى رجل يدرك المنعة البريطانية ويبتعد عن مشاكستها.

وفي حوالي هذا التاريخ وصل خطاب من الأمير فيصل إلى المقيم البريطاني يعبر فيه عن علاقات الصداقة المنشودة، وعن حرصه على توثيق الصداقة التي ربطت في الماضي بين أبيه تركي والبريطانيين. رحّب المقيم بالسفارة السعودية التي حملت له هذا الخطاب ورد بخطاب مماثل جاء فيه أن «غاية الحكومة البريطانية من تواجدها في الخليج هي العمل لكبح القرصنة وصيانة أمن البحر، وحفظ أموال المواطنين وأرواحهم فوق مياهه»(٨). وأشار إلى قوة الحكومة البريطانية ومنعتها، واختتم بالتعبير عن تطلعه إلى تأكيد أواصر الصداقة بينهما.

سألت حكومة بومباي في خطابها بتاريخ ١٢٦٠ هـ / ٢٦ أغسطس ١٨٤٤ م الحكومة العليا عن السياسة التي يمكن أن تتبع مع الأمير السعودي، إذ باتت كل الدلائل تشير إلى «أن فيصل الحاكم الشرعي على الوهابيين يزمع أن يمد سلطته على شيوخ عمان». وطلبت بومباي من الحكومة العليا في الهند أن

توضح لها تفصيلاً خط التعامل مع هذا الحاكم إذا حاول القيام بعمليات بحرية لتحقيق أهدافه في تلك المناطق. ولم تنس هذه الحكومة أن تذكر «بأن ما يقوم به فيصل سيعرض علاقتنا بعمان إلى الخطر، وكذلك علاقتنابالشيوخ البحريين، وسيؤدي في النهاية إلى تجدد القرصنة». وينتهي الخطاب إلى النص التالي: «يرى الحاكم في مجلسه ضرورة بحث أمر توجيه المقيم في الخليج لمحاولة الوصول إلى اتفاق مع الأمير فيصل يؤكد ويوثق الاتفاقات المعقودة بشأن البحر سلفاً. بمعنى آخر أنه يمكن بتسامح الحكومة البريطانية السماح لهذا الشيخ أن يصبح عضواً في الاتفاقية البحرية، وبهذا يمكن أن نحافظ على المصالح التجارية في المنطقة. وبما أنه من المحتمل أن يقوم الحاكم الوهابي بالتدخل في الأملاك التابعة لصاحب السمو أمام مسقط فإن علينا أن نتدبر هذا الأمر. وتأمل هذه الحكومة أن ترفع هذه الملاحظات إلى الحاكم العام في مجلسه ليفتي فيها بالرأي»[٩].

لم يصل من الحكومة في الهند رأي يلزم حكومة بومباي بالقيام بعمل ما. ولم تستلم بومباي رداً رسمياً، إلا أننا يمكن أن نستشف الرد من التعليق الصغير الذي كتبه اللورد هاردنج Hardinge على ظهر هذا الخطاب. يقول التعليق: «لم تنشأ حالة تستدعي التدخل»[١٠].

وصل سعد بن مطلق، القائد السعودي، إلى المنطقة في ذي الحجة ١٢٦١ هـ / أوائل عام ١٨٤٥ م في قوة قليلة من أتباعه، وكان سعد قبل أن يحل منطقة ما يرسل عيونه ليعرف حقيقة شعور أهلها وموقفهم من الأمير فيصل، وكانت كل تقاريرهم في صالح تقدمه. فعندما عرف شيوخ البريمي بوصوله إلى المنطقة سارعوا بتقديم الولاء له. وسلمت له القبائل حصونها مختارة، وألقت إليه بمفاتيحها في تسابق، ولم تعارضه سوى مناطق متفرقة[١١]. وحين بلغ الأمر حكومة بومباي أرسلت في ١٢٦١ هـ / ٦ مايو ١٨٤٥ م إلى الحكومة في الهند تطلب إليها أن تخطرها بخط السياسة الواجب إتباعه تجاه فيصل، والسياسة

الواجب اتباعها إذا طلب إمام عمان منهم التدخل لحماية مصالحه وأرضه. جاء في هذا الخطاب: «إنه من الواضح أن الحملة الحالية على عمان التي يقودها سعد بن مطلق تهدف إلى استعادة السيادة الوهابية وإرجاع شأنها إلى الحال الذي كانت عليه على عهد تركي بن عبد الله (والد الأمير الحالي) وقبل الاعتداء المصري على القوة الوهابية». ويسترسل الخطاب إلى القول إن: «الميجور هنيل يرى بأن عمليات سعد بن مطلق، وانتظام الشيوخ البحريين في سلك الطاعة، ربما أدت إلى أن تضار المصالح البريطانية في تلك المنطقة بشكل أو بآخر». ويذكر الخطاب أن هؤلاء الشيوخ قد أدخلوا «في مناسبة سابقة تحت حمايتنا»[١٢] . وترى بومباي أن دخول هؤلاء الشيوخ تحت راية سعد بن مطلق سيبعث فيهم روح المقاومة مرة أخرى. وترى بومباي ـ تأسيساً على هذا ـ أنه لا بد من تدخلها في الأمر وعلاجه قبل أن يستفحل. «ترى هذه الحكومة أنه إذا كان غرض فيصل بن تركي هو مد السيادة الوهابية إلى ما وراء الحدود التي كانت عليها سابقاً، وأنه يسعى إلى ضم أراضي حليفنا إمام مسقط، وأن تحركاته ستعود بالخطر على علاقاتنا مع العرب البحريين وعلى ما قمنا به من عمليات لوقف القرصنة، فستنشأ حالة تستدعي التدخل. وفي هذه الحالة فإنه من المرغوب فيه أن توجه السلطات المحلية (البريطانية في الخليج) إعلاناً لفيصل بن تركي تخطره فيه بأن تسامحنا الذي شجعه بالقيام بهذه العمليات سوف لن يتسع له لأكثر من هذا، وأننا لن نستطيع أن نسمح له بعمليات عدائية تجاه أراضي حليفنا القديم».

وكان رأي الحاكم العام في مجلسه «أن مجرد التعبير عن شعورنا تجاه هذا الموضوع هو أمر كافٍ لجعل الحاكم الوهابي يوقف عملياته النشطة في تلك المنطقة. كما يمكن ـ إذا استدعى الأمر ـ القيام بمظاهرة بحرية بقواتنا التي هي في محطة الخليج الآن، وسيأتي هذا العمل بالنتيجة المرجوة». ويضيف الحاكم العام في مجلسه أن حكومة بومباي تدرك هذه الأمور أكثر مما تدركها حكومته، وتستطيع أن تتعامل معها، ولكنه يرى ضرورة عدم اتباع سياسة ترغم حكومته على إرسال قوات إلى الخليج العربي. كما يرى أنه يجب أن لا يرسل إلى

فيصل أو إلى وكيله ابن مطلق تهديد لا تستطيع هذه الحكومة تنفيذه. وعليه «فإذا كانت حكومة بومباي ترى أن مجرد التعبير عن رغباتنا هذه، أو أن العمليات الأسطولية المشار إليها وحدها كافية لإحداث الأثر المرجو، فعليها أن توجه السلطات المحلية (البريطانية في الخليج) إلى ذلك. أما إذا كان حاكم بومباي في مجلسه يشك في جدوى هذا الأمر فعليه أن يكتب لنا مرة أخرى شارحاً بالتفصيل آراء وأفكار حكومة بومباي في هذا الصدد، وذلك حتى نستطيع أن نبحثها ثم نرسل له بشأنها مرة أخرى». وانتهى الأمر بأن وجهت السلطات الهندوبريطانية إنذاراً إلى القائد السعودي سعد المطيري[١٣] في **١٢٦١هـ / ٢٥ يونيو ١٨٤٥** كما أرسلت احتجاجاً إلى الأمير فيصل بن تركي . وانتهت الأمور باتفاق سلام تعهد فيه الأمير ثويني بدفع زكاة سنوية قدرها خمسة آلاف ريال[١٤] للرياض.

مقاومة أبو ظبي:

ظهرت بوادر تمرد في الساحل العماني على سلطة سعد بن مطلق ما لبثت أن تفاقمت. ويبدو أن سعد بن مطلق قد استعدى عليه القبائل بسوء تدبيره بعد عودته من البريمي منسحباً من مناطق صحار فبدأ شيوخ البريمي والساحل العماني يعارضونه. ولم يبق له من مناصر هناك إلا عبد الله بن راشد شيخ أم القوين. وبهذا بدأت الاضطرابات وانسدت الدروب إلى نجد[١٥]. وفي غمار هذه الأحداث، ومع انقطاع المدد من نجد، قام سعد بن مطلق يحارب ضد قلعة من قلاع آل بوخريبان، وهم فرع من قبيلة النعيم خرجوا عن طاعته، والتجأوا إلى قلعتهم، وأعلنوا العصيان. أغار ابن مطلق على قلاع منطقة عجمان، وشدد الحراسة على موارد المياه لئلا تصير للعدو. ولم يرض شيوخ القواسم بهذه العمليات العسكرية في ظهير ساحلهم وبدأوا ـ فيما عدا عبد الله بن راشد ـ يقاومون بعنف وضراوة. وارتد سعد بن مطلق بالفشل حين هاجم قلاع البوخريبان[١٦]، وفشلت حملته هذه. وكان فشله مدعاة لمقاومة أكثر ضراوة، وهان أمره على الشيوخ. وسعى بعض الشيوخ الغافريين بالصلح بين شيوخ

البوخميس والشيخ أحمد بن علي وذلك بهدف مناهضة القوة السعودية التي بدأت تترنح من الضربات الموجعة التي تلقتها. وجرت استعدادات كبيرة في دبي والشارقة لمناهضة ابن مطلق. ففي موسم غوص هذه السنة تركوا قواربهم تخرج للصيد واستبقوا من كل مركب رجلين للبقاء في المنطقة وحراستها من مخططات ابن مطلق. أرسل الشيوخ في المنطقة إلى الأمير في الرياض شاكين سوء تصرف سعد، واتهموه بأنه يأخذ الأموال ويستبقيها لنفسه. واستدعت الرياض قائدها لتحقق معه.وأزمع سعد القيام إلى نجد للدفاع عن نفسه وإبراء ذمته لدى أميره، وفي هذه الأثناء وصله من فيصل ما يؤكد ثقته فيه. استبقى فيصل قائده في منصبه، وطلب إليه أن يرسل ما لديه من أموال عن طريق الشيخ صقر بن سلطان. وقد اتصل الأمير بالشيخ صقر، وقام الأخير بترحيل الأموال في قواربه بحراً[١٧].

أدت هذه الأحداث إلى ضعضعة القوة السعودية في المنطقة. تحالف الشيخ سعيد بن طحنون، شيخ أبو ظبي، مع حاكم صحار ورئيس قبيلة النعيم كذلك لمواجهة القوة السعودية. قام هذا التحالف يؤازره الظواهر والعماير وقبائل أخرى أقل شأناً في جمادي الثانية ١٢٦٤ هـ / ٤ مايو ١٨٤٨ م بمهاجمة الشيخ سيف بن علي الذي كان يحكم في بعض القلاع الصغيرة في أرض الظواهر نيابة عن السعوديين. وبعد معركة حامية سقطت تلك القلاع لسعيد بن طحنون وحلفائه. بقي سعيد في أرض الظواهر ينتظر المدد من حلفائه لكي يغير على البريمي[١٨].

اكتملت استعدادات سعيد بن طحنون فقام بجموعه إلى البريمي في العام نفسه، وهزم سعد بن مطلق فيما يسمى «بوقعة العاتكة». وهربت فلول القوة السعودية إلى الشيخ مكتوم في دبي، ثم لجأت بعد ذلك إلى سلطان بن صقر في الشارقة[١٩]. وتمكن سعيد بن طحنون شيخ آل بني ياس من قلاع البريمي، وهزم قوة نجدية كانت في طريقها لنجدة سعد بن مطلق. بقي ابن مطلق في الشارقة ،واستطاع أن يجمع في المحرم ١٢٦٥ هـ / نهاية عام ١٨٤٨ م قوة من

جماعة الشيخ سلطان، ومكتوم بن بطي وحمود بن راشد بالإضافة إلى فلول النجديين الذين كانوا معه في الشارقة، وسارت هذه القوة لحصار البريمي. وفي هذا الوقت وصلته لجنة مساعٍ حميدة أرسلها شريف مكة. سلم الشيخ سعيد بن طحنون هذه القلاع للسعوديين مرة أخرى في ١٢٦٥ هـ / فبراير ١٨٤٩ م بعد توسط شريف مكة في الأمر الذي قضى بواسطته بأن ترجع الأحوال في المنطقة إلى ما كانت عليه قبل هذه الحرب، وما كان سعيد بن طحنون ليفعل ذلك لولا خوفه من أن يخذله التحالف[٢٠].

دخل الشيخ سعيد بن طحنون في ١٢٦٦ هـ / أوائل ١٨٥٠ م في تحالف مع السيد ثويني الذي كان يحكم عمان نيابة عن أبيه المتغيب في زنجبار. ففي يناير من هذه السنة نجده يسافر إلى مسقط لتنسيق الأمر هنالك، ثم يسافر بعدئذٍ إلى صحار لتجديد علاقات الصداقة القديمة مع الشيخ سيف بن حمود، ويصل ما انقطع بين هذا الشيخ وأمراء مسقط، ويوحد الجهود لمقابلة الامتداد السعودي في المنطقة. وغادر سعيد بن طحنون بعدئذٍ إلى شيناص وزار شيخها ونظم أمر المقاومة، ثم رجع بعد ذلك إلى قلعته في أبو ظبي. وهنا تلقى رسالة من القائد السعودي سعد بن مطلق يطلب فيها وساطته لدى مسقط لتؤدي الزكاة إلى الرياض وأغراه ببعض المال إن هو ترك العداء للسعوديين ووافق على قيام الوساطة المطلوبة[٢١]. كان القائد سعد يدرك خطورة الأمير سعيد بن طحنون والمنطقة الاستراتيجية التي يسيطر عليها في طريق الامدادات بين نجد والبريمي فحاول أن يحيده ولكنه لم يفلح.

قاد سلطان بن صقر، الأمير القاسمي، المقاومة ضد سعيد بن طحنون وكان المحرض للقائد السعودي سعد بن مطلق للثبات في وجه شيخ أبو ظبي. ولما لم يكن القائد السعودي يملك مالاً ولا أتباعاً، حيث لم تكن حاميته في البريمي تضم أكثر من أربعين رجلاً بالإضافة إلى العشرة الذين كانوا معه في تلك الفترة في الشارقة، فقد تقاعس عن العمل الجاد ضد أمير أبو ظبي وأبدى

عدم قدرته على الثبات ما لم يدعمه سلطان بن صقر ومكتوم بن بطي بالمال وبالرجال. كما أبدى شيوخ الحمرية وعجمان رغبتهم في العمل تحت راية سلطان بن صقر ضد سعيد بن طحنون. وكتب الأمير السعودي فيصل بن تركي إلى سلطان بن صقر وسعيد بن بطي وسعد بن مطلق يشحذ هممهم، ويخطرهم بأنه على وشك المسير إلى البدع في قوة كبيرة من أتباعه لإصلاح قلعتها، وأنه سيرسل إلى البريمي من هناك بألف رجل لدعمهم. ورغم هذا كان سعد بن مطلق يؤكد أنه سيبقى في الشارقة ولن يسير إلى معسكره في البريمي ما لم يصل فيصل إلى البدع ويرسل الدعم المطلوب[٢٢].

ثبت الأمير سعيد بن طحنون على التحالف العماني والكيد للأمير السعودي فيصل بن تركي، فأمد السيد ثويني سلطان عمان في مارس من هذه السنة بأربعمائة رجل من قبيلتي آل بني ياس والمناصير بقيادة ابن عمه محمد بن سيف وكذلك فضيل بن أحمد للدفاع عن قلعة شيناص ضد السعوديين. كما قام الشيخ سعيد بحملة على البريمي ليخرِّب منابع المياه ويقطع أشجار التمر ويشغل القائد السعودي المتقدم تجاه عمان، حين يسيطر على قاعدته في البريمي ويقطع خطوط امداداته. وحين وصل سعيد بن طحنون إلى البريمي وجد عندها القواسم، وأهل أم القوين، وعجمان، وكانوا قد وصلوا لتوِّهم إلى المنطقة. لم يكن لهذه الجماعات هدف مشترك إلا ما كان من أنهم لا يريدون لسعيد بن طحنون أن يحرز نصراً يقوى به عليهم. تناوش ابن طحنون مع هذه الجماعات وتراجع إلى أبو ظبي دون أن يحقق شيئاً. وتحالف هذا الشيخ مرة أخرى في محرم ١٢٦٧ هـ / نوفمبر ١٨٥٠ م مع بعض القواسم ضد السعوديين، كما لم تنجح بعدئذٍ خططه في مناصرة البحرين ضد الأمير فيصل، وفشل أيضاً تحالف ابن طحنون مع الشارقة الذي تم بعد هذا لمناهضة القوة السعودية في المنطقة[٢٣].

عبد الله بن فيصل في البريمي:

حسنت في ١٢٦٨ هـ / ١٨٥٢ م العلاقات بين الرياض ومشيخات الساحل العماني. ففي أبريل من هذا العام زار أحد أخوة سعيد بن طحنون واثنان من أبناء سلطان بن صقر، الأمير فيصل في الرياض، فأكرمهم وأحسن وفادتهم. ولا نعرف على وجه التحقيق هدف هذه الزيارة، ولكننا نستشف اتصالها بالعمليات السعودية في عمان، وفي ظهير الساحل المتصالح، إذ ظهر بعد هذه الزيارة مباشرة عبد الله الابن الأكبر للإمام في الإحساء. وبالرغم من أن الهدف المعلن لهذه الزيارة كان تحصيل متأخرات الزكاة من البحرين التي اتفق عليها في السنة المنصرمة، فإن وجود عبد الله بن فيصل طوال فترة الصيف في الإحساء جعل الهواجس تتجه إلى أنه ينوي غزو البحرين وعمان معاً. وقد صدقت تلك الهواجس بالفعل حين تحرك عبد الله بن فيصل من الإحساء في ١٢٦٩ هـ / يناير ١٨٥٣ م تجاه عمان(٢٤) يرافقه أحمد السديري، قائد فيصل في منطقة الإحساء، الذي كان رجلاً محنكاً عركته التجارب، وفي معيته قوة تتراوح بين ٣٠٠٠ و٥٠٠٠ من الهجانة وبين ٣٠٠ و٥٠٠ فارس.

وصلت هذه القوة بعد شهر إلى أطراف واحة البريمي وعسكرت هنالك، فلم تجد النعيم إلّا إعلان الخضوع فوراً، والدخول في طاعة السعوديين بلا قيد أو شرط. وأصدر عبد الله بن فيصل بدوره إعلاناً جاء فيه أنه لم يظهر في هذه المنطقة إلّا ليصلح بين شيوخها ويحقق المصالحة، ويزيل عنهم الحيف والضرر. وأرسل عبد الله بعد هذا إلى شيوخ الساحل العماني يستقدمهم إليه فلبوا دعوته(٢٥). وكان من أهداف الحملة الوهابية إعادة قيس بن عزان إلى صحار، واستلام الزكاة والهبات، وفرض السيطرة الفعلية على المنطقة(٢٦).

وصل هنيل، المقيم البريطاني في الخليج، إلى منطقة الساحل العماني في ١٢٦٩ هـ / ٢١ مارس ١٨٥٣م، ليناقش مع شيوخها بنود اتفاقية السلم الدائم التي تسعى الهند البريطانية لعقدها مع شيوخ المنطقة. وعرف هنيل بوجود

الشيوخ في حضرة عبد الله بن فيصل فأرسل إلى كل منهم «بضعة سطور أعلمهم بوصولي كما طلبت إلى الوكيل البريطاني أن يخطرني بأنهم قد رجعوا إلى مناطقهم». ويستمر خطاب المقيم البريطاني إلى بومباي فيشجب اجتماع كلمة هؤلاء الشيوخ مع القائد السعودي عبد الله بن فيصل، لأن ذلك سيقلل من مكانته، كما يرى أن هذا الأمر سيقود إلى تعقيدات خطيرة في عمان.

انسحب المقيم البريطاني إلى باسيدو في انتظار الاستجابة. ولم يرد على رسالة المقيم سوى سلطان[٢٦-أ] بن صقر شيخ القواسم، وحمد بن راشد شيخ عجمان. وقد اعتذر الرجلان للمقيم بأنهما لن يتمكنا من لقائه في الوقت الراهن، بينما أهمل بقية الشيوخ الرد على المقيم. أما عبدالله بن فيصل فنجد أنه يخاطب المقيم بهذه المناسبة بموجب خطابه المؤرخ في ١٤ جمادي الثانية ١٢٦٩ هـ / ٢٤ مارس ١٨٥٣ م يرفض طلب المقيم استدعاء الشيوخ، ويخطره بأنهم سيبقون في الوقت الراهن في ضيافته «لأنهم منا وتابعون لنا». كما أخطر القائد السعودي عبدالله بن فيصل المقيم بأنه يعكف الآن على تنظيم أمور هؤلاء الشيوخ، وإصلاح ذات البين بينهم. «إذ لا يخفى عليكم ما كان يحدث بينهم سابقاً، وما يقترفونه ضد بعضهم البعض من قتل، وما يحدثونه من اضطرابات. وإن شاء الله سنعمل على درء كل هذه المشكلات بما نقوم به من تسوية الأمور بينهم»[٢٧].

وصل الوكيل الوطني البريطاني في الشارقة إلى المقيم في باسيدو في ١٩ جمادي الثانية/ ٢٩ مارس ليخطر المقيم بأن سلطان بن صقر قد حزم أمره مع السعوديين لمهاجمة عمان. وقال الوكيل بأن هذا سيمكن سلطان من تحقيق هدفين يسعى إليهما، وهما إعادة قيس بن عزان إلى حكم صحار، وتأكيد سلطته على شيوخ عجمان وأم القوين. وأنهى الوكيل للمقيم أيضاً بأن سعيد بن طحنون شيخ أبو ظبي رفض الانحياز للسعوديين في مخططاتهم على عمان، وقد رجع بقواته إلى أبو ظبي. وقام المقيم إثر هذا بتحرير خطابين أحدهما

لعبد الله بن فيصل والآخر إلى سلطان بن صقر. وعبر المقيم في خطابه لعبد الله عن أسفه لما قام به من منع للشيوخ عن لقائه، وطلب إليه أن يسمح لهم بالعودة فوراً لمقابلته، وأشاد بدوافع عبد الله في خدمة السلم(٢٨). كما عبّر المقيم في خطابه للشيخ القاسمي عن غضبه لأنه يشارك في التخطيط للإعتداء على مناطق «عمان التابعة لأقدم حلفاء الحكومة البريطانية في المنطقة» .

انسحب عبد الله بعد أداء مهمته في البريمي متراجعاً إلى الرياض وترك خلفه أحمد السديري مع ثلة من الجند في تلك الواحة ليعمل على حفظ الأمن في المنطقة، ورد الشيوخ بعضهم عن بعض، والعمل ضد من يحاولون الخروج عن السلطة السعودية من الذين أعلنوا الولاء لها، ورد اعتداءات شيوخ الساحل العماني ضدهم. ويعلق المقيم على وجود السديري في البريمي فيقول بأنه أمر يثير الريبة، ويدعو إلى الشك. وقال المقيم إنه يراقب حركاته ويحصي سكناته بدقة بالغة. ويمضي المقيم إلى القول «بأن محاولاتنا في الفترة السابقة لتوحيد قبائل المنطقة لم تثمر إلا عن نجاح ضئيل، ولفترة محدودة جداً». ويضيف بأن هذه القبائل لا تعرف معنى تدخل السعوديين في شؤونها، ولهذا وجب على الهند البريطانية أن تدافع عنهم. ويستدرك المقيم فيقول بأن «الدفاع عن هؤلاء سيدخلنا إن عاجلاً أو آجلاً في خلافات البر». وهذا أمر لا تريده الهند البريطانية بالطبع، ولا تستطيع تحمل تبعاته في هذه المنطقة من العالم(٢٩) .

مسألة الحمرية:

تدخل السديري في ١٢٧١ هـ / ١٨٥٥ م لمساعدة سلطان بن صقر أمير القواسم في الشارقة لتأكيد سلطته على قبائل الشحوح في الحمرية الواقعة بين عجمان وأم القوين. وقد فشلت هذه المحاولة نتيجة لتدخل قبيلة آل بوشمس بقيادة شيخها فضيل بن محمد الذي أسرع بدعم الحمرية ضد القوات القاسمية السعودية المشتركة. كتب المقيم البريطاني إلى حكومته في ٦ يونيو ١٨٥٥ م خطاباً جاء فيه أنه قد زار أبو ظبي ودبي في الساحل العماني، والتقى بسعيد بن

طحنون، وسعيد بن بطي، ثم زار الحمرية التي كان قد هاجمها سلطان بن صقر. يقول المقيم بأنه قد حذر سلطان سلفاً من مهاجمة الحمرية، وطلب إليه أن يترك له شخصياً تسوية مسألة الخلافات القائمة بين الشحوح في الحمرية مع قبائل الشارقة ليعالجها بمعرفته بعد استطلاع رأي الحكومة في هذا الأمر. ومنع المقيم البريطاني الشيخ من القيام بأي عمل حربي خاصة عن طريق البحر. وعموماً لما كانت المسألة مسألة ثارات بين القبائل حيث قام أهل الحمرية بقتل بعض أهل الشارقة بما فيهم عبد الله بن الشيخ سلطان نفسه، فقد تلكأ المقيم في حلها المستعصي. يقول المقيم بأن السديري تدخل أولاً متظاهراً برأب الصدع بين المنطقتين، ولكنه كان يعمل في الحقيقة لتوسيع هوة الخلاف بينهما ليتمكن من وضع قوة تابعة له في الحمرية[٣٠].

طلب السديري إلى الشيخ سلطان أن يجبر أهل الحمرية على الطاعة، ووعده بكل الدعم والمساندة. و«لهذا لم يعمل سلطان بتعليمات المقيم، فهاجم الحمرية بقوته بالإضافة إلى ١٥٠ رجلاً أرسلهم السديري لمساندته، وثلة من القوم أرسلهم شيخ عجمان». لم يرض المقيم الدعم السعودي للشيخ سلطان ولكنه في نفس الوقت لم يجبر سلطان على إلغاء حملته ورده إلى الشارقة وذلك كما يقول المقيم، «لأني لو فعلت هذا فسيكون اعترافاً صريحاً مني باستقلال الحمرية، وربما ساعد هذا الاعتراف المتمردين الآخرين على سلطة الشيخ على الخروج من قبضته والثورة عليه».

طلب المقيم البريطاني إلى الأطراف المتنازعة أن تسوي مسألة الدم. وبدأت مفاوضات ساندت فيها أم القوين أهل الحمرية، ودافعت عن سلوكهم. ولم تصل المفاوضات إلى نتيجة، فأعلن المقيم بأنه سيحكم السيف لضمان تنفيذ شروط اتفاقية السلم الدائم[٣١]. ولهذا اضطر عبد الرحمن بن سيف، شيخ الحمرية، وزعماء القبيلة للرضوخ. وجرى الاتفاق بينهم وبين إبراهيم ابن الشيخ سلطان ومحمد علي بوشلبي الممثلين للشارقة، أن يرسل

زعماء الحمرية رسالة إلى شيخ القواسم يشجبون فيها سلوكهم ، ويعتذرون عنه ، ويعلنون رجوعهم إلى الطاعة ، وأن يدفعوا ٥٠٠ كرونة ألمانية غرامة . كما تعهد هؤلاء برحيل قبائل الشحوح عن الحمرية بعد موسم الغوص على أن تترك لهم الحرية ليذهبوا حيث يريدون ، ويستقروا حيث يشاؤون . وطلب الشيخ القاسمي إلى المقيم أن يضمن شروط هذه الاتفاقية . ورفض المقيم الضمان ، وهنا هدد هذا الشيخ بأنه سيهاجم الحمرية براً وبحراً لو نقضت المعاهدة ولم تتقيد بشروطها[٣٢] .

قابل فضيل بن محمد، شيخ آل بو شمس، المقيم وصرح بأنه اشترك بطريقة مباشرة في الدفاع عن الحمرية ضد القوات المشتركة التي هاجمتها، وأن ذلك العمل سيدخله في دائرة غضب الوكيل السعودي في المنطقة. واستفسر فضيل من المقيم عما إذا كانت الحكومة البريطانية لا تزال ترغب في توحيد قبائل عمان ضد السعوديين والعمل على طردهم من المنطقة. يقول المقيم: «لما كان عليَّ أن أتقيد بسياسة عدم التدخل في بر الجزيرة العربية، أجبت فضيل بأن العلاقة بين بريطانيا والسعوديين طيبة».

لم يكن هناك شيء هام في علاقة نجد بالساحل العماني في ما تبقى من هذه الفترة. فقد أتمت معاهدة السلم الأبدي ١٢٦٩ هـ / ١٨٥٣ م تقييد منطقة الساحل العماني فوهنت قوتها، وما عاد لها كبير خطر في البحر، أو أثر بعيد في العلاقات النجدية البريطانية. وقد حقق السعوديون الأمن بسيطرتهم على ظهير الساحل دون الساحل نفسه، وقنع كل شيخ بما لديه دون محاولة الامتداد أو السيطرة على الآخرين.

العلاقة مع عمان:

للحفاظ على السلم البحري للبريطانيين في الهند، وتحقيق أمن الهند، والعمل على سيادة أهدافها ومصالحها وتجارتها في المنطقة، جهد البريطانيون في رد السعوديين وغيرهم من القوى المنطلقة من داخل الجزيرة العربية إلى

ساحل الخليج. وكان لا بد من وضع سياج أو سد في المنطقة الغربية من الخليج لحجز هذه القوى حتى لا تبلغ المياه وكانت مسقط، القابعة عند مدخل الخليج، هي بداية هذا السياج الذي سعت الهند وسلطاتها في الخليج إلى تثبيته.

ثبتت سياسة الهند البريطانية على عدم التدخل في سياسة البر في شبه الجزيرة العربية إلا بقدر ما تقتضيه صيانة هذا السياج، وتمكينه من الصمود في وجه كل تقدم من الداخل حتى تأتي سفن الأسطول البريطاني لمجابهة الخطر الزاحف من الداخل.

اختلفت وجهة النظر الهندية عن وجهة نظر موظفيها في الخليج العربي. لم يقنع هؤلاء الموظفون بالسياج الرقيق الصامد، إنما دعوا إلى إقامة سد غليظ جامد. كانت الهند تدعو إلى عدم مساندة سلاطين مسقط وتركهم لأقدارهم في مواجهة السعوديين، حتى إذا أطل السعوديون من البحر على تلك المنطقة واجهتهم قنابل سفن أسطول الخليج البريطانية لتردعهم وتردهم إلى الداخل. أما سلطات الهند في الخليج العربي فقد كانت تدعو إلى مساندة سلاطين مسقط مساندة فعالة، والسعي لتثبيت نفوذهم في الداخل لكي تصعب الإطلالة السعودية من تلك المنطقة. وكانت بومباي أكثر ميلاً لتأييد وجهة نظر موظفيها في الخليج العربي، ولكنها كانت تلتزم أخيراً وتلزم موظفيها في الخليج بوجهة نظر الحكومة العليا في الهند، والتي تدعو إلى عدم التدخل في الظهير.

عمان تؤدي الزكاة:

وصل سعد بن مطلق إلى البريمي ـ كما أسلفنا ـ في أوائل عام ١٨٤٥ م ودخلت الواحة في طاعة السعوديين دون قتال. وحين وصلت أنباء ابن مطلق للإمام العماني الذي كان وقتها في زنجبار كـان ابنه ثويني وكيله في حكم مسقط يعاني من مشاكل داخلية متفاقمة . كان ثويني يعاني من الخلاف الذي وقع في هذه الفترة بين قبائل بني جابر (الجوابر) من جهة وقبائل الموالك وآل حميد

الذين يقيمون حول بركا من جهة أخرى ـ ولم يكن الإمام العماني ولا ابنه في وضع يمكنهما من تسوية هذه المشاكل[٣٣].

أرسل سعد بن مطلق إلى ثويني في مسقط وحمود بن عزان في صحار يطلب إليهما أن يدفعا زكاة ٢٠,٠٠٠ كرونة ألمانية عن مسقط، و٥,٠٠٠ عن صحار[٣٤]. تدارس ثويني وحمود الأمر، واستقر الرأي على أن يقوم حمود بأداء المبالغ المطلوبة،وذلك حتى لا تقع مناطقه المجاورة للبريمي ـ حيث القوة السعودية ـ فريسة لتوغل ابن مطلق الذي يمكن أن يزحف إليها حالاً دون أية عوائق. أما ثويني، فكان عليه أن يعتذر بأنه لن يستطيع أن يبت في أمر كهذا إلا بعد رجوعه إلى والده في زنجبار، وطلب إلى القائد السعودي أن يمهله ريثما يتم الاتصال به. وفي هذا الوقت اتصل ثويني بالمقيم البريطاني طالباً المساندة والدعم. وكان من رأي المقيم تشجيع الخط التهادني الذي اتبعه ثويني وحمود مع القائد السعودي. ونصح المقيم ثويني بمحاولة الوصول إلى اتفاق يرأب به الصدع، ويحل به المشكلة، شريطة ألاّ يكون الاتفاق مهيناً، وألاّ تكون طلبات القائد السعودي مسرفة. أما إذا رفض هذا القائد الاتفاق فعلى ثويني أن يلوِّح بتدخل الحكومة البريطانية ومساندتها له[٣٥].

وافق سعد بن مطلق على الاتفاق أولاً ولكنه احتج بعد هذا بأن المبلغ الذي تؤديه صحار هو دون القيمة الحقيقية للزكاة. هاجم ابن مطلق قلعة مجيس واستولى عليها وقضى على حاميتها، واضطر حمود إلى رفع مبلغ الزكاة.

حشد سعد بن مطلق القبائل للهجوم على مسقط. وقد وجد هذا القائد دعماً من بعض القبائل العمانية وخصوصاً من بني قتب التي انتظمت تماماً تحت رايته، فأرسلت له ألفاً من المشاة وثلاثمائة من الفرسان. ويبدو أن تأخر رد ثويني كان السبب وراء هذا الهجوم. وصل في هذا الأثناء خطاب السيد سعيد رداً على استشارة ابنه ثويني. طلب سعيد إلى ابنه أن يقوي من حصون بركا وسمايل ونخل، وأن يبقى داخل أسوار مسقط لا يفارقها لحرب أبداً. فالحصون تحمي

من الغزو، وترد عن المدن الهامة الهجوم السعودي الذي سينحسر في اتجاه البريمي. وحين تأخر وصول رد السيد سعيد قام سعد بن مطلق بالهجوم على بركا ، واستولى قرب أسوارها على غنائم كثيرة من أموال وماشية ، واحتج السيد سعيد لدى الأمير فيصل ، ولم يفد الاحتجاج في شيء(٣٦) .

وفي ١٢٦١ هـ / يونيو ١٨٤٥ م قام سعد بن مطلق لغزو مسقط فأحاط بها وأصبحت في خطر محدق . وكان عليها ـ كما يقول المقيم ـ أن تدافع بشراسة أو تسقط بهدوء . لم يكن لمسقط حامية قوية منظمة إنما كان فيها حامية مكونة من رجال خليط من القبائل . تقاعس هؤلاء غن الدفاع عن مسقط وهجروها فارين إلى ديارهم ، وأصبح سقوط مسقط في أيدي السعوديين أمراً محتوماً . وهنا أرسل هنيل المقيم البريطاني بوارجه الحربية لتجوب سواحل الباطنة مهددة متوعدة . كما أرسل المقيم في ٢٥ يونيو خطاباً إلى الأمير فيصل يحتج فيه على العمليات العسكرية التي يشنها قائده في عمان ، ويطلب إليه باسم الصداقة البريطانية ـ إن كان يقدرها ـ أن يرد قائده من هنالك . كما كتب خطاباً آخر إلى سعد بن مطلق يطلب إليه أن يرجىء هجومه على مسقط حتى يصل الرد من الأمير فيصل . واستمرت الدوريات الأسطولية البريطانية في هذه الأثناء تجوب السواحل العمانية(٣٧) .

وصل في هذه الأثناء إخطار من السيد سعيد من زنجبار لابنه ثويني ليدفع ٦٠٠٠ كرونة ألمانية زكاة سنوية للرياض، وأن ينسق مع حاكم صحار الأمور الأخرى الخاصة بالعمل على وقف الزحف السعودي. واضطر السيد سعيد أن يسلك هذا المسلك حين وصله خطاب أرسله المقيم البريطاني إليه رداً على خطاب سابق كان قد بعث به إليه يطلب معونته. لم يزد المقيم في خطابه على أن أوصى السيد سعيد بتحسين علاقاته مع السعوديين، وأن يعمل على تلبية شروطهم إذا لم يحط ذلك من كرامته كحاكم مستقل. أما إذا عمل فيصل على أن ينهي حكم السيد سعيد تماماً، فعلى سعيد أن يخطر فيصل بأن ذلك ليس ممكناً إلا بعد موافقة الحكومة البريطانية «حليفته سابقاً»(٣٨).

وصلت في هذه الأثناء أيضاً رسالة من الإمام فيصل إلى المقيم هنيل يعرب فيها عن صداقته الموصولة مع الحكومة البريطانية، وأنه ـ إرضاء منه للحكومة البريطانية ـ لن يصل بالأمور إلى منتهاها مع حكومة مسقط، وسيقبل باتفاق متواضع(٣٩).

أقر ثويني بعدئذٍ بدفع مبلغ ٥,٠٠٠ ريال زكاة سنوية للرياض، ودفع ٢,٠٠٠ ريال هدية لابن مطلق. وبهذا أجلى سعد بن مطلق قواته عن مناطق عمان الداخلية وأعاد قلعة مجيس إلى السيادة العمانية مرة أخرى(٤٠)، واستمرت الأمور على هذا المنوال حتى عام ١٨٤٨ م حين قام شيخ آل بني ياس باحتلال حامية البريمي وإخضاعها لسلطته، ولكنه عاد وتنازل عن حكمها في نهاية العام نفسه للوهابيين(٤١). واستقرت علاقة الوهابيين من خلال البريمي، مفتاح عمان، بحكام مسقط حتى أن السيد ثويني وافق في ١٨٥١ م على أن يحتل الوهابيون البريمي احتلالاً دائماً(٤٢).

اتفاق صداقة وتحالف:

استقرت العلاقات النجدية العمانية على هذا المنوال حتى ١٢٦٩ هـ / ١٨٥٣ م حين زار عبد الله بن فيصل عمان نائباً عن أبيه الأمير فيصل. جاء ظهور عبد الله في عمان في الوقت المناسب لتحقيق أهداف أبيه الأمير فيصل حيث كانت عمان تغلي بالثورة خاصة في مناطق الباطنة. وكان النزاع بين ثويني بن سعيد في مسقط وقيس بن عزان في صحار قد انتهى لصالح ثويني، وتنحى قيس عن السلطة. أقام ثويني ابنه سالم والياً في صحار وجعل مراقبة تحركات السعوديين من أبرز مهامه.

كانت مهمة عبد الله المعلنة هي إنهاء الخلافات ورأب الصدع بين أبنائه شيوخ عمان. وحين حقق عبد الله ولاء قبائل المنطقة لأبيه الإمام، وانتظمت تحت رايته أغلب القبائل العمانية، طلب إلى حكومة مسقط التنازل له تماماً عن كل إقليم صحار، كما طلب زيادة مبلغ الزكاة التي تؤديها مسقط، زيادة لم يكن

في استطاعة مسقط أن تؤديها واعتبرها البعض ذريعة لإعلان الحرب. وبهذا أصبحت مسقط أمام خطر قوة عبد الله العارمة(٤٣).

ظهر المقيم البريطاني في مسقط وأرسل إلى عبد الله رسالة يطلب إليه التراجع عن الهجوم على مسقط، وأن يلجأ إلى التفاوض لحل الخلاف. وأرسل المقيم احدى سفن الحرب البريطانية لتجوب سواحل المنطقة في مظاهرة عسكرية. كما راح ثويني يقوي من أسوار صحار التي كانت في مواجهة القوة السعودية. ومن ناحية أخرى نصح المقيم ثويني بأن يفاوض السعوديين ويعمل على إرضائهم بكل السبل الممكنة(٤٤).

وفي ١٢٦٩ هـ / الأسبوع الثاني من ابريل ١٨٥٣ م فوّض فيصل قائده أحمد السديري للدخول في مفاوضات مع ثويني في مسقط. صحب السديري معه الشيخ سعيد بن طحنون ليشهد المفاوضات التي ستجري في صحار وليكون وسيطاً بين الفريقين. وبقي المقيم كمبال في باسيدو بينما كانت السفينتان الفرات وكلايف تجوبان منطقة الساحل العماني وساحل الباطنة. وفي رجب ١٢٦٩ هـ / ٢ مايو ١٨٥٣ م وصل إلى المقيم في باسيدو من يخبره بنجاح المفاوضات وتسوية الخلاف بين الطرفين(٤٥).

تم عقد الاتفاق في آخر رجب ١٢٦٩ هـ / ٩ مايو ١٨٥٣ م وقضى بأن يدفع ثويني ٦٠,٠٠٠ ريال ماريا تريسا زكاة عن مسقط تؤدى سنوياً، و٨٠٠٠ ريال عن صحار كذلك(٤٦). كما قضى الاتفاق أيضاً أن يمدّ سيد مسقط حامية البريمي بخمسمائة كيس من الأرز، و٥ كيلوات من البارود، وكميات مناسبة من القصدير لاستهلاك الحامية . ودخل الجانبان في اتفاق آخر هو اتفاق الصداقة والتحالف الذي تقول بنوده بأن فيصل قد دخل في اتفاق صداقة وتحالف مع ثويني، وأعلن أن أصدقاء وأعداء كل طرف هم أصدقاء وأعداء الطرف الآخر، وأن كل طرف سيقدم عند الحاجة الدعم الفعال اللازم للطرف الآخر. وقد حدد هذا الاتفاق الأخير الحدود بين القوتين في داخل عمان حيث

أصبحت المنطقة من وادي الجيزي جنوباً مروراً ببهلة حتى رأس الحد تابعة للسعوديين، بينما أصبحت المنطقة التي تعرف بعمان وكذلك مسقط والشرقية والجعلان تابعة لثويني بحكم الاتفاق[٤٧]. وبهذا غادر عبد الله بن الإمام قافلاً إلى نجد. ويعلق كلي J. B. Kelly على مفاوضات صحار وانتظار المقيم كمبال بباسيدو لمدة أسبوعين ترقباً لنتيجة المفاوضات، فيقول بأن هذا المكان قد شهد قبل ١٨ سنة المقيم هنيل وهو يقيم أسس النظام التهادني. وأن مستقبل هذا النظام ومصير عمان أيضاً، كانا في الميزان في تلك الأيام. فإذا فشلت المفاوضات ولجأ عبد الله إلى إطلاق العنان لقواته في عمان فإن القبائل البحرية ستدخل المعمعة وستدمر سلطنة عمان وسينهار النظام التهادني من أساسه. ويرى كلي بأن النزاع الذي كانت تفصل فيه في صحار كان في الحقيقة نزاعاً بين عبد الله ومن خلفه إمارة نجد، وبين الحكومة البريطانية في فرض السيادة والنفوذ على الدول البحرية في الخليج[٤٨] .

قام المقيم من باسيدو إلى الساحل العماني مباشرة، واستطاع أن يعقد معاهدة السلام الدائم في ٢٥ رجب ١٢٦٩ هـ / ٤ مايو ١٨٥٣ م. وقد تمكن بهذه الاتفاقية من إحكام النظام التهادني الذي بات بعد هذا الدعامة الأساسية للوجود البريطاني في الخليج العربي، والأساس المنطقي لمسئولية حكومة الهند البريطانية من خلفها لتولي حفظ الأمن في المنطقة[٤٩].

توقف أهل قبائل الباطنة في العام التالي عن دفع نصيبهم من الزكاة التي يؤديها السيد ثويني للسعوديين، فطلب ثويني إلى السعوديين أن يعينوه في إعمال بنود التحالف المعقودة وأعانوه بعد تردد. وتم إخضاع القبائل المتمردة[٥٠].

توفي السيد سعيد سلطان عمان في ١٩ اكتوبر ١٨٥٦ م على ظهر سفينة فيكتوريا بالقرب من جزر سيشيل بينما كان في رحلة إلى الشق الأفريقي من مملكته. واختلف أبناؤه في خلافته وتمخض الوضع عن ماجد حاكماً في زنجبار

وثويني حاكماً في مسقط. وكان تركي بن سعيد يحكم صحار ولكنه كان أكثر ميلاً لأخيه ماجد بينما كان برغش بن سعيد ينازع أخاه ماجد حكم زنجبار وكان أكثر ميلاً لثويني الذي يحكم مسقط. ونتيجة لهذا الوضع المعقد بين أبناء السيد سعيد كان تركي حاكم صحار أقرب في سياسته إلى السعوديين وكان يحتمي بهم وبحاميتهم وقد استنجدهم ضد أخيه ثويني في عام ١٨٥٩م. وقد انتهى الأمر بواسطة حاكم الهند العام بين هؤلاء الأخوة في ابريل ١٨٦١ م. وقضت الوساطة بتقسيم مملكة السيد سعيد بين ماجد الذي أنيط به حكم الجزء الأفريقي من السلطنة، وثويني الذي نال حكم الجزء الآسيوي من أملاك والده السيد سعيد.

هدأت العلاقات السعودية العمانية وساد القوتين وئام حذر حتى ١٢٨٠ هـ / ١٨٦٤ م حين دب النزاع بين ثويني وعزان بن قيس حاكم الرسناق. وقد كانت عائلة عزان تحكم صحار حتى ١٢٦٥ هـ/ ١٨٤٩ م حين دخلت في الولاء لثويني وأبيه السيد سعيد. أبدى حاكم الرستاق في ١٢٨٠ هـ / ١٨٦٤ م رغبته في تحويل ولائه إلى السعوديين وأراد أن يؤدي لهم الزكاة مباشرة، ويبدو أن السعوديين لم يمانعوا في ذلك. كتب الكولونيل دسبراو في ١٢٨١ هـ / ٣٠ ديسمبر ١٨٦٤ م بأن مسقط قد أرسلت حملة إلى ذلك الشيخ ولكنها ارتدت على أعقابها ولم تحقق إلا القليل. ورد دسبراو هذا الفشل إلى تدخل الأمير السعودي في المنطقة إلى جانب قيس. كما أرسل دسبراو في نفس اليوم خطاباً آخر أرفق به طلباً للسيد ثويني بمساندته بالذخيرة والسلاح. وأشار خطاب دسبراو إلى أن كلاً من مسقط والرياض مرتبطان بصداقة الحكومة البريطانية و «أن سمو سلطان مسقط لم تكن تربطه علاقة حسنة بالوهابيين». وأشار إلى أن سلطان مسقط كان دائماً يلقى عطفاً من السلطات البريطانية من خلال ممثليها في الخليج. ثم أيد دسبراو طلب ثويني بوقف تعديات السعوديين. كما وصل إلى حكومة بومباي بعد هذا خطاب آخر من سلطان مسقط يؤكد تراجع قواته أمام الرستاق، ويضيف بأنه كتب إلى الإمام فيصل

مقترحاً أن تحال الخلافات الناشئة عن الأعمال التي يقوم بها السديري إلى المقيم البريطاني في الخليج ليقضي فيها[٥١].

أرسلت حكومة بومباي إلى مقيمها في الخليج الكولونيل بيللي الذي كان يزور الساحل العربي في الخليج وقتها لكي يتحرى في الخلافات التي نشأت بين سلطان مسقط وحكومة نجد ويكتب لهم بشأنها. كما طلبت إليه كذلك أن يعمل على بذل مساعيه للوساطة بين القوتين إن كانت وساطته تجدي. وأخطرت بومباي مقيمها في الخليج بأنه يجب أن ينهي إلى سلطان مسقط بوضوح أن الحكومة البريطانية لا تنوي التدخل في علاقات القوى التي تحكم ساحل الخليج، وأنها لن تعمل على إخضاع طرف لمصلحة الطرف الآخر. وقد قام بيللي بالتحري في المسألة ورجّح أن القائد السعودي في المنطقة لم يكن يعمل بموجب تعليمات صادرة له من نجد، إنما قام بهذا العمل دون الرجوع إلى سيده. جاء في خطاب لويس بيللي بتاريخ ٥ رمضان ١٢٨١ هـ / ٣١ يناير ١٨٦٥ م أنه يبدو محتملاً أن هذا القائد في تلك المنطقة وجد الفرصة سانحة للتدخل في شؤون مسقط فانتهزها. وحين علم الأمير بها ظل يراقب نتائجها. ويضيف المقيم بيللي: «إذا استشارني سلطان مسقط في هذا الأمر قبل أن يقوم بأي تصرف من جانبه فسأشير عليه بأن يتجنب كل تعارك مع القوة الوهابية إذا كان ذلك ممكناً، وأن يؤجل عرض أمر وساطتي في المسألة على الأمير الوهابي حتى اتصل به أولاً». ويقول بيللي بأنه يدرك الدوافع التي جعلت سلطان مسقط يسعى لوساطته في الأمر، ولكن هذه الوساطة «لن تثير في عقل الأمير الوهابي سوى أنها ستميل في اتجاه مسقط»[٥٢].

وقد وافقت حكومة الهند بموجب خطابها في ذي القعدة ١٢٨١ هـ / ٢٢ مارس ١٨٦٥ م على رأي المقيم بيللي، وطلبت إليه أن يلتقي بحاكم مسقط، ويفضي إليه بما يعتقد بأنه الصواب على حد تقديره. كما كتبت الحكومة إلى سلطان مسقط كذلك تقول إنهـا أرسلت تعليماتـها إلى بيللي التي تقضي بوجوب أن يُحسِّن سلطان مسقط علاقاته مع السعوديين.

زيارة لويس بيللي إلى الرياض:

كتب بيللي إلى حكومته في ١٢٨١ هـ / ١٤ فبراير ١٨٦٥ م يبلغهم برغبته في زيارة الإمام فيصل في عاصمته، وعلل طلبه بأنهم حين يذكرون اسم هذا الأمير يذكرونه واجفين وجلين،وذلك لأن هذا الإمام أخذ ينتهج خطاً سياسياً معارضاً للسياسة البريطانية. جاء في هذه الرسالة: «أستطيع أن أستعمل تعبير دسبراو الذي كتب به إليكم في خطابه رقم ٢٧٧ بتاريخ ٣ ديسمبر الماضي حيث قال بأن مشاعر الحكومة البريطانية التي تبلورت من خلال ممثليها في الخليج هي مع سلطان مسقط، وبهذا فإننا نعتبر التعديات الوهابية سماً زعافاً»(٥٣).

ويستمر خطاب بيللي محللاً مستوجبات تسوية العلاقة بين الطرفين السعودي والبريطاني والمعاملة الحادة التي لقيها السعوديون من مصادرة للقوارب والسفن وما إليها. ويستطرد المقيم فيذكر أنه حين قدم الخليج لتسلم مهام منصبه كتب إلى فيصل مبدياً رغبته في أن يسود الوئام العلاقة بين الطرفين، وأن تكون الصداقة هي المحك الذي يحكم تلك العلاقة وينميها على أسس ثابتة. وقد رد فيصل على المقيم رداً جافاً إذ تدل لهجة الخطاب على أن ممليه كان «يشعر بالغبن وعدم العدل من جراء سياستنا تجاه المنطقة». ويستطرد بيللي بالقول إن سيادة مثل هذه العلاقة بينهم وبين الجانب السعودي لن تؤدي إلى استتباب الأمن في المنطقة، وازدهار التجارة في الخليج العربي. وخلص بيللي إلى أن هذه الاعتبارات هي التي دعته أخيراً لكي يكتب إلى فيصل خطاباً رقيقاً أشاد فيه بعدالة الإمام، وسعة حكمته وحنكته، وحرصه على استتباب الأمن وسيادة النظام. وانتهى خطاب بيللي لفيصل بالتعبير عن الأمل في أن يجد منه كل العون لتحقيق الأهداف المشتركة من تحقيق الأمن وإقامة السلام(٥٤).

نستطيع استناداً إلى ما سبق أن نقول بأن السياسة الأقليمية كانت أهم العوامل التي حركت المقيم في اتجاه نجد، فهو يسعى إلى التفاهم مع القوة النجدية ويحرص على حسن العلاقة معها لكي يستطيع بالتفاهم أن يحقق

الهدف البريطاني، الذي يقضي بالحفاظ على نفوذه فوق البحر فلا يتطلع إلى داخل الجزيرة بحال. كان بيللي يحرص على ما تقتضيه سياسة عدم التدخل في البر إذ لا سبيل إلى تحقيق هيمنة بريطانية في البر، ولكنه أراد أن يوثق علاقاته بفيصل حتى يستطيع التدخل بما تقتضيه أصول الصداقة في التشاور والتفاوض في الشئون النجدية العمانية.

كانت لبيللي عوامل أخرى دفعت به إلى داخل الجزيرة العربية غير شؤون السياسة الإقليمية. يحكي بيللي في خطابه لبومباي المشار إليه آنفاً. أن هناك بعض الأمور التي قوّت عزمه وثبتته على هدفه في زيارة الرياض. يقول المقيم: إنه قد قرأ في منشورات الجمعية الجغرافية الملكية الصادرة في ٢٨ أبريل ١٨٦٤ م أن المعرفة الجغرافية بالمناطق الداخلية من شبه الجزيرة العربية نادرة. وقد أكدت الجمعية في تلك النشرة رغبتها في معرفة الكثير عن تلك المناطق وتحديد موقع الرياض عاصمة السعوديين بدقة، وكذلك تحديد مواقع المناطق الأخرى الجديرة بالاهتمام، والتحري عن اسماء بعض الحواضر والمواقع، ومعرفة اتجاهات خطوط تقسيم المياه والأدوية وما إلى ذلك مما يثري المعرفة الجغرافية. وعلى هذا أراد بيللي أن يضيف جديداً للمعرفة الجغرافية. ولهذا نراه يسرع إلى لندن بعد انتهاء زيارته إلى الرياض ليلقي فيها في المحرم ١٢٨٢ هـ / ١٢ يونيو ١٨٦٥ م محاضرة جاء في بدايتها:[٥٥] «من قبل حوالى السنة لفت السيد فريري Frere رئيس الجمعية الجغرافية في بومباي نظري إلى الوقائع التي أصدرتها الجمعية الجغرافية الملكية في ٢٨ أبريل ١٨٦٤م، مشيراً إلى أن هناك بعض المسائل الخاصة بجغرافية الجزيرة العربية قد أثارت في لندن جدلاً، وإلى أنه كانت هناك رغبة في تحديد موقع الرياض، عاصمة نجد، بدقة، وكذلك الهفوف، وفي أن ترصد الشخصية الطبيعية للمنطقة الممتدة من الرياض حتى ساحل الخليج (العربي) بدقة. وقد تصادف في هذا الوقت أني كنت أرغب في مقابلة شخصية مع شيخ نجد للتشاور في أمور تتعلق بالواجب العام».

فإذا كانت المعرفة الجغرافية من الدواعي التي حركت في بيللي فكرة الذهاب إلى نجد، فإننا نجد أن حب الظهور عند بيللي واجتذاب الأضواء هما المحرك الرئيسي الذي قـاد خطاه إلى نجد. يقول بيللي في خطابه بتاريخ ١٤ فبراير ١٨٦٥م، المشار إليه آنفاً، إن ما قرأه في تقرير الجمعية المذكورة من صعوبة أن يدلف أحد الأوروبيين إلى الجزيرة العربية قد قوى في عزمه وشحذ في همته، ولم تنثن عزيمته بما جاء في النشرة من المشاكل التي سيجابهها الأوروبي والأخطار التي قد تفضي به إلى الهلاك «حيث السكـان المنغلقون على أنفسهم». «إنني في الحقيقة لا أرضى أن يسود مثل هذا الاعتقاد بأي شكل عن أية منطقة آسيوية تكون مجاورة لمنطقة نفوذي، وأعتقد أن على الضابط (الموظف) أن يذهب إلى أي مكان يستدعيه إليه الواجب الحكومي»[٥٦]. ولعل ما جاء هنا يثبت أفكار بيللي الذي كان ينتمي إلى مدرسة فكرية نشأت في الهند البريطانية تتحدث عن مسئولية الرجل الأبيض لتحديث الشرق كله، وليس الهند وحدها. فللهند حدود سياسية ويجب أن تكون لهـا حدود أمنية أبعد شأوا من الحدود السياسية، وأن تكون هناك نقاط فيما وراء الهند تخرج منها دوريات لتأديب الآسيويين كلما «جنحوا للشغب». وكان بيللي يدرك تماماً أنه يتحكم في منطقة متقدمة خارج حدود الهند. كذلك ترى هذه المدرسة عدم ثبات الحدود الأمنية للهند، إذ يجب أن تمتد حتى لا يخشى على الهند من أي خطر. فحين يقام الأمن في حدود الهند السياسية، وحين يقام الأمن بعد ذلك في نطاق الحدود الأمنية ـ خارج شبه القارة الهندية ـ بواسطة الدوريات العسكرية في مجال الأمن الهندي، يبدأ بعد ذلك الأمن المقام عن طريق أعمال النفوذ[٥٧]. تطلع بيللي إلى أعمال نفوذه عند الأمير فيصل. وكان تطلع بيللي إلى إحداث تغيير في الموقف السعودي المعادي للهند البريطانية، وثقته في شجاعة الرجل الأبيض «ومقدرته على الاقناع وحسن التصرف»، وغيرته من وصول بالجريف قبله إلى الرياض، كانت من أقوى العوامل التي دفعت به عبر نفوذ نجد إلى الرياض.

ترتبط زيارة بالجريف إلى الرياض بمسائل السياسة الدولية وبالتسابق

البريطاني الفرنسي لاكتساب الريادة والقيادة واستثمار الشرق واستعماره.

كانت فترة الستينات من القرن التاسع عشر (أواخر القرن الثالث عشر الهجري) فترة نشطة في التطلع الفرنسي نحو الشرق. لم ينس نابليون الثالث الذي أراد أن يتمثل خطى بونابرت، حديث عمه من أنه يريد أن يخلق «أمبراطورية عربية تضم أمة لها مميزاتها وتطلعاتها ولغتها، وتمتد لتشمل مصر وشبه الجزيرة العربية وأجزاء من أفريقيا». كان نابليون الثالث يخطط لقيام دولة عربية تدخل في إتحاد مع فرنسا. دخل نابليون الثالث في مشكلات العالم العربي وعايشها واشترك فيها. ففي ١٢٧٠ هـ / ١٨٥٤ م انحاز للنصارى اللاتين في مشاكلهم التي سبقت حرب القرم. وفي ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م أعلن نفسه في الجزائر إمبراطوراً للعرب كما هو إمبراطور لفرنسا. وفي هذه السنة نفسها أرسلت فرنسا بعض قواتها إلى لبنان لمساندة المارونيين، أصدقاء فرنسا التقليديين في صراعهم ضد الدروز الذين كانوا يتطلعون بدورهم إلى انجلترا. وكان النفوذ الفرنسي في هذا الوقت طاغياً في مصر حيث كان فردناند دي لسبس، ابن عم زوجة نابليون الثالث، يحفر قناة السويس. وقد بلغ النفوذ الفرنسي في مصر مداه في عام ١٢٧٨ هـ / ١٨٦١م، حتى أن سعيداً وافق على طلب لشركة المساجيري الإمبراطورية للخدمات البحرية الفرنسية في هذا العام ببناء حوض للسفن في ميناء السويس لخدمة سفنها. وكانت هذه الشركة تخطط لتشغيل خط ملاحي من السويس إلى الهند الصينية، فرأت أن تتخذ التدابير لإصلاح أعطاب سفنها في السويس. ولم يكن لأي خط ملاحي،شراعياً كان أم بخارياً، أن يبلغ الصين إلا بسلوك الدروب البحرية للهند. ولهذا كان اهتمام فرنسا بمسقط في هذه الفترة صادقاً[٥٨]، واهتمامها بالخليج عامة اهتماماً له مبرراته.

أرسل نابليون الثالث المدعو بالجريف لاستكشاف ما يهم الحكومة الفرنسية في الجزيرة العربية. طوّف بالجريف بمناطق شمّر والقصيم ومناطق

أخرى في نجد حيث انتهى إلى الرياض في ١٢٨٠ هـ / ١٨٦٣م. وأقام بالجريف فترة في ضيافة فيصل بن تركي وتعرف إلى أبنائه ورجال بلاطه البارزين. ولم يخرج بالجريف من الرياض إلا حين طرده الأمير عبد الله، ولي العهد منها، بعد أن تيقن من أن الرجل جاسوس يعمل لحساب قوة دولية تسعى لفساد أمر الدين والدنيا في البلاد السعودية[٥٩]. لهذا كان لزاماً على بريطانيا وموظفيها في الهند والخليج العربي أن يتحروا عن أهداف فرنسا، وأن يتثبتوا مما أشيع من أنها تخطط لقيام إمبراطورية عربية تحت النفوذ الفرنسي في مسارات الهند، كان لا بد من تحرك بريطاني إلى الرياض للتحري عن الأثر الفرنسي.

كان للسياسة الهندوبريطانية في الخليج وقتها أهداف مقررة، ووجود فعال. وكانت المقيمية البريطانية في هذا الوقت أهم وأخطر جهاز سياسي في الخليج العربي، خصوصاً بعد أن تولى لويس بيللي شئون المقيمية. كان هذا الرجل نشيطاً طموحاً مؤمناً بمبادىء سياسة الاستعمار إيماناً يضعه في مصاف العتاة من الاستعماريين، حيث خدم تلك الأفكار بكل ما له من نشاط وطموح. وكان بيللي إلى جانب هذا أرعن متهوراً غبياً، فلا ريب إن كانت ملفات الخليج، وقت توليه الإقامة، من أكبر الملفات في أرشيف بومباي حيث عجت بأخبار خلافاته مع موظفيه البريطانيين وغيرهم، ونزاعاته مع الشيوخ والزعماء العرب، وتدخله في كل كبيرة وصغيرة، ومحاولة تحقيق ما يؤمن به حتى لو أدى به ذلك إلى النزاع مع حكومة الهند أو حكومة لندن. كما امتلأت تلك الملفات بأخبار التجارة والاستثمار وتشجيع السياسات التي تخدم هذه الأغراض.

تطلع بيللي إلى إحداث سلم سعودي بريطاني، وكم كان هذا التطلع ينبىء عن الغباء الذي وصل به إلى الجهل المطبق. كان الصراع السعودي البريطاني حتماً تاريخياً حيث لم يوجد إمام سعودي حتى ذلك التاريخ، وربما بعده بكثير، يرضى بأن تقوم أية أمة أو سلطة بوقف امتداد نفوذه في الجزيرة

واستكماله على كل المنطقة حتى مياه الخليج. وكانت طبيعة الإقليم في سهوله المترامية وامتداداته التي لا تحدها أية عوائق طبيعية تجعل امتداد القوة البرية الأعظم في المنطقة أمراً ميسوراً. أما الهند البريطانية فقد كانت قوة بحرية لن تستطيع أن تعمل في بر الجزيرة المترامي الشاسع بحرّه وقسوة طبيعته. قامت سياسة الهند البريطانية ـ كما ألمعنا مراراً ـ على حجز كل قوة تفد من داخل الجزيرة في سياج خلف مياه الخليج يبدأ في أغلب الحالات في البريمي حتى لا تتعداه تلك القوة إلى عمان، أو خلف الساحل العماني حتى لا تستقطب مشيخاته وإماراته، أو عند حدود سواحل الإحساء لا تخرج عنها إلى البحرين وجزرها. ولهذا كان لا بد من التناقض والتناطح.

دخل بيللي إلى الجزيرة العربية ليحقق أهدافاً شخصية خاصةبه، وليؤثر في السياسةالاقليمية والدولية،وليتحرى في الطرق التي تقود إلىالرياض، فلربما تحتاج بريطانيا إلى سلوكها في يوم من الأيام برغم إمكانات بريطانيا القاصرة وقتها في الحرب البرية خصوصاً في الصحاري والنجاد.

تحرك المقيم بيللي من الكويت في ١٢٨١ هـ / ١٨ فبراير ١٨٦٥ م، ومرّ بمناطق أبرزها ملاح، والصبيحية، ولقيط، ووبرة. وقد وصف بيللي الموقع الأخير بأنه إحدى المنخفضات في تلال الصمان، وأنه يشكل في بعض مواسم السنة معسكراً مركزياً كبيراً للوهابيين. ويضيف بأن المنطقة تضم مجمعاً من مئة بئر في حيز من الأرض لا يتجاوز ٤٠٠ ياردة مربعة. وأن القليل من هذه الآبار هو في حالة صالحة، وكلها في ما عدا بئر واحدة تميل إلى الملوحة. ويحكي بيللي عن طبيعة الأرض، ورمالها، وتلالها، ومنخفضاتها، والحياة الحيوانية عليها. ثم يتابع ذكر الحواضر التي مر بها ومناطق المياه فيذكر الرماحية وعرمة، والثمامة، ثم تلال العارض التي تشكل «الكتلة الشرقية لمرتفعات نجد»، ثم سدوس، ووادي حنيفة حتى يصل إلى العيينة التي يسميها المقيم بيللي «الإيمان»[٦٠]. ولا نعرف من أين له بهذا الإسم إذ لم نصادفه إلا هنا. ثم يتحدث

عن خرائب الدرعية. وهنا يمدنا بيللي بمعلومة أخرى لا نجد لها سنداً في مصادر أخرى، وذلك حيث يقول عن الدرعية: «لقد خرّب الوهابيون هذا المكان عندما استولوا على الرياض من بني دواس وحولوا عاصمتهم إليها. خرّب هؤلاء كل المدينة القديمة على امتداد وادي حنيفة، وأجبروا السكان على التجمع في الرياض، العاصمة الجديدة. وحين وجد الحاكم الوهابي نفسه أمام هجوم الأتراك انتقل مؤقتاً إلى الدرعية إذ إن موقعها وحصونها كانت أكثر ملاءمة لأغراض الدفاع..»[٦١]. ويصل بيللي إلى الرياض أخيراً وينزل في منزل منعزل تحيط به حديقة ينزل فيه عادة ضيوف الدولة الأجانب.

لم تؤد مفاوضات بيللي ـ فيصل إلى توثيق العلاقات التي كان بيللي يسعى إلى توثيقها ـ على حدّ قوله. فتوثيق العلاقات في نظر بيللي يقضي بأن ينخرط فيصل في النظام التهادني للـراج، ويصغي إلى النصيحة الملزمة التي يقدمها المقيم. أما توثيق الصداقة من وجهة نظر فيصل فتتركز في أن تعترف بريطانيا له بموقعه كحاكم لدولة «تمتد من الكويت حتى رأس الخيمة وعمان ورأس الحد، وما وراء هذه الأرض التي خول الله لنا حكمها»، وكذلك في أن تعينه بريطانيا في تحقيق أهدافه في التوسع غرباً في الأرض التي يحكمها العثمانيون، وأن تخطره السلطات البريطانية في الخليج بأي تجاوزات تنشأ عن أتباعه حتى يردهم إلى الصواب ويقيم الأمن في تلك المناطق. كما ينقل محبوب بن جوهر، أحد البارزين في بلاط الإمام فيصل، وجهة نظر صادقة حين أنهى للمقيم البريطاني «أن القرصنة الحقيقية هي ما تقوم به قطع الأسطول البريطاني ضد السفن العربية في الخليج متذرعة بمنع تجارة الرقيق»[٦٢].

انتهت اللقاءات الثلاثة التي تمت بين فيصل وبيللي دون الوصول إلى خيط مشترك يلملم العلاقة التي تربط بين النقيضين ويقننها. وفي يوم / ٨ مارس انبرى المقيم البريطاني ورتله صوب الساحل الذي بلغوه في/ ١٧ مارس وبيللي مشدود الأعصاب.

أفادت هذه الرحلة بيللي في تقدير القوة الحقيقية لأمير نجد، وأيقن أنه قوة لا يستهان بها. نقل لنا بيللي أن فيصل يحكم أرض نجد التي تحدد من الغرب بخط يجري في اتجاه شمالي جنوبي، يبدأ بشكل تقريبي بين الحجاز من جانب ووادي الدواسر وتلال حزم الراجي من جانب آخر، ويشكل وادي الدواسر النهاية الجنوبية القصوى لهذه الحدود التي يشكل جوف العمار فيها النهاية الشمالية القصوى. أما الحدود الجنوبية لنجد فهي رمال الربع الخالي التي يمتد إليها خط الحدود من وادي الدواسر غرباً. أما الحدود الشرقية فهي مياه الخليج العربي في المنطقة الممتدة من الكويت، وينزل خط الحدود من هنا حتى أبو ظبي حيث ينحاز إلى الداخل قليلاً فيما وراء مناطق العرب البحريين شبه المستقلين في منطقة الساحل العماني . ثم يصل هذا الخط إلى البريمي حيث يتجه إلى الجنوب الشرقي ويجري إلى نقطة ما خلف تلال أراضي مسقط العمانية . ويشير التقرير أيضاً إلى أنه يجب اعتبار قوة الإمام مشكلة من اتحاد من القبائل العربية من البدو والحضر على السواء، تجمعهم المصالح المشتركة وروابط الدين والدفاع «والاعتداء» المشترك . كما أشار إلى أهم القبائل الواقعة تحت سلطة فيصل(٦٣) .

ويعطي المقيم صورة عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية، كما يشير إلى أن هنالك علاقات للإمام بمناطق وقبائل أخرى تدفع الزكاة له وتتلقى العون منه عند الحاجة، كما أن هنالك قبائل أخرى يتحكم فيها الإمام بشكل أو بآخر. ويتعرض بيللي إلى علاقة المناطق والقبائل المستقلة والتي ليس للأمير السلطة على إقالة شيوخها، ولكنها ـ مع ذلك ـ تدفع له الزكاة ولا تستطيع أن تطالب في مقابل ذلك بالحماية والدعم. «ويقع سلطان مسقط تحت هذا التصنيف الذي يضم كذلك مناطق العرب البحريين الواقعة على سواحل القراصنة ومشيخة جزر البحرين». وجاء في أوراق بيللي الخاصة أن شيوخ الساحل هم بدرجات متفاوتة، في يد أمير نجد الذي يأخذ منهم الزكاة، وأن موقعه المتقدم في البريمي ينشر نفوذه في أبو ظبي وأم القوين وعجمان والشارقة ورأس الخيمة،

ويصل تأثير هذا المركز المتقدم حتى سلطنة مسقط.

رجع بيللي إلى بوشهر التي بلغها في/ ٢٥ مارس، وأخطر الحكومة برقياً من هنالك «بأن الزيارة قد تمت، وأنها أدت إلى نتائج مرضية، وأن العلاقة بالإمام حالياً هي علاقة صداقة وطيدة». غير أن بيللي ازداد إيماناً بأن قوة فيصل التي خبرها عن قرب يجب أن تبقى بعيدة عن مخانق الخليج العربي وسواحله الداخلة في سلك العلاقات التعهدية، وأن أمن الخليج العربي لا يحتمل ظهور أية قوة من داخل الجزيرة العربية في مناطق الخليج الأدنى أو في إحدى الجزر التي تزيّن حزام الأمن الهندي. ولم تغيِّر هذه الحقيقة في السياسة التي يؤمن بها المقيم بيللي، وتقره عليها حكومة بومباي، ولا توافقه عليها حكومة الهند، من أنه يجب أن يكون لمقيم الخليج نفوذ في داخل الجزيرة العربية من وراء السياج الهامشي الذي يشكل النقطة التي ينتهي عندها أمن الهند ليبدأ منها نفوذ الهند.

الكويت ونجد:

نستطيع من خلال أوراق المقيم بيللي الذي مر «بالكويت ومكث فيها فترة وهو في طريقه إلى نجد أن نرسم صورة للكويت «تلك المدينة النظيفة النشطة ذات السوق الرئيسي الكبير. .». يقدر بيللي سكان الكويت بعشرين ألف نسمة وعدد مقاتليها بستة آلاف فرد. ويرى بيللي أن بحّارة الكويت الذين يصل عددهم إلى أربعة آلاف نسمة قد أصابوا سمعة طيبة وامتازوا بنقل المتاجر المختلفة حتى غدت الكويت من أنشط موانىء الخليج التجارية. كما يفيد بيللي أيضاً بأن الكويتيين يتعاملون في تجارة الخيل مع منطقة شمّر وقبائل نجد المختلفة، كما يتعاملون مع بدو الظهير الذين يفدون إلى المدينة فلا يُسمح لهم بدخولها مسلحين إنما يقيمون في خيامهم حول أسوارها الخارجية، يجتمعون صباحا عند البوابة الرئيسة لبيع ما عندهم، ويظهر الشيخ هناك يومياً ليراقب مجريات الأمور. وتقف أسوار الكويت صامدة لحماية أهلها من الطوارىء الخارجية. ويتمسك أميرها بسياسة حفظ الأمن داخلياً ويحتفظ مع الأمير السعودي

فيصل بعلاقات طيبة ولكنه لا يدفع له زكاة ولا يتبعه بحال . إن تبعية الكويت في هذه الفترة للدولة العثمانية لم تكن مكان شك أبداً ، وكان الأمير فيصل ينأى عن كل ما يمكن أن يريب العثمانيين منه . وبالرغم من أن فيصل كان توّاقاً ـ كما تفيد رحلة بيللي ـ إلى منازعة العثمانيين في بعض مناطق الجزيرة العربية كالحجاز مثلاً ، إلاّ أنه ما كان ليجرؤ على ذلك ما لم يجد سنداً في قوة دولية أخرى(٦٤) .

صور وتفاقم العلاقات السعودية البريطانية :

رجع بيللي من الرياض إلى بوشهر ولم يحقّق أمراً كبيراً في تحسن العلاقات بين القوتين السعودية والهندوبريطانية . وكانت رحلته على كل حال بداية أراد بيللي أن ينميها ليحقق الوساطة بين الرياض ومسقط حفظاً لمصالح حكومته. أخذ بيللي بعد رجوعه من نجد مباشرة يكثر من رسائله للأمير السعودي ، ويطلعه على بعض الأحوال الدولية ويحكي ، من وجهة نظره بالطبع ، عن المسائل الخاصة بالسياسة الأوروبية والأمريكية. جاء في إحدى رسائله : «إن بعض دول الفرنجة تتوسط الآن لإنهاء الحرب الدائرة الرحى في أمريكا» . ودارت موضوعات رسائل بيللي لفيصل حول السياسة الدولية والأوضاع الاقتصادية وأسعار القطن وبعض السلع الأخرى. وما لبث المقيم بيللي بعد هذا أن أبدى لفيصل رغبته في الوساطة بين الرياض ومسقط. جاء في خطاب المقيم : «إن حاكم مسقط قد طلب إلينا أن نبذل مساعينا الجميلة للوفاق بينكما بحكم صداقتنا مع الطرفين. ولهذا أرجو من سموكم أن تقبلوا وساطتنا في هذا الأمر كي نصل إلى اتفاق سلام وذلك بالنظر في تثبيت مبلغ الزكاة، والمسائل المعلقة الأخرى حتى لا تقود هذه إلى إشكالات في المستقبل. وأن تدخلنا في هذا الأمر لا يزيد عن كونه أسلوباً من الأساليب التي تربط بين الدول الصديقة، وهو الأسلوب الذي تعالج به المسائل السياسية في أوروبا حين تتدخل دولة صديقة لتصلح بين دولتين متعاركتين»(٦٥) .

صور وتفاقم الخلافات السعودية البريطانية :

كان بيللي في طريقه إلى بومباي في ١٢٨١ هـ / ١ أبريل ١٨٦٥ م فتوقف في مسقط وتحرى في مسألة الخلاف بين القوتين النجدية والعمانية، وكتب في هذا الصدد تقريراً طويلاً جاء فيه أن لهذه الخلافات شقين :

أولاً : شق يختص بشيخ الرستاق الذي خلع عن طاعة مسقط، وأعلن الولاء للرياض.

ثانياً: الشق الأساسي في هذه المسألة هو إطراد طلب الأمير السعودي زيادة الزكاة التي تؤديها مسقط، وتهديده للسلطان العماني دائماً بالغزو في حالة عدم الامتثال والاستجابة(٦٦).

عبّر سلطان مسقط للمقيم بيللي بأنه سيلتزم في هذا الأمر بأية تسوية يقترحها المقيم حين يقوم بوساطته. ويذهب تقرير المقيم إلى أن هناك من الأسباب ما يجعله يخشى من أن تكون هذه المسألة قد استفحلت بشكل يجعل الوساطة أمراً غير ذي أثر، إلا أنه يضيف بأنه يعتقد أن هذا هو الحل الوحيد المتاح في الوقت الراهن.

بدأ بيللي وساطته بإرسال خطابين أحدهما إلى شيخ الرستاق ليستقدمه إلى مسقط باذلاً له «الأمان» باسم الحكومة البريطانية حتى يعود إلى مقره مرة أخرى. . طلب بيللي إلى شيخ الرستاق أن يفاوض السلطان المسؤول في مسقط ويصل معه بمساعدة الحكومة البريطانية إلى حل سلمي للخلافات. أما الخطاب الثاني فكان للإمام السعودي فيصل شرح فيه المقيم المشكلة القائمة في المنطقة، وأبدى استعداده للتوسط بين القوتين «بالحق وبالعدل». وأرفق المقيم بخطابه لفيصل خطاباً من السلطان المسؤول في مسقط يعلن فيه التزامه بما تتمخض عنه وساطة المقيم البريطاني(٦٧).

وصل رد شيخ الرستاق الذي رفض القدوم إلى مسقط متعللاً بأن أمر وساطة المقيم قد جاء متأخراً، فهو قد دخل في عهد مع السعوديين . هذا وقد

تأخر رد الأمير فيصل على المقيم البريطاني في هذا الصدد.

في هذه الأثناء كانت بومباي تتساءل عما إذا كان فيصل سيستجيب للحل التصالحي، وما هو خط سياستها الذي ستتبعه إن انتهج نهجاً آخر. كان من رأي المقيم بيللي أن الإمام السعودي سوف لن يستجيب وذلك إستناداً إلى ما عرفه منه عندما كان في عاصمته. فقد كان الرجل يتحدث بمرارة عن سلطان مسقط ويشبهه برجل يغرق. ويضيف المقيم بيللي بأن فيصل يعتقد أن عمان تابعة له، وأنه قد صرّح له بأنه سيعمل على رد سلطان عمان إلى الطاعة بالقوة. ويقول المقيم إنه في حالة فشل هذه الوساطة «فيجب علينا أن نواجه المشكلة عملياً، وأن نبدأ في التدقيق في قسماتها وتقسيماتها. إذا افترضنا أن مسقط دخلت الحرب ضد الوهابيين فماذا سيكون الخط الذي تتبعه الحكومة؟ «ويعود المقيم ليرد على هذا التساؤل بقوله: «أقول بشكل قاطع إن سياسة الحكومة الثابتة في هذا الصدد، الخاصة بنزاعات القبائل في هذه المنطقة تقتضي ترك هذه القبائل تحارب وقدرها ما دامت على الساحل، فالحكومة تقصر نشاطها على حفظ السلم في البحر»[٦٨]. ويسترسل المقيم بيللي فيقول إن هناك اعتبارات أخرى يجب أن تضعها الحكومة في اعتبارها وهي:

أولاً: البند الثاني من اتفاق مسقط لعام/ ١٧٩٧ م الذي يقرر أن صديق السركار هو صديق لإمام مسقط، وأن عدو كل من القوتين هو عدو الأخرى. ويرى المقيم أن هذه هي اتفاقية تحالف واجبة التنفيذ.

ثانياً: على الحكومة أن تضع في اعتبارها ضعف سلطان مسقط. فقد قامت قبل أربع سنين بالتوسط لتسوية الخلافات بين شقي مملكته. قضت تلك الوساطة بتقسيم دولة مسقط إلى شقين آسيوي وأفريقي. ويضيف بيللي بأن هذا التدخل الهندو- بريطاني قد قاد بالضرورة إلى إضعاف دولة عمان براً وبحراً.

ثالثاً: إن دولة مسقط ترقد بسواحلها بصفة كاملة في مواجهة البحر الذي

يهم البريطانيين، وعليه فإنّ هذه الدولة بموقعها هذا تتناسب مع استراتيجيات الحكومة البريطانية في العمل على تحقيق مصالحها وأهدافها .

رابعاً : للحكومة في الهند مصالح في أرض مسقط، وخصوصاً أعمدة البرق الذي سيربطها بأوروبا ، وأنه في حالة سقوط مسقط للوهابيين فإن أعمدة البرق ستوضع في الساحل الفارسي ، وهناك خطورة التدخل الفارسي في تلك المسائل .

ويخلص المقيم إلى وجوب التدخل الهندو- بريطاني إلى جانب مسقط حماية لها من الامتداد السعودي النجدي . ويرى أن تدخل الحكومة سيأخذ أحد طريقين أو ربما سيعمل بهما معاً وهما :

أولاً : محاصرة الموانىء السعودية .

ثانياً : الاحتجاج بصفة رسمية إما للحكومة العثمانية أو للأمير الوهابي مباشرة . ويستطرد بيللي في مذكرته ليقول : «إذا افترضنا أن الحكومة ستلتزم الحياد حيال هذا النزاع ، فهل ستعترض إذا قام سلطان مسقط باتباع الأساليب الأسطولية واستعمال ما يتوفر له من قوة بحرية لحصار الموانىء الوهابية ، وهل ستتهمه بانتهاك أمن الخليج؟ «ويجيب المقيم البريطاني بأنه بحكم موقعه الوظيفي يرى أن الاجابة عن هذا التساؤ ل من أخص واجباته ، لأنه المسؤول عن رعاية الأمن في الخليج ، وضبط الأمور في هذه الأرجاء . يقول بيللي : «بالرغم من أني أرفض انتهاك أمن الخليج من قبل أية قوة ، إلا أني اعترف بأنه يحق لسلطان مسقط ـ تحت ضغط هذه الظروف ـ أن يستعمل القوة البحرية التي يمتلكها في محاصرة موانىء عدوه وذلك لإبعاد الغزو عن حدوده في الداخل»[٦٩] .

وافقت حكومة بومباي بصفة عامة على هذه المذكرة وعلى ما أثارته من أمر الالتزامات التي تفرضها عليهم المعاهدة، ولكنها قررت أنه من الأوفق أن تنتظر رد الأمير السعودي . ولما كان بيللي في طريقه إلى أوروبا لقضاء إجازته فقد

اتصلت الحكومة بالقائم بأعمال المقيمية في الخليج، وبالوكيل السياسي البريطاني في مسقط، وأخطرتهما بأنه «من المرغوب فيه جداً أن تسوّى هذه الخلافات بواسطتهما، وأن لا تلجأ القوتان إلى العداء». وأرسلت هذه المراسلات جميعها إلى حكومة الهند التي اعتمدتها في خطابها المرسل من موير، أمين لحكومة، بتاريخ ١٢٨٢ هـ / ٢١ يونيو ١٨٦٥ م والذي جاء فيه أن «نائب الملك في مجلسه قد وافق على الآراء والخطوات التي اتخذتها حكومة بومباي».

تلا هذا مباشرة أن كتب الوكيل السياسي البريطاني في مسقط إلى بومباي يخطرها بأن الرياض قد أرسلت إلى مسقط وكيلاً لجمع الزكاة، وإن الوكيل قد طلب إلى السيد ثويني بن سعيد أن يؤدي مبلغاً يزيد بمقدار ثلاثة أو أربعة أضعاف عما ارتبط ثويني بأدائه. ويضيف الوكيل البريطاني بأن ثويني قد عمل بنصيحته، وأدى الزكاة التي كانت مقررة آنفاً، كما أرسل مبعوثاً إلى الرياض ليبلغ أميرها بأنه قد أدى ما عليه. أما أمر الإضافات الجديدة والزيادات المقترحة فقد اقترح ثويني على فيصل إرجاء البت فيه انتظاراً لوصول إجابة فيصل على الخطاب الذي أرسله له المقيم بيللي، والذي يطلب فيه أن يكون وسيطاً لتسوية المشاكل. وطلب ثويني إلى فيصل أن يرسل له رداً على الخطاب الذي أرسله له برفقة خطاب المقيم[٧١].

أرسل الوكيل السياسي البريطاني في مسقط خطاباً بتاريخ ٢٢ أغسطس جاء فيه، أن آل بني علي وآل جنبه قاموا بقيادة عبد العزيز، أحد القادة السعوديين في منطقة البريمي، بالاغارة على ساحل صور وحاصروا المدينة بعد أن رفضت حاميتها التسليم. ويقول الخطاب إن القوات العمانية قاومت وصمدت ليومين. وفي مساء اليوم الثالث استطاع المحاصرون أن يتمكنوا من البازار (السوق) القريب من القلعة، واقتحموا تلك المنطقة، وتمكنوا من أموال التجار الذين هم في معظمهم من الرعايا البريطانيين. وقد قتل في خلال هذا الهجوم أحد الرعايا

البريطانيين ، ورفض المهاجمون أن تقام على جثته الطقوس الجنائزية كما سقط في هذا الهجوم بعض الجرحى من الرعايا البريطانيين كذلك . وينتهي خطاب الوكيل إلى أن القلعة اضطرت للتسليم بعد ذلك للمنتصرين، وأن الجند الذين كانوا فيها قد عوملوا معاملة غير كريمة. وطرد السعوديون كل الرعايا البريطانيين من المنطقة بعد أن جردوهم من كل شيء حتى ملابسهم . وقدرت خسائر الرعايا البريطانيين بحوالى ٢٧,٠٠٠ ريال[٧٢] .

كان الوكيل البريطاني قد كتب إلى الأمير فيصل حين عرف بالهجوم في / ١٥ أغسطس خطاباً جاء فيه[٧٣] : «لا يخفى على جنابكم المحترم بأننا كتير متأسفين بأن نعرف جنابكم بأن هذه اليوم قد وصل إلينا خبر بأن جناب الأمير عبد العزيز واحد من مأموركم قد هجم على قلعة سور وأخذه وقتل واحد من رعايا دولة الانكليس وساير الرعايا دولة المذبورة الذين كانوا ساكنين هناك وهم عشرة أنفار وقد نهب جميع ما كان عندهم وحبسهم ويطالب كل واحد منهم من جهة الترك لهم وإلى الآن ما هم مرخرخين بسبب أنهم ما قدروا يسلمون وجه الذين يطالبونهما وما هم مرخرخين لتحصيل الأكل والماء على طريق مذهبهم . ومن هذه السبب إنهم كثير في تعب وشخص الذي قد قتل ما تركونه يشيلونه ويدفنونه أهل مذهبه فلأجل ترخيصه أرادوا ألفين ريال وجدت ما عندهم كان وجد جسد الميت قد بقي على حاله دون الدفن وحيث أن وصول هذه الأخبار إلى حكومة الهند يصير موجة تأسف في خواطرهم قد لزم علينا نعرف جنابكم عن هذه الكيفية ونستفهم من جنابكم ايش يجي في نظركم في هذه المقدمات إن كانت حكومة المذبور تستفسر عنا عن هذه المادة نكون حاضرين لأجل الأخبار هل حركات جناب الأمير صحار مطبوعاً لجنابكم إما لا تكرمونا بالجواب . هذا ما صار والسلم» . كما أرسل الوكيل خطاباً آخر إلى عبد العزيز السديري النائب السعودي في البريمي يحمل نفس المعنى .

أرسلت نسخ من هذه المراسلات جميعاً مرفقة بخطاب يضم قرار حكومة

بومباي إلى حكومة الهند . جاء في هذا القرار مسح وجيز للعلاقات السعودية البريطانية، «لقد عرفت هذه الحكومة القوة الوهابية التي تسيطر على المناطق الداخلية من الجزيرة العربية محركاً أساسياً للقرصنة العربية،وذلك في فترة الجزء الأخير من القرن المنصرم والعشرين عاماً الأولى في بداية هذا القرن . لقد أثرت تلك القرصنة بشكل كبير على التجارة في البحار الجنوبية والشرقية حتى سيلان كما قضت على تجارة الخليج العربي»(٧٤) .

«يرجع انتشار نفوذ الوهابيين في أساسه إلى الروح العدائية التي تحركهم وإلى التعصب الديني الذي يبشر به الاصلاحيون الوهابيون . لقد قامت من بومباي حملة هاجمت موانىء القرصنة في الساحل العربي وهزمت تلك القبائل المزعجة . ثم اتخذت بومباي تدابير أخرى ضد القرصنة حين نشطت بحريتها في هذا الصدد ولم نعد بعد هذا نسمع عن القرصنة العربية إلا نادراً. غير أن هذا الأمر قد انتكس في الأيام الأخيرة . . . وفي الوقت الذي كان ابراهيم باشا يقوم بعملياته الحربية في أرض الوهابيين كان جنود البحر البريطانيون يضربون القرصنة الوهابية في البحر . وكان إمام مسقط ، وهو أحد الأمراء النشطين الحكماء ، يصدهم عن عمان ويقف دون انتشار دعوتهم في تلك الأرجاء . وانتهت بعد هذا تماماً قوة الوهابيين حتى نسيهم حكام الهند ولم يعبأوا بهم سياسياً ولم يعودوا يذكرون شأنهم، إلا أنهم قوة دينية متعصبة سبب أتباعها من الهنود للحكومة في مدى الثلاثين سنة الأخيرة الكثير من القلق»(٧٥).ويمضي التقرير ليقول . . «لا شك في أن الوهابيين قد استعادوا الآن مجالات نشاطاتهم السابقة كقوة سياسية في داخل الجزيرة العربية ، وكقادة للتعصب الذي بدأ يظهر في الهند . . لقد ألقت الزيارتان اللتان قام بهما بالجريف وبيللي إلى عاصمة الوهابيين كثيراً من الضوء على مصادر تلك القوة . وتبرهن تقارير هذين الرجلين أن الوهابيين قد استعادوا في السنوات الأخيرة أنفاسهم ، وتخلصوا من آثار الهزيمة ، وإن إزعاجهم لكل المتصلين بهم من الذين لا يؤمنون بمبادئهم قد صار إلى تزايد . ومع استثناء النبض الذي بدأ يسري في عروق التعصب في

المنطقة فإن هناك شواهد متعددة على ازدياد قوة العداء في المنطقة الجنوبية الشرقية من الجزيرة العربية . لقد ظهر منهم جيل غير الجيل الذي ذاق مرارة الهزيمة على يد إبراهيم باشا وفجّر المقاومة التي كانت قد غاضت. . كما توفي سلطان مسقط (السيد سعيد) . وران الصدأ على حيوية إمام مسقط الحالي (السيد ثويني) ، وما عدنا نقوم بالعمليات الأسطولية النشطة حيث لم تزر سفننا الحربية مناطق القرصنة ، في الفترة الأخيرة ، إلا نادراً» . ويستطرد التقرير فيقول . . . «ما من شك في أنه قد نجم عن إعادة إحياء هذه القوة آثار شريرة لن تنتهي انعكاساتها على الأحوال في الجزيرة العربية فقط ، إذ نجد شواهد تشير إلى تجدد عمليات القرصنة على سواحلنا الهندية منذ السنة الماضية . كما بدأت حركة تجارة الرقيق بين شرق أفريقيا وبين الجزيرة العربية تزداد وتنشط بين سنة وأخرى . وتعمل سفن القرصنة الوهابية في تجارة الرقيق هذه . ومن هذه الآثار كذلك تجدد اعتداءات الوهابيين براً على أراضي إمام مسقط وهو عمل سيعرقل نمو قوة تمثل لأجيال عدة التمدن والانضباط في تلك المنطقة من الجزيرة العربية» . ويذهب التقرير إلى القول : «لا أعتقد أن حكومة الهند البريطانية يمكن أن تقف مكتوفة الأيدي في مواجهة هذه الأحداث ، وإنه ليبدو واضحاً جداً أن الأمير (السعودي) لن يعير النصائح التي زوده بها بيللي أو الاحتجاجات التي قام بها دسبراو أدنى اهتمام . وهناك أيضاً الاحتمال القائم في أن تنعكس هذه الآثار في أي وقت على مواصلاتنا البرقية مع أوربا» . وتضيف المذكرة «يبقى السؤال الحائر الذي يبحث عن إجابة وهو ماذا ستفعل الحكومة البريطانية إزاء هذه الأحوال؟» . وتمضي المذكرة لتجيب عن السؤال حيث تقول : «لا نوصي ـ في الوقت الراهن ـ بأن يقوم وكلاؤ نا السياسيون بأية جهود دبلوماسية مع الأمير الوهابي فإنه يجهل مدى قوتنا وعليه فإنه لن يراعي رغباتنا أو يعلق أية أهمية على احتجاجاتنا . ولهذا فإننا نرى أن أية محاولة منا للتفاوض معه في الوقت الراهن لن تزيدنا إلا خساراً . ونرى أن نوجه دسبراو ليغير لهجته مع إمام مسقط وليشير لسموه في وضوح متسم بروح الصداقة بأن اعتداءات

الوهابيين لن تعالج بالاتصالات الودية ، أو بالزيادة المطردة في مبالغ الزكاة . وعلى دسبراو أن يشير لسموه بأن حكومة الهند لتأسف وتعجب لما حدث أخيراً من اغتيال ونهب لرعاياها في مدينة كبيرة يرفرف عليها علم سموه . وإن سموه ، مع هذا ، لم يحرك ساكناً لمعاقبة مواطنيه المتمردين أو طرد الغزاة المعتدين . ويجب أن نبين لسموه بأن هذه الأحداث يجب أن يعالجها ، بالسير على نهج خطوات أبيه الجادة وذلك بإصلاح الأوضاع المالية (في مسقط) ، والعمل على استرضاء القبائل ، وإعادة تنظيم قوته العسكرية والأسطولية . وبهذا يمكن له أن يرد بالقوة اعتداءات جيرانه الوهابيين السافرة إذا لم تجد معهم المفاوضات[٧٦] . ولن نجعل سموه يستند بأي حال من الأحوال إلى قوتنا لتحقيق هذه الأهداف ولكننا سنؤكد له بأننا سنقوم بتنفيذ التزامات التعهدات التي تربط بيننا خير قيام ، وإننا سنمده بكل الدعم المادي والمعنوي ، وسنؤيد مجهوداته وخططه المحكمة لاستعادة نفوذه . وإننا لا نشك في أن سموه إذا استخدم قوته هذه الاستخدام الأمثل فإنها ستعطي النتيجة المرجوة . سنقوم من جانبنا بمده بالذخيرة ، كما سنمده عند الضرورة القصوى بالمال . كما سندعم سموه بالسفن الحربية التي يقدر القائد العام أنها لازمة لمساعدة الإمام في إعادة سلطته على صور وأي مكان آخر فقده الإمام في الساحل لأتباعه المتمردين أو للقوة الوهابية» . وينتهي تقرير فريري حاكم بومباي بأن المقيم بيللي على وشك الرجوع من إجازته ، وإنه سيكلف حال عودته بزيارة مسقط قبل أن يبلغ مكان عمله في بوشهر، وذلك لاتخاذ الاجراءات التي يراها الحاكم العام في مجلسه . وتطلب حكومة بومباي إلى حكومة الهند إصدار تعليماتها في هذا الشأن على وجه السرعة ، وإرسال نسخة منها إلى الوزير المختص في لندن لاعتمادها[٧٧] .

حين عاد المقيم بيللي إلى بومباي أرسلت له حكومة الهند في ١٢٨٢ هـ/ ١ نوفمبر ١٨٦٥م بتعليماتها المستوحاة من تقرير حكومة بومباي السالف الذكر. وتقدم المقيم البريطاني من بومباي إلى مسقط رأساً على السفينة برنيقة

Berenice لبدء التحري في النزاع السعودي العماني والتصرف بما تقتضيه الأوامر الصادرة له . قابل بيللي السلطان في سركا في ٢٨ نوفمبر ، ووجده مقتنعاً «تماماً بضرورة تثبيت سلطته في صور ، وأكثر اقتناعاً بضرورة اتخاذ الاجراءات الكفيلة بحماية حدوده براً . واعتذر السلطان بأنه لن يستطيع أن يفعل شيئاً كثيراً لضيق إمكاناته المادية . وأوصى المقيم للسلطان بمبلغ ٢ لخ روبية قرضاً بفائدة تبلغ ٥٪، وعرض السلطان جمارك ميناء جوادر ضماناً لهذا القرض . كما أوصى بيللي لثويني بمدفعين عيار ١٨ وما يلزمهما من ذخيرة ، وذلك لإعانته في المسائل الدفاعية والعمليات التي سيقوم بها[٧٨] .

أرسل القائم بالأعمال في مقيمية بوشهر إلى المقيم في مسقط يخطره بوصول رد الأمير فيصل في ما يخص أحداث صور الأخيرة والذي جاء فيه أنه أصدر أمره لنائبه كي يفك أسر الرعايا البريطانيين ، وأن يعيد لهم كل الممتلكات المصادرة ، ولكنه لم يبد رأيه بشأن الخسائر الأخرى ، أو الدية التي طلب إليه المقيم دفعها . وعلق بيللي على خطاب فيصل بأن على فيصل أن يدرك أن سلطان مسقط حليفهم وصديقهم ، وأن الحكومة البريطانية ـ بالرغم من أنها تأمل في سيادة السلام ، وحسن العلاقة بين الحاكمين في نجد وعمان ـ إلا أنها لن تستطيع أن تتجاهل ما يحدث في أرض الإمام التي بات يخسرها لصالح السعوديين[٧٩] .

زار بيللي سلطان مسقط مرة أخرى في ٢١ ديسمبر ونقل إليه موافقة حكومة الهند على مده بالمدفعين ومستلزماتهما من الذخيرة . كما أبلغه برفض الحكومة منحه السلفة المقترحة . وأنهى المقيم إلى السلطان أنه قد بدأ يستعد لحصار الموانىء السعودية في القطيف والعقير ، وإنه قد تلقى من شيوخ البحرين تأكيدات بالتعاون معه في هذا الشأن . كما نقل بيللي إلى ثويني أن أخاه تركي قد برهن على إخلاصه وولائه له بقبوله الخروج مع أسطول مسقط إلى البحرين لتنفيذ الحصار على الموانىء السعودية من هنالك[٨٠] .

قام بيللي مع سفن ثويني إلى البحرين، وغشي في طريقه موانىء الساحل العماني والتقى بشيوخه . ذكّر المقيم البريطاني الشيوخ في المنطقة بالسياسة السعودية التي تسعى إلى استقطابهم ، وذكر لهم أن الحكومة البريطانية لن ترفض مساعدتهم لسلطان مسقط ، ومساندتهم له براً[٨١] .

كان الأمير ثويني في هذا الوقت يعلن التعبئة وسط القبائل التابعة له وذلك لمهاجمة القوة السعودية في البريمي . وكان المقيم بيللي قد طلب إلى جميع رؤساء عمان معاضدة ثويني . خشي ثويني ـ في غمرة هذه الأحداث ـ من مغبة مهاجمة السعوديين في معقلهم ، واتبع نصيحة ابنه سالم الذي رأى أنه في حالة موافقة ثويني على مسايرة الإنجليز في حرب السعوديين فإن الأمر سيتطلب نفقات باهظة . ورأى سالم أن الإنكليز حتى إذا التزموا بوعدهم في تقديم المساعدة والدعم ، فإن والده سوف لن يتخلص من الارتباطات والالتزامات والتعويضات التي سيفرضونها عليه . وجد ثويني في نصيحة إبنه ما جعله يتراجع عن حرب السعوديين ، إلا أن المقيم لم يلبث أن أرغمه على استئناف صراعه ضدهم[٨٢] .

لم ينجح بيللي في إثارة تحالف بحراني ـ مسقطي ضد السعوديين كما كان متفقاً عليه من قبل[٨٣]. وتراجع السيد تركي بن سعيد قائد القوة المسقطية عن مياه البحرين إلى مسقط حين تراجع الشيخ محمد بن خليفة حاكم البحرين عن وعده الذي قطعة بمساندة الحصار المسقطي المزمع ضد الموانىء السعودية . وتراجع المقيم بيللي وسفينته برنيقة مع المنسحبين إلى مسقط دون أن يحقق شيئاً من مهمته .

كان الوالي السعودي في البريمي يدرك تماماً طبيعة التحركات التي يقوم بها المقيم فعمل على مضايقته ومضايقة الرعايا البريطانيين من البنيان في المنطقة . حرّض الوالي بعض القبائل لتهاجم صحم التي تقع على مسيرة بضع ساعات من صحار فهاجموها وأجلوا الرعايا البريطانيين عنها فاندفعوا في اتجاه

البحر بحثاً عن سفن تعصمهم ، وقد هلك أحدهم غرقاً . حقق المقيم البريطاني في الحادث وقرر أن قبائل الحدود العمانية هي المسؤولة بصفة كاملة عن هذا الهجوم ، وإن أعداد النجديين الذين ساهموا في هذا الهجوم كانت قليلة(٨٤) .

العمل الحربي البريطاني ضد الموانىء السعودية :

وصلت في يوم ٢٢ ديسمبر ١٨٦٥ م السفينة الحربية هاي فلاير High flyer التي يقودها باسلي Pasley إلى مياه مسقط حيث توقفت هناك لفترة تقدمت بعدها إلى منطقة النزاع في صور وسلمت المدفعين والذخيرة لإحدى سفن السيد ثويني التي كانت راسية هناك(٨٥) .

بدأ المقيم البريطاني الأرعن تخطيطه لمحاصرة الموانىء السعودية وكان لعمله هذا نتائج بعيدة الأثر في المنطقة السعودية والعمانية . أنهى المقيم للقائد باسلي أن الحكومة لن تستطيع أن تفعل شيئاً مؤثراً في البر لتعين به السلطان ثويني ، إلا أنها تستطيع أن تدعمه بسفينة بحرية حربية تحاصر بها ميناءي العقير والقطيف السعوديين وتضرب جزيرة الدمام بالمدافع «فذلك هو الطريق الوحيد الذي نستطيع أن نشغل به الوهابيين بأنفسهم» . وكان الرأي أنه من الصعوبة أن تقوم الهاي فلاير بهذا العمل بمفردها ، وأنه يجب انتظار وصول سفن أخرى . وأصرّ المقيم على أن تقوم الهاي فلاير بهذا العمل : «لأننا إذا لم نتصرف على هذا النحو ، فإننا سنؤكد الشعور السائد من أن هناك غياباً لسلطاتنا الأسطولية في الخليج ، وسنترك حليفنا السلطان تحت مطرقة عداء الوهابيين أكثر من أي وقت مضى» . وانتهى الرأي بين المقيم وقائد السفينة بأنه يجب مهاجمة القطيف والدمام وذلك بعد أن يعطى للأمير السعودي إنذاراً لوقت كاف يطلب إليه أن يستجيب فيه لما تطلبه الحكومة البريطانية(٨٦) .

كتب بيللي إلى فيصل خطاباً في ١٢٨٢ هـ / ٦ يناير ١٨٦٦ م أرسله مع

الهاي فلاير إلى حاكم القطيف . جاء في الخطاب المذكور : «لقد غزا سموكم أراضي سلطان مسقط التي هي دولة مستقلة متحدة مع الحكومة البريطانية . ولقد خولت لي الحكومة البريطانية قبل تسعة أشهر أن أقوم بدور الوسيط بينكم وبين صاحب السمو سلطان مسقط . وقد أرسلت لكم في حينه خطاباً رقيقاً بهذا المعنى غير أن إنكم لم تستجيبوا بالرد عليه. بل إن مسلككم كان على العكس من هذا تماماً، فقد قامت قواتكم بقتل أحد الرعايا البريطانيين من البنيان ونهب جميع ما يملك، كما استولت على ممتلكات عشرة آخرين من هؤلاء الرعايا. كما قامت قواتكم أيضاً باعتقال أتباعنا هؤلاء وطلبت فدية قدرها ١٠٠ ريال عن كل فرد يطلق سراحه. كما رفضت قواتكم السماح لهؤلاء البنيان من رعايا الحكومة البريطانية بدفن القتيل. لقد كان هؤلاء الرعايا يسكنون في ميناء صور التابع لصاحب السمو سلطان مسقط»[٨٧].

«إني بهذا أطلب إليكم أن ترسلوا عن طريق قائد الهاي فلاير التي ستبقى في انتظار الرد في المنطقة بين القطيف والبحرين باعتذار مكتوب تشجبون فيه ما قام به أتباعكم من اضطرابات . كما أطلب إليكم أن يحمل مندوبكم الذي سيأتي بالاعتذار مبلغ ٢٧,٠٠٠ ريال هي عبارة عن قيمة الممتلكات التي تأكد لنا أن أتباعكم قد استولوا عليها من البنيان . وعليكم أيضاً أن تؤكدوا لنا أنه لن يتكرر وقوع حوادث مماثلة مستقبلاً ولن تقع أية مذابح بعد الآن» .

«وسيسلم هذا الخطاب إلى الحاكم المسؤول من قبل سموكم في القطيف الذي يجب أن يستلمه بالتوقيع على إيصال يفيد استلامه ، وستعطى لكم من تاريخه مهلة قدرها ١٧ يوماً لاستلام الرد . وإذا انقضت هذه المهلة ولم يصل رد سموكم فإن السفن البريطانية ستقوم بتدمير قلاعكم الواقعة على سيف البحر، وستصادر كل مراكبكم في تلك المناطق» .

«لقد نما إلى علمي في هذه اللحظة أن قوات سموكم قد هاجمت شعم التابعة لمسقط ، وطردت الرعايا البريطانيين القاطنين هناك ، ولاذ هؤلاء الرعايا

باتجاه البحر ، وعرفنا أن أحدهم قد هلك غرقاً ، واعتلى الآخرون السفن وجاءوا إلينا لتقديم شكواهم»[٨٨] .

فارقت هاي فلاير مسقط في ٦ يناير ودخلت مياه ميناء البحرين في ١٣ يناير وذلك لكي يصحب القائد معه الوكيل الوطني البريطاني في البحرين إلى القطيف كي يقوم بتسليم الخطاب إلى حاكمها من قبل السعوديين . وبعد إداء هذه المهمة وتسليم الخطاب أبحرت هاي فلاير في اليوم نفسه إلى أبو ظبي ، وبدأت تجوب سواحل عمان وترسو عند الموانىء المهمة في تلك المنطقة . حين بلغ باسلي بسفينته عجمان «أرسل نيرانه على برج يعمل في خدمة السعوديين في تلك المنطقة» ، وذلك تنفيذاً لرأي بيللي الذي قاله لباسلي قبل أن يفارق صحار إلى القطيف. وفي يوم ٢٣ يناير ألقت السفينة مراسيها في خور الفنستون وهناك التقى القائد باسلي مع المقيم بيللي . وفي ٢٥ يناير حدث اجتماع رسمي بين الرجلين عبّر فيه بيللي عن عدم استطاعته أن يصحب السفينة هاي فلاير لتأدية مهمتها في الدمام ، واعتذر بأن الاضطرابات الحادثة في البريمي وبندر عباس وصور تقتضي منه أن يكون قريباً من السلطان . وطلب بيللي إلى باسلي في هذا اللقاء أن يدمر بغلتين حربيتين للسعوديين يقال بأنهما راسيتان في الأخوار الواقعة قرب القطيف[٨٩] . ولم يهتم المقيم ولم يعدل خطته بعد أن عرف في ٨ يناير بوفاة الإمام فيصل بن تركي[٩٠] فقد صمم على القيام بتنفيذ خطته كاملة حتى بعد موت الإمام السعودي .

غادرت هاي فلاير خور الفنستون في يوم ٢٨ يناير . يقول باسلي «وصلت إلى القطيف في يوم ٣٠ منه ، وعندما رجع إليّ الوكيل الوطني من المدينة وأخطرت بعدم وصول رد من شيخ الوهابيين ، وأن الشيخ أو الحاكم في القطيف اعتذر بأنه لن يؤدي إليّ المال ، وطلب إمهاله لمدة ١٢ يوماً أخرى يرسل فيها إلى العاصمة ليعرف رأيها ، قمت في يوم ٢ فبراير بإرسال قوارب مسلحة إلى القطيف تحت قيادة الليوتنانت فيلويز Fellowis . وقضت أوامري

بأن تستولي هذه القوة على كل داوات الوهابيين التي تكون في الساحل . وكلفتهم كذلك بتدمير البغلتين الحربيتين السعوديتين المذكورتين وتدمير برج بوليف، ذلك البرج الصغير الذي يحرس طريق القوارب عند مدخل القطيف» .

«ولقد قام هذا الضابط بمهمته بشكل مرض ولكنه لم يجد إلا داوا سعودية واحدة راسية في الميناء فدمّرها في مكانها ذاك لأن حالها كانت لا تستحق جهد جرها إلى هاي فلاير» . «وفي يوم ٣ فبراير قمت بإرسال قوارب مسلحة أيضاً تحت قيادة الليوتنانت لونج Long ، وكانت أوامري له أن يحاول ما أمكن تخريب قلعة الدمام ، تلك القلعة التي يقال إنها تحرس طريق العبور البحري إلى القطيف . ولازدياد المد لم يستطع الضابط الوصول بالقوارب إلى مسافة يستطيع أن يحقق منها شيئاً مفيداً . . تمكن هذا الضابط أخيراً أن يصل إلى الساحل ، واستطاع أن يدخل القلعة ولكنه ارتد عنها لأنـه وجدها أقوى مما كان يعتقد . (قال لي الوكيل الوطني إنها لا تضم سوى ١٢ رجلًا) . ولم يستطع القائد أن يصل إلى سور القلعة الداخلي فانسحب بعد أن فقد ثلاثة قتلى من الجنود كما جرح ضابطان وثلاثة رجال . وفي يوم ٤ فبراير ضرب لونج القلعة كذلك»[٩١] ، وانتهى أمر المهمة إلى الفشل. وقد شكا القائد باسلي بعدئذ من بيللي وسوء تصرفه ، وحمّله مسئولية فشل الحملة ، لأنه أرسل سفينة للأسطول تحارب في منطقة مجهولة لديها تماماً ، ولم يرسل معها أحداً من الذين يعرفون جغرافية الساحل ، أو عادات الحرب عند أهله .

صور تفتدي الدمام :

وصلت هاي فلاير إلى مسقط في ٩ فبراير وما أن استلم بيللي التقرير الذي أنهى إليه فشل المهمة حتى شعر «بأن الضرورة تقتضي الآن أكثر من أي وقت مضى ، أن تقدم هاي فلاير مثالاً سريعاً وحاسماً لما يمكن أن تقوم به . وعلى هذا أخذت معي وزير السلطان في السفينة برنيقة ، ووصلت إلى صور حيث تقدمت من أهلها بالخطاب التالي : إنكم لم تهتموا بما ذكرته سلفاً لكم

في خطابي السابق ولم تقوموا بتنفيذ المطالب العادلة التي جاءت فيه . ولهذا أحذر غير المحاربين منكم من التواجد في المنطقة التي تجاور القلعة . . وإني بهذا أعرب عن نيتي في الهجوم عليكم ظهراً أي بعد ست ساعات من الآن»[٩٢] .

كان بيللي يرى أن هذا العمل واجب التنفيذ فوراً لأن قبيلة الجنبة التي تسكن صور تسير على هدى الوهابيين . وعلى هذا قرر بيللي أن يضربهم ما دام لم يتمكن من الدمام ، وذلك بهدف توفير الهيبة البريطانية التي نالت منها الدمام . وتسترسل المصادر البريطانية في كيل الاتهامات للجنبة اعتذاراً لما قام به بيللي ضدهم من عمل غير مبرر. فهم ـ على حد قول هذه المصادر ـ قد عملوا مع السعوديين على نهب وقتل الرعايا في صور ، وهم العاملون في القرصنة وتجارة الرقيق ، وهم الذين تآمروا على اغتيال الوكيل البريطاني في زنجبار في ١٢٧٧ هـ / ١٨٦١ م . وهم ، على ما تعتقده هذه المصادر دون مبررات ، المسئولون عن اغتيال ثلاثة من بحارة السفينة واسب Wasp الذين اختفوا حين كانوا يستقلون مركباً صغيراً في تلك المنطقة . أرسل المقيم بيللي في ١٢٨٢ هـ / ديسمبر ١٨٦٥ م إلى رؤساء قبيلة الجنبة هذه يطلب إليهم دفع ٢٧,٠٠٠ ريال هي قيمة ممتلكات البريطانيين التي استولى عليها السعوديون . ولم يهتم شيوخ الجنبة بطلب المقيم وتحذيره لهم بأنه سيرغمهم على الاداء قسراً إن لم يدفعوا طوعاً ، وذلك لأن الليوتنانت بنجالي ، الوكيل في مسقط ، كان قد هددهم في مناسبة سابقة ولم ينفذ تهديده[٩٣] .

وصلت هاي فلاير إلى مياه صور في يوم ١١ فبراير ، وأدرك الشيوخ في المنطقة أن المقيم ينوي القيام بعمل حاسم . وقبيل الظهر، الموعد المحدد للهجوم، اتصل هؤلاء الشيوخ بالمقيم معلنين موافقتهم على دفع الغرامة ، وطلبوا إمهالهم لفترة حتى تعود سفنهم من ميناء جدة بعد موسم الحج بالمال . وأبى المقيم إلا الدفع فوراً ، أو العقاب فوراً .

عند الظهر بدأ باسلي يرسل قذائف هاي فلاير في دفعات تجاه البلدة ويتوقف عن القذف كل نصف ساعة، وذلك لكي «يعطي فرصة لغير المحاربين لكي يجلوا عن منطقتي القلعة والميناء . وعند الساعة الواحدة تماماً صب نيرانه على القلعة بشكل مباشر وجعلها دكاً» . وفي فجر اليوم التالي أرسلت الهاي فلاير زوارقها المقاتلة بقيادة الكابتن لونج إلى صور فصادرت ، وأحرقت ، ودمرت ، ولم تستبق شيئاً ، وتراجعت بعد أن أشعلت النيران في كمية كبيرة من الأخشاب كان بعض أهل المنطقة العاملين في صناعة المراكب قد استوردوها من الخارج . ويفتخر بيللي في هذا الصدد بأنه أخضع قبيلة من أشرس قبائل الساحل في الحرب وأكثرهم شجاعة وجرأة بل وعدداً إذ يبلغ المحاربون منهم حوالى ٦٠٠٠ مقاتل[٩٤] .

أراد ثويني أن ينتهز فرصة وقوع الخلافات في الأسرة السعودية بعد وفاة أميرهم فيصل ويعمل على استخلاص البريمي . وشجعه وعاضده الشيخ صالح بن علي شيخ قبيلة الحرث وزعيم الهناويين في الشرقية التي انتظمت في جبهة واحدة تحت قيادة ثويني . وتحرك ثويني إلى صحار على رأس القوات المتحالفة للقيام بالهجوم على البريمي . وأدى تحالف القائد السعودي في البريمي مع سالم بن ثويني إلى مقتل ثويني ، وفشلت بالطبع المحاولات العمانية ، وتفرق جند ثويني بعد مقتله .

وصلت إلى بيللي وفي نفس هذا اليوم برقية تخطره بمقتل السيد ثويني حاكم مسقط فتراجع إلى رأس مسندم، حيث تلقى خطاباً من الوكيل السياسي مرفقاً به آخر من السيد سالم بن ثويني يخطر بوفاة أبيه وبخلافته له ، وأنه «يرغب أن تسير حكومته تحت توجيه المقيم». وتعتقد المصادر البريطانية أن ثويني قد ذهب ضحية عدم سماعه نصيحة إبنه سالم الذي أوصى بعدم التعاون مع الانكليز ورفض مهاجمة السعوديين في البريمي ، وكذلك لعدائه لعزان بن قيس حاكم الرستاق الذي انحاز سلفاً إلى الجانب السعودي ، ولبعض المطوعين

بقيادة سعيد بن خلفان الخليلي ، ولعدم رضاء تركي بن أحمد السديري النائب السعودي على البريمي ، ولعدم رضاء المتمسكين بالوهابية بشكل عام عن سيرة ثويني[٩٥] . ولعل هذا هو السبب الذي جعل سيف بن سالم البشاري يتدخل بشكل مباشر في مقتل ثويني . ويدل هذا ـ إذا صدقت المصادر البريطانية ـ على أن المقيم برعونته المعتادة وإصراره على إجبار سلطان مسقط على معاداة جيرانه قد أشعل ثورة في المنطقة تحركها روح الفداء ، إذ نجد أن المتحالفين على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم كانت تحركهم بشكل أو بآخر عواطف معادية للتعاون مع البريطانيين (الكفار) . وانتهت تلك الثورة بمقتل إمام مسقط وبترك كل التجهيزات التي كانت تعد من أجل القيام بغزو البريمي . كما سببت هذه الحركة مشاكل كثيرة في المجال الداخلي بزيادة الانقسام في البيت البوسعيدي الحاكم في عمان ، وفي أملاكهم خارج المنطقة العمانية ، وفي مسألة منحة زنجبار، وغير ذلك مما لا مجال لدراسته هنا تفصيلاً ، ونكتفي بنظرة عاجلة في تقرير حكومة بومباي إلى حكومة الهند في ذي الحجة ١٢٨٢ هـ / ٤ أبريل ١٨٦٦ م والذي جاء فيه : «لا يشك الحاكم في مجلسه في صحة التقارير التي تفيد بأن السلطان قد قتل على يد إبنه سالم . وترى الحكومة أنه لا يمكن لها أن تستمر في علاقات الصداقة والتحالف التي سارت عليها مع حكومة مسقط في السنوات الماضية ، كما لن تستطيع الاعتراف حالياً بسالم كحاكم فعلي De Facto على أراضي والده. . » ، وتقترح حكومة بومباي على حكومة الهند أن ترد على خطاب سالم لها بشأن الاعتراف به سلطاناً على النحو التالي : «لم تكن حكومة الهند تريد أن تصدق وقوع تلك الجريمة اللا إنسانية البشعة ، ولكنها حين توثقت من هذا الأمر ، وتأكدت من مصادر مختلفة ، فإنها تجد نفسها مضطرة لعدم تجديد علاقات الصداقة مع مسقط» . كما يشير هذا الخطاب إلى الرسل السعوديين الذين أوفدهم الأمير عبد الله فور وفاة أبيه فيصل إلى بوشهر ، وإلى طلبهم الوصول إلى اتفاق مع المقيم «أن يخطرهم بتأجيل مهمتهم نظراً للظروف السائدة في مسقط . وعلى المقيم أن ينقل إليهم أن الحكومة البريطانية

يسعدها أن ترى أرض السلطان المتوفى متحدة يعمها الأمن والسعادة تحت الحاكم الذي تختاره وذلك دون أي تدخل أجنبي» . . ويجب على بيللي أن يذكّر هؤلاء المبعوثين بأن الحكومة البريطانية مصممة تصميماً جاداً «على حماية رعاياها الذين يتجرون في تلك البحار ، وإنها ستضرب بكل العنف أي محاولة لانتهاك الهدنة البحرية السارية ، وستمنع استئناف القرصنة» . ونقل المقيم تعليمات بومباي إلى المبعوثين السعوديين وهي في حقيقتها استمرار للسياسة الهندو بريطانية الثابتة في استقرار أوضاع السواحل وعدم تمكين السعوديين من سياستها .

تسوية الخلافات بين الأمير عبد الله بن فيصل وبين المقيمية البريطانية في بوشهر :

توفي الأمير فيصل بن تركي ١٢٨٢ هـ / أكتوبر ١٨٦٥ م وأحس خلفه الأمير عبد الله بن فيصل بما يضمره أخوه سعود من عدم الاعتراف بسلطته ، ثم ما لبث هذا الإحساس أن ترجم إلى واقع محسوس فرأى عبد الله أن يسعى حالاً للوصول إلى اتفاق مع البريطانيين ، وأن يقبل وساطة المقيم القوي بسفنه الحربية على البحر ومناطق سواحل الخليج التي كان أهلها أكثر ميلاً لسعود وأبدوا مناصرتهم له[٩٧] .

وصل بيللي إلى بوشهر في ٥ ذي الحجة ١٢٨٢ هـ/ ٢١ أبريل ١٨٦٦ حيث وجد بعثة أرسلها الأمير عبد الله بن فيصل برئاسة عبد الله بن مناع. وانتهت تلك السفارة السعودية إلى التعهد التالي :[٩٨]

«إن الإمام عبد الله بن فيصل قد خول لي سلطة التفاوض باسمه مع الصاحب المقيم في الخليج لكي أكون قناة للتعبير عن الصداقة التي تربط بين عبد الله بن فيصل وبين الحكومة البريطانية.

إني أؤكد للمقيمية في الخليج نيابة عن الإمام عبد الله بن فيصل بأنه لن

يهاجم أو يتعرض لمناطق العرب الذين هم في اتحاد مع الحكومة البريطانية. ويسري هذا بصفة خاصة على مملكة مسقط إلا ما كان من أمر أدائها للزكاة المعتادة من القدم».

أبرق بيللي بنصوص هذا التعهد لحكومة بومباي للموافقة عليه، وحولته حكومة بومباي بدورها إلى الأمانة الخارجية لحكومة الهند في سملا. وردت حكومة الهند بأنها توافق على وساطة المقيم، ومده يد الصداقة للمبعوث السعودي، واشترطت على المقيم عدم تدخله في المسائل المالية بين مسقط والرياض، وأن على الحكومتين في نجد وعمان تنظيم أمر الزكاة بينهما دون أي ضمان من الحكومة البريطانية في هذا الصدد. «ويمكن للكولونيل بيللي أن يتوسط بين الطرفين بعد مراعاة الشرط السالف، ولكن يجب عليه أن لا يقوم بعقد أي اتفاقية بين الحكومة البريطانية والزعيم الوهابي إلا إذا أحيلت لنا تفاصيل الاتفاق المقترح، ووافقت عليها حكومة الوطن» (لندن)[٩٩]. وقبل أن تصل هذه التعليمات إلى المقيم أبرق المقيم في الخليج لبومباي مرة أخرى يفيد بأنه يعتقد «بأن الحكومة يمكن أن تفرض ما تشاء من شروط معقولة، وأن كلا الدولتين العربيتين ستقبـلان بما تعـرضه تلك الحكـومة. وعلى العمـوم فسأبقى في انتظار تعليمات محددة منكم». وردت حكومة الهند بأن على بيللي أن يسير بموجب تعليماتها السابقة، ويمكن له ـ بعد التشاور مع الوكيل الوهابي ـ «أن يقترح علينا ما يشاء، وسننظر في هذه الاقتراحات بعد أن تعبر لنا حكومة بومباي عن رأيها في ذلك الصدد»[١٠٠].

رد بيللي على الأمير السعودي عبد الله «بأني قد استلمت خطابكم الكريم من يد خادمكم المخلص محمد بن عبد الله بن مناع وحاشيته. جاء في خطابكم أنكم تنشدون السلام. وأني إذ أرسل لكم نسخة من الورقة التي وقعها مندوبكم، والتي وافقت عليها حكومة الهند، يجب علي أن أنوه بأن حكومة الهند لن تتدخل أو تضمن أي أمر من الأمور الواردة في هذا الصدد إذا نشأت المشاكل

بينكم وبين مسقط، إلا أن الحكومة لن تعترض على قيامي بمساعدة كلا الطرفين في الوصول إلى تفاهم. وقد أبلغني مبعوثكم أنه إذا قامت مشاكل مستقبلاً فستكتبون إلي كي أفكر في الأمر . . . . .».

«لقد كتبت لي في خطابكم السابق بشأن المسائل الدينية. إن مسألة المبدأ الوهابي تختص بالوهابيين أنفسهم، وبإمامهم وبآلههم، ولا تريد الحكومة البريطانية أن تتدخل في هذه الأمور. أرجو أن يجدك مكتوبي هذا بصحة جيدة. وإذا وجدت أية صعوبة في فهم ما جاء به، أرجو إرسال وكيل موثوق فيه من قبلكم وسأسعد بلقائه بروح الصداقة التي ميزت لقائي مع محمد بن عبد الله بن مناع»[١٠١].

أرسل المقيم البريطاني إلى حكومته في ١١ يونيو بأنه عرف من المبعوث السعودي محمد بن عبد الله بن مناع حين سأله عن المعاهدات السعودية البريطانية،التي يشير إليها السعوديون مراراً، أن السعوديين قد تلقوا في أوقات مختلفة خطابات من السلطات البريطانية في الخليج تعبر فيها عن صداقتها لهم، وأن هذه الخطابات تقوم في عرفهم مقام الاتفاقات. كما أضاف المقيم بأن المبعوث السعودي أنهى إليه أن للأمير عبد الله أعداء، وأن عليه أن يتعامل مع مشكلات تتفاقم وتتزايد كل يوم. «وطلب مني المبعوث أن لا أعير التقارير التي ستصلني عن عبد الله من أعدائه أي انتباه، ولا أعوِّل عليها»[١٠٢]. وقد رد بيللي بأنه يعرف تماماً الموقف الحرج الذي تواجهه حكومة الأمير، ويعرف كذلك أن أعداءه في الداخل وكذلك على الحدود أقوياء جداً. وعبّر المقيم للمبعوث عن رأيه بأن هذه المشكلات هي سبب كاف لجعل حكومة الأمير في نجد تقبع ساكنة آمنة في سلام داخل حدودها لتعالج شؤونها، ولا تتطلع إلى أبعد من هذا أبداً. وأنهى المقيم إلى المبعوث أنه إذا رغب الأمير السعودي في أن يتصل به مرة أخرى لمعالجة أي أمر فعليه أن يثبت ما يريد كتابة حتى يتم تحويله إلى السلطات العليا في الهند. وقد علقت حكومة بومباي على هذا

التقرير بأن روح التصالح التي أبداها مبعوث حاكم نجد هي أمر مرضٍ. وعبر حاكم بومباي بأنه يأمل أن يتمكن بيللي بعد هذا من تسوية الخلافات بين نجد وعمان.«أما فيما يختص بمسائلنا المعلقة مع الوهابيين، فإن الحاكم في مجلسه يفوض المقيم لدراسة ما يقوله الرعايا البريطانيون الذين يسكنون في صور، وما يقوله الوهابيون في تبرير أعمالهم هناك، ويكوِّن رأياً في قيمة التعويضات المعقولة التي يمكن أن يطلبها من الوهابيين، ويصل بشأنها إلى اتفاق مع ذلك المبعوث»(١٠٣).

اتصال الأمير عبد الله بوالي بغداد:

تفيد رسالة من كمبال A.B. Kemball، القنصل البريطاني في بغداد، مؤرخة في ذي الحجة ١٢٨٢هـ / أبريل ١٨٦٦م، أنه عندما أرسل عبد الله سفارته إلى بوشهر للتفاوض مع المقيم أرسل أخرى إلى بغداد بقصد السفر إلى الأستانة ومقابلة السلطان. وصل عبد العزيز السويلم مندوباً عن الأمير عبد الله في ١٢٨٢ هـ / ٢٩ مارس ١٨٦٦ م وكان يسوق أربعة خيول نجدية هدية للسلطان في الأستانة. وكانت هذه الهدية هي الهدف المعلن للسفارة. وحدث أن عرف القنصل البريطاني في بغداد من نامق باشا بواسطة أمين سره أن عبد العزيز يحمل خطاباً من عبد الله يشكو فيه من التعديات البريطانية على سواحل نجد وملحقاتها، ويطلب إلى الدولة العثمانية التدخل لوقف هذه الاعتداءات فوراً(١٠٤). كما أرسل نامق باشا رسالة في نفس الوقت إلى القنصل يطلب إليه أن يبرق للحاكم العام في الهند لكي يؤجل العمليات الحربية التي يشاع بأن الهند ستقوم بها في تلك المنطقة، وذلك حتى تتفاوض الحكومتان العثمانية والبريطانية في المسائل المتعلقة بهذا النزاع. وسأل نامق عن جدوى أن يبرق القنصل للحاكم العام في الهند بنفسه في ما يخص هذا الأمر. ورد القنصل بكل الدهاء الدبلوماسي البريطاني بأن عبدالعزيز السويلم لم يسعده بزيارته لكي يعرف منه مهمة سفارته، ولهذا فإنه يجهل تماماً أسباب هذه الزيارة ودواعيها. وأضاف بأن مهمة المبعوث السعودي المعلنة لا تشتمل

على أية أغراض سياسية. واعتذر القنصل بأنه لن يبرق للهند بما لا يعرف، إذ لم يحدثه السويلم في هذا الصدد. كما اقترح القنصل على نامق بأن لا يبرق هو شخصياً للهند انطلاقاً من الاعتبارات السابقة.

وتفيد رسالة أخرى مؤرخة في ٧ مايو ١٨٦٦ م صادرة عن القنصل البريطاني العام في بغداد أن نامق باشا قد رد سفارة عبد العزيز السويلم ولم يمكنها من السفر إلى الأستانة. ولهذا فقد غادر المبعوث السعودي بغداد في ٣ مايو في طريقه إلى نجد. وقد أخطر نامق باشا القنصل البريطاني في نفس هذا اليوم بأنه رد هذه السفارة لعدم تحمسه للسعوديين. وادّعى نامق بأن هذه السفارة إلى الباب العالي كان يجب أن تتم عن طريق شخص أرفع ذكراً من السويلم. كما قال بأن التعبيرات التي وردت في خطاب عبد الله لم ترضه. وأضاف بأن عبد الله شيخ طموح، وأنه لم يلجأ إلى العثمانيين إلا لتحقيق طموحه. كما أفاد القنصل بأنه يعتقد بأن اتصال عبد الله بالمقيم البريطاني في بوشهر اتصالاً مباشراً قد أغضب السلطات العثمانية في البصرة وبغداد. كما أن حكومة الأستانة كانت قد أشارت سلفاً لنامق باشا بأنهم لا يستحسنون سياسة فرض سلطتهم على مناطق نائية قاصية في شبه الجزيرة العربية، وذلك لأن هذا الأمر سيدخلها في حرج التعامل مع النزاعات القبلية التي لا يريدون التعامل معها. ويرجع القنصل بأن نامق ربما رد السفارة بسبب بعض الإشاعات التي بلغته وجعلته يغير من رأيه في إنجاح أهداف السفارة[١٠٥].

وردت إشاعات إلى بغداد بعد وقت قليل من وصول السويلم إليها، تقول بأن الأمير عبد الله ذهب بنفسه إلى الكويت يقود جمعاً كبيراً يتراوح بين ٥٠٠٠ ـ ١٠٠٠٠ شخص، ويبدو أنه قد سار إلى جبل شمر ليثب من هناك على بعض القبائل على حين غرة وكذلك على قبيلتي الظفير وفرع من عنزة يدخل تحت سلطة والي بغداد. وكانت هذه القبائل تنزل عادة في هذا الموسم من السنة داخل حدود نجد. وكان الأمير عبد الله، كما كان دأب أبيه من قبله، يطلب من هذه

القبائل أن تؤدي له الزكاة. ودخلت المنتفق التي تنزل سوق الشيوخ بشكل نجهله في هذا النزاع، ولكن على أي حال فإن عبد الله حين كان يطارد الظفير واجهته قوة مشتركة من الظفير والمنتفق. وتقول التقارير غير المؤكدة التي تلقاها نامق باشا والقنصل البريطاني أن عبد الله قد أحدث انتصاراً كبيراً وأعمل في القبائل ذبحاً وتقتيلاً، وأخذ كل خيولهم وسلب ممتلكاتهم. وعندما عرف نامق بهذه الأخبار أبرق إلى والي البصرة كي يطلب إلى عبد الله الذي هو الآن على مشارف الكويت أن يوقف عملياته على القبائل الخاضعة للدولة العثمانية، وأن يتم تسوية المسألة بإرجاع كل المغانم التي أصابها كل طرف من الآخر. وعموماً رجع عبد الله إلى الرياض واتضح بعدئذٍ أن التقرير كان غير صادق، فقد لحقت الهزيمة بعبد الله إذ أرسل شيخ المنتفق إلى نامق باشا عشرة خيول، ومجموعة من سلب نجد، وبعض الغنائم التي أصابها من السعوديين، وذلك كدليل على النصر الذي أحرزته القبائل العثمانية على أهل نجد[١٠٦].

كان الأمير عبد الله يلقى في هذا الوقت شقاقاً في أسرته، وعنتاً من القبائل التي راهنت على أخيه، ورهقاً من المقيم البريطاني وسياسة حكومة الهند، وسوء فهم من ولاة الدولة العثمانية في المنطقة.

المقيم البريطاني يدافع عن سياسته في المنطقة:

لم تكن حكومة الهند سعيدة تماماً بما قام به المقيم بيللي[١٠٧]، وبأسلوب معالجته للأزمة مع الأمير فيصل وبصفة خاصة أمر هجوم هاي فلاير على الدمام والذي لم يحقق منه مصلحة أو يفوز فيه بالنجاح. وكانت البحرية قد قدمت في تقريرها إلى بومباي أنه لو كان بيللي في رفقة باسلي لتحقق النجاح لهذه المهمة. وقد علقت حكومة بومباي على هذا في ١٢٨٢هـ / ٢٤ فبراير ١٨٦٦م بأنه يجب أن يتم تعيين عدد من الأشخاص الذين هم على دراية بالشئون السياسية والمحلية في الخليج والذين يعرفون عادات ومُثُل القبائل البحرية، والذين هم على خبرة بمسائل البحر والإبحار في ذلك الخليج، في سفن الحرب البريطانية في

المنطقة. وعبرت هذه الحكومة دفاعاً عن بيللي بأنه لن يستطيع أن يصحب كل حملة حربية تقوم بضرب ميناء من موانىء العرب. وقد عبر إليس Ellis، سكرتير الحكومة، في تعليق له على ذلك بأنه يجب زيادة موظفي الهيئة السياسية في مكتب المقيم ،وأن يعين عدد من البحارة العرب الأكفاء لمساعدة السفن الحربية البريطانية على الإبحار هناك. وقد وافقت حكومة الهند على هذه الآراء، وكإجراء فوري قامت بتعيين مساعدين للمقيم في الخليج العربي[١٠٨]. كما شجبت الهند كل الإجراءات التي قام بها بيللي في الدمام وصور وأبلغ رسمياً بأن حاكم عام الهند مستاء من تصرفاته، خصوصاً أنه لم يصحب هاي فلاير في مهمتها تلك. قال بيللي إنه لم يفعل ذلك لأنه هو المسؤول عن تصرفاته، «أقرر كيف يجب أن أكون، وكيف يجب أن أتصرف». ودافع بأن سيرته كمقيم تبرهن بما لا يدع مجالاً للشك عن قدرته وحسن فهمه للأمور. «لقد سرت دون حراسة، واخترقت مناطق تقيم فيها قبائل محبة للحرب ومتهوسة، وهذا ما لم يفعله أي أوروبي على قيد الحياة حالياً». يفند بيللي اتهامات حكومة الهند ضده بما يلي[١٠٩]:

«تعتبر الحكومة طلبي إلى أهل صور بتعويض الرعايا البريطانيين عن أملاكهم المنهوبة أمراً غير مقبول، ولكني أذكِّر بأن هذه الحكومة حتى في خطابها الحالي تترك لي علاج هذا الأمر بما أرى».

«تعتبر الهند أن ما قمت به من إرسال خطاب إلى الحاكم الوهابي أطلب إليه الاعتذار والتعويض أمراً يتجاوز المبالغة إلى سوء التقدير. ولكني أرد بأن الأمير الوهابي لم يكن قبل هذا الخطاب الذي أرسلته له يرد على رسائلنا. حين أرسلت له هذا الخطاب رد بإرسال سفارة إلى بوشهر خضعت لما طلبته، واستجابت بل وتعهدت كتابة بأن الوهابيين لن يقوموا مستقبلاً بإزعاج حلفائنا. وبما أن هذه المفاوضات قد تمت بعلم حكومة الهند، فإني أرى أن ما قمت به يعتبر معقولاً ، وأن ما أنفذه الوهابيون كان مقبولاً ومرضياً عنه» .

«أما بخصوص عدم رضاء حكومة الهند عني بسبب عدم مرافقتي لقائد السفينة الحربية هاي فلاير إلى الدمام، وأنه كان علي أن أرجيء المهمة إذا لم أكن أستطيع القيام بمرافقة السفينة، فقد ردت الحكومة بنفسها على ذلك حين أبدت رغبتها في تعيين مساعدين لي ليقوما بمرافقة السفن الحربية. وأضيف بأن المقيم لن يستطيع أن يفي بكافة الالتزامات المنوطة به. كما أشير إلى رأي حكومة الهند بأن السفن الحربية البريطانية ليست خاضعة لأوامر تأتيها من حكومة محلية (بومباي) ولا لحكومة الهند وأنها تتبع تعليمات الأدميرالية التي تمنع أوامرها الدائمة تواجد أية سفينة حربية في الموسم الذي يشتد فيه الحر».

«أشارت حكومة الهند بأنه ليس من سلطتي استعمال القوة، وأنه كان الواجب علي في هذه الحالة أن أرسل تقريراً بما أزمع القيام به. والحقيقة أني أرسلت هذا التقرير، وجاء فيه أن الأمور في المنطقة تزداد سوءاً، وأني سألجأ إلى استعمال القوة. وطلبت ردكم برقياً. وانقضت ستة أسابيع لم تبعثوا لي فيها برقية، إنما أرسلتم سفينة حربية كان قائدها مخوّلاً باستخدام القوة، كما خول لي سكرتير حكومة الهند الاتفاق مع ضابط الأسطول المسئول باتخاذ كافة الترتيبات التي أراها ضرورية لتنظيم الوفاق بين الأمير الوهابي وبين إمام مسقط، على أن لا أقوم بأي عمليات حربية براً».

«ترى حكومة الهند أني قمت بتفسير نصوص المعاهدة الموقعة مع سلطان مسقط تفسيراً غير مبرر، وأنها قد قامت سلفاً بموجب خطابها في ١ فبراير ١٨٣٤ م ومرفقاته بإخطار المقيم وقتها بأنه غير مخول بمساندة الإمام (مسقط) مساندة جادة، ولكني أحيلكم هنا للبند الثاني من الاتفاق المشار إليه ونصه كما يلي: «إنه مما قاله النواب فإن قلبي قد مال إلى زيادة الصداقة مع الحكومة البريطانية. وأنه اعتباراً من هذا اليوم فصاعداً فإن صديق السركار هو صديقي وصديقي هو صديق السركار كذلك فإن عدو أي من الطرفين هو عدو للآخر، أرجو أن أشير بأني لا أفهم من هذا النص إلا أن الطرفين المتعاقدين قد دخلا في

تحالف هجومي دفاعي. كذلك أحيلكم إلى خطاب الحكومة في ابريل الماضي إلى المقيم والذي جاء فيه أن أنه يجب أن لا نلقي بحاكم مسقط لقمة سائغة للفرنسيين أو أي قوة أخرى».

وعبر بيللي بأنه قد قام بما قام به لأن في حوزته «كتاب معاهدات صدر في السنة الماضية يحوي نص الاتفاق المشار إليه سابقاً، وتأشيرة من الحاكم في مجلسه بالالتزام بها». وأنه بقي في مسقط، ولم يصحب السفينة ليكون بجانب السلطان، وأنه قد ضرب الدمام وصور لأن الحكومة قد أرسلت له سفينة حربية وطلبت منه التنسيق مع قائدها الذي كان من تعليماته إمكان أن يستعمل القوة، وأنه بهذه الإجراءات قد أوقف الغزو السعودي لعمان وعاقب الوهابيين على قتل الرعايا البريطانيين. «أما إذا تحصنت بالخطاب الصادر في عام ١٨٣٤م، وأعدت إلى الحكومة في الهند السفينة الحربية التي أرسلوها لي، ورفضت تقديم المعونة إلى السلطان، وتركته يواجه الهزيمة المؤكدة من الوهابيين، فهل كانت هذه الحكومة ترضى بذلك؟».

وفي الرسائل المختلفة بعد هذا عبر المقيم بيللي عن أن للحكومة البريطانية أهدافاً متشابكة في داخل الجزيرة العربية. وذهب إلى أبعد من ذلك حين قال «إنه لا يمكن لنا أن نتجاهل ما يقوم به السعوديون في عمان إلا بقدر ما يمكن أن نتجاهل ما يقوم به الفرنسيون في بلجيكا. وبرغم ذلك لم تقتنع حكومة الهند ورأيت أنه لا يجب الاندفاع في الدفاع عن قضايا مواطني الهند ومن جاء من سلالتهم «هؤلاء الذين يعتبرون أنفسهم رعايا بريطانيين»، والاصرار على حماية ممتلكاتهم. وأحيلت أوراق النزاع إلى حكومة لندن التي قررت وجوب عدم التدخل السافر بين الحكومات العربية في المنطقة.

تراجع القوة السعودية:

لم يكن المقيم البريطاني يرغب في أن يكون سالم حاكماً لعمان ولكنه علق على خطاب أرسله له سالم في ذي الحجة ١٢٨٢ هـ / ابريل١٨٦٦م

يطلب الاعتراف به بأنه «يمكن الاعتراف بسالم تجاوباً مع الأمر فقد أصبح السيد الفعلي في مسقط، وأوصى حكومة الهند أن تتبع مع سالم سياسة الانتظار والترقب. وعلى هذا لم يكن من قبيل المصادفة أن انفلت تركي بن سعيد من بوشهر حيث كان يقيم في كنف المقيم، ووصل إلى ساحل عمان ثم تقدم إلى مسقط لمنازعة ابن أخيه الحكم. وانسحب تركي إلى ساحل عمان مرة أخرى بعد أن أحدث مع سالم صلحاً قصير العمر. ومن هنا عمل تركي لتحريض أهل الساحل العماني لمساندته، ولتحريك السعوديين لنصرته، واستنجد سالم بسلطات الخليج البريطانية لحمايته من تحركات تركي. وبهذا انقلبت الأمور وتم التباعد بين سالم والسعوديين ومشايخ الظهير الذين كانوا يناهضون النفوذ البريطاني الذي حاول سالم الاستعانة به. كما تمَّ التباعد أيضاً بين تركي الذي تغاضى المقيم عن تحركاته بقصد أن يضرب به سالماً وبين البريطانيين، فوقع تركي في المحظور حين حاول أن يكتل شيوخ الظهير، ويستعين بالسعوديين[١١٠]. أي أنه حاول توحيد الجهد بين الظهير والسياج الأمني للهند الذي يجب أن يبقى منفصلاً لخدمة أهداف الهند. وبهذا اختلطت أوراق اللعبة وتشعبت الأمور وأصبح من رأي لورنس، الحاكم العام في الهند، أنه يجب الاعتراف بسالم دونما اعتبار لسيرته الماضية. وفي ١٠ سبتمبر كان المقيم في مسقط يؤدي المراسم المعتادة للإحتفال، وتم الاعتراف بسالم سلطاناً على مسقط. «كان السيد سالم يرغب في أن أقوم بزيارته أولاً لتقديم فروض العزاء في أبيه، وكان ردِّي بالرفض لأن التعليمات التي وصلتني لا تفيد بذلك، وأن مهمتي تنتهي عند الاعتراف به، أما العزاء فيجب أن أستشيركم بشأنه». تمّ الاعتراف بسالم سلطاناً، وعُلّق العلم البريطاني على القنصلية. وقد «أعطاني السيد سالم خطابين أرسلهما له الشيخ الوهابي. ويبدو من هذين الخطابين أنه يريد أن تكون العلاقات بين نجد وعمان علاقات مباشرة، وليس من خلال وكيله المسئول في البريمي. ويبدو لي أن هذا الأمر مرغوب فيه». وبالرغم من تقرب تركي بن سعيد من الرياض، فإن بيللي كان يعتقد جازماً بأن عبد الله بن فيصل

سيحترم اتفاق ١٢٨٢ هـ / ابريل ١٨٦٦ م، ولن يحارب سلطان عمان المعترف به من قبل بريطانيا. وصدق توقع بيللي حين تقدم تركي بحملة على عمان لم يشترك فيها السعوديون. وبالرغم من التقارب الواضح بين الرياض ومسقط الذي حتمته ظروف الحكم في البلدين، فإن اتجاهات تركي بن سعيد التي كان يظن أنها سلفية قد دفعت حكومة بومباي لتحذّر حكومة الهند من تفاقم الأحداث إذا استولى تركي على الحكم في مسقط. واقتنع لورنس أخيراً وأصدر قراره للمقيم بتحذير تركي، ووقف تحركاته. وبهذا سلّم تركي نفسه إلى المقيم ونفي إلى الهند إلى حين [١١١].

لم يكن مقدراً لسالم أن يستمر في الحكم طويلاً، فبالإضافة إلى دم أبيه الذي اتهم به، كان تحالفه مع السعوديين، وتفضيله للقبائل الغافرية، وعدم ثقة البريطانيين في اتجاهاته المذهبية، من الأمور التي سرّعت بنهايته في ١٢٨٥ هـ / ٣ أكتوبر ١٨٦٨ م ليصبح بعدئذٍ لاجئاً في بومباي. اعتمد سالم ـ في بداية أمره ـ على السعوديين اعتماداً كبيراً ووثق فيهم حتى أنه اختار حرسه المقربين من النجديين، ولعل عبد الله بن مشاري بن سعد بن مطلق كان من أوثق قادة حرسه. كما استخدم سالم في جيشه عدداً من النجديين، خصوصاً في خلافاته مع الشيخ صالح بن علي والقبائل الهناوية. ولعلّ في القصة التالية التي يرويها السالمي تأكيداً لما ذكرنا. يقول السالمي[١١٢]: «لما علم الشيخ صالح بما دبّره له سالم من مكيدة هرب. وحاول سالم القبض عليه وأرسل في إثره الخيالة بقصد القبض عليه فوجدهم وقد تهيأوا وركبوا في إثره مقربين، فانطلقت خيل السلطان في إثرهم وعليها الوهابية، فأدركوا بعض البدو فوقع بينهم التناوش وقتل رجلان من الوهابية أصحاب السلطان وجرح رجل من البدو أصحاب الشيخ. . ولما أدرك سالم بعدئذٍ أن الشيخ صالح يعد العدة للثورة عليه طلب المدد من تركي بن أحمد السديري القائد السعودي في واحة البريمي»[١١٣].

آلت شئون عمان بعد سالم إلى الإمام عزان بن قيس، ومجموعة صالح بن علي زعيم القبائل الهناوية، وسعيد بن خلفان الخليلي زعيم

«المطوعين». ولم يكن سالم يستطيع الاستعانة بالسعوديين في تثبيت سلطته في عمان، فبالإضافة إلى أن هذا التعاون محظور أصلاً في قاموس التسلط البريطاني في الخليج، فإن خروج سعود على أخيه في نجد وغيره من الأحداث الواقعة في تلك المنطقة لم تجعل للرياض صوتاً مسموعاً في تلك المنطقة التي بدأت بالفعل تخرج من قبضتها.

البريمي تؤول إلى عمان:

عندما انفجر النزاع بين السيد سالم والسيد عزان بن قيس التزم السديري، نائب السعوديين في البريمي، جانب السيد سالم بشكل أو بآخر حيث لم يكن يستطيع المجاهرة بالمساعدة، كما لم تكن الرياض في وضع يمكنها من المساندة الجادة. وعندما آل الأمر إلى عزّان وتحالف القبائل الهناوية كان من الطبيعي أن يمتد العداء إلى السديري القائد السعودي في البريمي. أما سالم الذي نُحِّي عن الحكم في عمان فقد ذهب إلى الرياض ليظفر بمساندة الأمير عبد الله بن فيصل ضد الإمامة التي أعلنت في مسقط، إلاّ أنه وجد الرياض منقسمة على نفسها بين أبناء فيصل الذين لفّهم الخلاف. ثارت الشارقة على السلطة السعودية الواهنة في المنطقة وقتل شيخها في ٢٥ ذي الحجة ١٢٨٥هـ / ٧ أبريل ١٨٦٩ م الوالي[١١٤] الوهـابي على البريمي. ورأت قبيلة النعيم الاستعانة بعزان والخليلي للوقوف في وجه الرياض إذا حاولت أن تثأر لمقتل السديري[١١٤ ـ أ]. وكان عزان يريد التخلص من أداء الزكاة إلى الرياض، ووجد الفرصة لإعلان الحرب ضدها في البريمي حين طلبت إليه الرياض أن يؤدي لها الزكاة المفروضة على مسقط.

كتب المقيم البريطاني في بوشهر لحكومته في أواخر صفر ١٢٨٦ هـ / ٩ يونيو ١٨٦٩ م بأن الأمير السعودي عبد الله بن فيصل قد أرسل سفارة إلى عزّان بن قيس تسوق معها جملاً وحصاناً هدية، وتطلب إليه أن يؤدي الزكاة. جاء في خطاب الأمير عبد الله: «.. تعرف أن الزكاة قد حان موعدها فتكرم بسدادها لسفارتي هذه التي أرجو أن لا تتأخر في مسقط كثيراً». وتتسم لهجة هذا

الخطاب بروح الصداقة والإخاء. وتفيد رسالة المقيم أيضاً أن عزان قد استبقى هدية الأمير، وأرسل الخطاب إلى الخليلي يطلب إليه المشورة. ورد الخليلي «إن كنت تبغي نصيحتي، فإني أنصح لك بأن لا ترسل أي شيء إلى عبد الله بن فيصل»(١١٥). ولهذا لم يبعث عزّان برد للرياض.

وبعد يومين من وصول خطاب الأمير عبد الله أرسل عبد الرحمن بن أحمد السديري، الذي حل مكان أخيه تركي في إدارة البريمي، إلى الإمام عزان يلومه على أنه ألقى القبض على المدعو زايد الذي كان في طريقه من زنجبار إلى البريمي يحمل ٢٥٠٠ ريال إلى السديري. وطلب السديري إلى عزان أن يفك أسر زايد، ويعيد إليه المبلغ لتوصيله له. جاء في هذا الخطاب: «لقد قمت بإلقاء القبض على زايد أحد أتباعنا، وأخذتم منه مبلغ ٢٥٠٠ ريال كانت مرسلة لي من صاحب السمو السيد ماجد. ولهذا فإني أكتب إليك كي تطلق سراحه، وأن تعيد له المال الذي استوليت عليه، وإلا فإني سأنزل عليكم بقواتي، ولتكن بعد ذلك إرادة الله. إن مسألة إلقاء القبض على زايد مسألة أكبر من أن نسكت عليها، ولهذا فلن أكتب لكم بشأنها مرة أخرى»(١١٦).

توترت العلاقات الهادئة بين القوتين، ويبدو أن عبد الرحمن السديري قد قام بإرسال بعض رجاله بقيادة أخيه عبد العزيز السديري لمساعدة السيد سالم الحاكم السابق، الذي خرج من بومباي إلى عمان لينازع عزان الإمامة. ويبدو أن هذه القوة قد قامت مع سالم تؤيده وتسانده حتى وصلت إلى صور ونهبتها(١١٧). وكان زايد أحد المنسقين بين سالم في زنجبار وبين العسكريين السعوديين في البريمي.

دقت طبول الحرب فتحرك عزان من بركا إلى منطقة يالسعد، الواقعة بين بركا وصحار، يطلب إليهم دعمه لحرب البريمي، فاعتذروا بأنهم قد تعهدوا بأن يسالموا السلفيين.

وتفيد التقارير البريطانية الواردة من مسقط بعد ذلك أنه قد وصلت إلى

المقيم شكوى من السديري. يفسر عبد الرحمن السديري شكايته للمقيم في خطابه بتاريخ ٨ ربيع الأول ١٢٨٦ هـ / ١٩ يونيو ١٨٦٩ م بأنه «نظرا للاتفاقات التي تربط بينكم وبين الإمام عبد الله بن فيصل فإنًا نرد هذا الأمر إليكم لتطلقوا سراح زايد الذي سجنه هؤلاء القوم ونطالب برد الأشياء التي يحملها. أرجو أن تهتم بهذا الأمر فصداقتكم مع تركي أخي قديمة، وإني لأرجو أن تتوثق معي وتزداد. .»(١١٨).وقد تدخل المقيم لدى إمام مسقط وأطلق سراح زايد وأعاد المبلغ. ويبدو أن التحالف بين السيد ماجد في زنجبار والسديري في البريمي ضد الإمامة في عمان، والذي أعان ماجد فيه بالمال لم يكن ناجحاً.

كان لا بد من الحرب، خصوصاً بعد أن أرسلت قبيلة النعيم إلى الإمام عزان تستقدمه إلى البريمي. طلب عزان إلى النعيم أن ترسل له ١٢ من رجالها وأبرز شيوخها لكي يستبقيهم كرهائن في قلعة صور حين يسير إلى البريمي، وذلك حتى لا تتراجع القبيلة عن مساندتها له(١١٩).

يكتب عزان بن قيس بعد ذلك لدسبراو الوكيل السياسي البريطاني في مسقط عن تفاصيل استيلائه على البريمي. يقول عزّان في خطابه المؤرخ في ٢٣ ربيع الأول ١٢٨٦هـ / ٤ يوليو ١٨٦٩م: «أرجو أن أخطركم بأننا قد نزلنا أرض البريمي بقوة كبيرة. وحين نظرنا فيها وجدنا بها قلعة كبيرة حالت دوننا ودون البريمي فهي قلعة عالية جداً وضخمة وقوية». ويحكي عزّان عن مقاومة البريمي اليائسة لمدة ثلاثة أيام اعتباراً من يوم ١٨ إلى يوم ٢١ ربيع الأول، وما جرى بعد ذلك من تسليم بعد طلب الأمان. «ولما كان من عادة العرب أن يعطوا الأمان لمن يطلبه ويسبقوا الحماية على من يبحث عنها فإننا قد أصدرنا أمرنا بالأمان فوراً ثم استولينا على قلعتهم، واستولى جماعتنا على منازلهم وأراضيهم». وينتهي الأمر إلى الصلح بين أهل المدينة وغيرهم من العرب بعد خروج السعوديين، «أما الذي أراد أن يقاتل فقد فني جسده ولم يبق منه غير اسمه عبرة لمن يعتبر»(١٢٠).

وحين رجع عزّان إلى مسقط كتب للمقيم يخطره: «بأننا قد رجعنا لمسكة

بحمد ذي الجلال على أحسن حال بعد فتح البلد البريمي بحرب كان نحو أربع أيام فقتل بعض من قتل من العدو وتهدمت بعض حصونهم بضرب المدفع ولما ضاق بهم الأمر ورأوا أنهم لا طاقة لهم بالمقاتلة سلموا الأمر كرهاً وطلبوا الأمان على أنفسهم وما أرادوا من أموالهم من خيل وركاب فأعطيناهم تفضلاً بلا إيجاب ونزلوا عن ذلك وانصرفوا ناحية الشمال وقد أراح ربنا عباده من الوهابية المعتدون أخرجهم أذلة وهم صاغرون ورأينا أهل تلك الأطراف في أسوأ حال مما كان يغشاهم من جورهم الشنيع وظلمهم الفجيع ورجعنا عليهم جميع ما انتهبوه من أموالهم واغتصبوه من أملاكهم وقرة أعينهم بزوال المكروه عنهم»[١٢١]. ولم يعبر المقيم في رده لعزان عن رأي محدد[١٢١ - أ].

أما الوكيل السياسي البريطاني في مسقط فيكتب في ١٢٨٦ هـ / ٧ أغسطس ١٨٦٩ م يشرح ما حدث. ويرى الوكيل أن عزّان قد كسب نصراً سهلاً إذ تقدم في قوة تتراوح بين ١٥٠٠ إلى ٣٠٠٠ رجل، نازلوا قوة من الوهابيين لا تزيد عن ٥٠٠ إلى ٦٠٠ رجل، ولم يقع قتال كبير حيث بلغ عدد القتلى خمسة أو ستة أفراد[١٢٢]. أما المقيم البريطاني في الخليج فيكتب إلى الوكيل في مسقط بتاريخ/ ١٦ أغسطس بأنه يعتقد بأن غزو عزّان للبريمي أمر غير طيب من كافة وجوهه لأن الأمير الوهابي سينتقم بالتأكيد، وستعم الاضطرابات المنطقة لأنه سيعتبر نفسه في حل من التعهدات التي أثبتها للمقيمية في ابريل ١٨٦٦ م، تلك التعهدات الخاصة بعدم تدخله في الشئون الداخلية لسلطنة مسقط. «إنه مما لا شك فيه أن هذا الاعتداء الذي وقع حالياً على أراضي الوهابيين في أحد معاقلهم سيعطي للأمير الوهابي الذريعة الكافية للثأر. وعلى حد علمي فإن حكومة مسقط ليست في وضع يجعلها تصمد في البريمي إذا هاجمها الوهابيون هناك». ويتفق المقيم في هذا مع ما يراه الوكيل دسبراو إذ كتب سلفاً في ١٢ أغسطس بأن عزّان قد ارتكب خطأ بغزوه للبريمي، وعليه أن ينتظر الرد الذي لاحت بوادره[١٢٣]، خصوصاً بعد لجوء سعود بن فيصل إلى عمان ومحاولته مضايقة أخيه الأمير عبد الله من هناك.

لم تكن حكومة بومباي تهتم لما يجري في البر، فالقوتان في مسقط والرياض في نظرها غير صديقتين، بالإضافة إلى أنها ـ مثلها مثل حكومتي الهند ولندن ـ لا تهتم بالبر كثيراً إلا بمقدار انعكاسات آثار العمليات فيه على السواحل. أبرقت بومباي لحكومة الهند في ١٢٨٦ هـ / ٢٩ يناير ١٨٧٠ م تقول بأنها قد عرفت من بريد الخليج أن السعوديين في طريقهم إلى البريمي للرد على عزان، وأنهم قد جهزوا قوة على ١٠٠ قارب لتسير بحراً وتعاضد القوة البرية التي تتخذ طريقها إلى البريمي. ثم تستفسر حكومة الهند من بومباي بعدئذٍ عما إذا كانت المنطقة الواقعة بين القطيف وأبو ظبي وقبائل هذا الساحل بشكل عام تابعة أو متحالفة مع أمير الرياض. وتجيب بومباي في ١٠ فبراير بأن القوارب السعودية التي ستتحرك تجاه عمان ربما تقوم من القطيف الذي هو ميناء سعودي، وربما تتحرك قوارب أخرى تابعة لهذه القوة من وكرة في قطر التي يحكمها حاكم مستقل ولكنه يدفع الزكاة للبحرين وتؤدي البحرين زكاة قطر للوهابيين . وتلاحظ بومباي أن للقواسم ميولاً «وهابية» ولكنهم مستقلون. أما قبيلة آل بني ياس التي تقطن الساحل قرب أبو ظبي فهي غير تابعة وغير متحالفة مع الوهابيين، «وأن شيوخها كانوا دائماً على صلة حسنة مع فرع عائلة السيد سعيد في مسقـط. كما تلاحظ بومباي كذلك بأن آل بني ياس أقوى من القواسم براً ولهم نفوذ وسط قبائل البدو، بينما القواسم أقوى من السابقين بحراً[١٢٤].

كانت تعليمات بومباي التي أبرقت بها إلى وكيلها في مسقط، والمقيم في بوشهر حين عرفت بتقدم القوات السعودية، تقضي بالتزام الحياد التام بين المتقاتلين وعدم التدخل بحال في شئون البر. وتضيف التعليمات بأن القوات البريطانية الموجودة في المنطقة هي لحماية السلام في البحار، وكذلك لحماية الرعايا البريطانيين وممتلكاتهم في المنطقة. وتفوّض بومباي وكيلها في مسقط أنه في حالة الضرورة يمكن له تجاوز هذه السياسة[١٢٥].

في هذه الأثناء بدأ عزان يعد العدة لمواجهة السعوديين وللمسير إلى

البريمي حيث لم يكن له هناك إلا حامية ضعيفة لا تزيد عن ٢٠٠ فرد تركها في حماية القلعة. ولم تكن البريمي من أولويات عزان السياسية، ولهذا نجده حين استولى عليها يكتب للشيخ زايد بن خليفة لكي يرعى شئون البريمي. ويرفض زايد كما رفض الشيخ سالم بن سلطان حاكم الشارقة نفس العرض، بل إن سالم رفض أن يكتب لعزان بمجريات الأمور في المنطقة حين طلب إليه ذلك[١٢٦] .

هذا بالرغم من أن سالم كان على علاقة غير طيبة بالسعوديين ووكيلهم السابق على البريمي تركي بن أحمد السديري، الذي حاول إقالة سالم عن مشيخة الشارقة ليولي عليها حميد بن عبد الله، تلك المحاولة التي انتهت باغتيال تركي السديري في الشارقة في ابريل ١٨٦٩ م .

تشير الأخبار الواردة من مسقط إلى أن آل بني علي رفضوا السير في ركاب عزان إلى البريمي وزادوا بأن أعلنوا عليه الثورة. ووصل إلى بومباي من مسقط خطاب قيل أن الأمير السعودي عبد الله بن فيصل قد كتبه لسالم سلطان مسقط السابق يخطره بأنه سيسير إلى عمان، وسيعيده إلى سدة حكمها مرة أخرى. ويبدي المقيم بيللي شكوكه في أن يكون هذا الخطاب من الأمير عبد الله إذ وصل إلى سالم الذي كان في قشم في مدى ثلاثة أيام من تاريخه، «فهل هناك خطأ في التاريخ أم خدعة في الخطاب؟» وعموماً فقد وصل ابن أخي شيخ أم القوين ومعه سفارة سعودية إلى سالم في قشم في يوم/ ٢٣ مارس[١٢٧].

كانت أفادت تلك الأخبار التي أدلى بها شيخ قبيلة النعيم إلى مصادر حكومة بومباي من أن القوة السعودية الزاحفة تجاه البريمي تتراوح بين ٢٠٠٠ ـ ٥٠٠٠ فرد، وأن قبائل الجنوب بصفة عامة لم تساند عزّان، وأن شيوخ المنطقة من رأس الخيمة إلى دبي لن يعترضوا عمليات الأمير الوهابي، وأن مشـاعرهم مع عبد الله بن فيصل دون عزان، وأن شيخ أبو ظبي بالرغم من حياده المعلن يتنسم رياح النصر ليطير معها، وأن الأمير عبد الله قد عقد العزم للسير على البريمي ، ومنها إلى صور فمسقط[١٢٨] .

تخبطت الهند في السياسة التي يمكن أن تتبعها أزاء هذه الأحداث، خصوصاً وأنها لم تكن قد اعترفت بعزّان حاكماً على عمان بعد. كان من رأي الوكيل دسبراو- قبل هذه الأحداث- ضرورة الاعتراف بعزّان لتقوى به عمان على خصومها. أما المقيم بيللي فقد كان يعارض الاعتراف بعزّان إذ يقول إن عزّان بإمامته قد حزم المنطقة في وحدة كالوحدة التي تميز أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأن تلك الوحدة الدينية يمكن أن تضر بالأهداف والمصالح البريطانيّة في الخليج. وكان من رأي ايتشون، أمين حكومة الهند، أن ما يهمه في الخليج هو حفظ أمن البحار. ودون إبداء رأي في الاعتراف بعزّان أو عدمه فإنه يريد للهند قوة في الخليج تفرض بها احترامها على الجميع. وكان اهتمام حكومة لندن بأمر الاعتراف بعزّان كبيراً، وذلك لأن قناة السويس التي افتتحت في تلك السنة قرّبت المسافة البحرية بين أوروبا والخليج العربي، مما جعل لندن تخشى من أن يقوم هذا التجمع الذي يرأسه الإمام عزّان بالبحث عن قوى أوروبية غير بريطانية لدعمه. وأخيراً توصلت هذه الأطراف جميعها إلى ضرورة الاعتراف بعزّان، وتقرر أن يترك توقيت ذلك لحصافة المقيم. وحين باتت نذر الحرب بين مسقط ونجد توحي بأنها وشيكة، وحين أشارت كل التقارير إلى احتمال نجاح حكومة نجد في اجتياح عمان ومشارفتها تلك المنطقة الاستراتيجية عند مدخل الخليج، صدرت التعليمات إلى المقيم بيللي بالتقدم حالاً إلى مسقط والاعتراف فوراً بعزّان بن قيس حاكماً على عمان، أو اتخاذ ما يراه لازماً لمجابهة الموقف[١٢٩].

كتب المقيم بيللي في ذي الحجة ١٢٨٦هـ/ ٢١ مارس ١٨٧٠م بأن الأمير عبد الله لا يزال في قلعته في العقير، وأنه لا يزال متردداً في أمر القيام بحملة على البريمي مع وجود شيخ أبو ظبي من خلفه. كما أفاد بيللي بأن الأمطار لم تهطل في تلك السنة، وسيجد الأمير عبد الله مشكلة في المياه حين يسير بجيشه إلى البريمي.

ويلخص لنا تقرير بيللي[١٣٠] الذي كتبه في ١٥ محرم ١٢٨٧هـ / ١٨ ابريل ١٨٧٠ م الموقف برمته، «لقد جمع الأمير الوهابي قبل شهور قواته في الإحساء وذلك بهدف الهجوم على البريمي. واتصل الأمير حينئذ بشيوخ الساحل لكي يتعاونوا معه أو يبقوا على الحياد. وقد رد كل هؤلاء الشيوخ ـ فيما عدا شيخ أبو ظبي ـ ردوداً مشجعة. ولم يتحرك الأمير بحملته بناء على الاعتبارات التالية:

أولاً: الجفاف وعدم هطول الأمطار مما يعني أنه لن يجد الكلأ ولا الماء على امتداد الطريق.

ثانياً: تحالف شيخ أبو ظبي مع سلطان مسقط سيجعل مسير عبد الله إلى البريمي صعباً.

ثالثاً: يدرك الأمير أنه قد استضاف أحد «قراصنة البحرين» ومعه الأشياء التي نهبها، وأننا سنقوم عاجلاً أو آجلاً باستخلاص ما يرضينا من موانئه في العقير والقطيف .

رابعاً: ربما كان الأمير يخشى من مؤامرة سيقوم بها بعض أقاربه في الرياض» .

ويفيد التقرير أخيراً بأن الأمير بات يعد العدة للرجوع إلى الرياض[١٣١]. وكان هذا آخر ما نعرفه في العلاقات بين الرياض والخليج العربي في هذه الفترة حيث أدى النزاع بين الفريقين المتقاتلين على حكم المنطقة السعودية إلى فشل الفريقين حين دخل العثمانيون في النزاع واستشرفت المنطقة عهداً آخر له سمات مغايرة في السياسة والحكم.

الخـاتمة

تميزت هذه الفترة من تاريخ الخليج بالصراع بين القوى المحلية بعضها مع البعض الآخر، كما تميزت بدخول المنطقة برمتها مع بداية هذه الفترة في الصراع بين قوتين استعماريتين وافدتين إلى المنطقة هما الفرنسية والبريطانية وقوى أخرى أقل شأناً وأضعف خطراً. سعت فرنسا، في بداية هذه الفترة، بجد لمدّ نفوذها إلى الشرق، وعملت بريطانيا بشراسة على حماية الجنين الامبراطوري الذي لم يكن قد اكتمل نموه بعد. ودخلت المنطقة في أتون يغلي بأحداث جسام ويحدث عن تغيير شامل في خريطة السيادة في شبه الجزيرة العربية كانت نتيجته أخيراً لصالح بريطانيا وأمن الهند البريطانية.

سعت بريطانيا لاستقطاب القوى الإقليمية في الجزيرة العربية وتمكنت من بعضها لظروف الاضطرابات في ظهيرها فكانت كالتي تستجير من الرمضاء بالنار. ولم تستطع السلطات البريطانية في الخليج أن تستقطب الدولة السعودية التي ترعرعت في نجد، والتي لم تكن تعرف عن الإنكليز إلاّ أنهم كفار لا يدينون بالإسلام. ولم يُقدّر للدولة السعودية القديمة (الأولى) أن تستمر كثيراً، فبالإضافة إلى العداء الذي لقيته من البريطانيين نجد أنها قد دخلت بصورة صريحة في عداء مع العثمانيين حين امتدت تجاه الحجاز، موئل الحرمين الشريفين، كما اكتسبت عداء فارس حين حاولت تطبيق مبادىء الفكر الوهابي في مزارات الشيعة في العراق العثماني. وإذا لم يكن للسعوديين في دولتهم الأولى من نصير دولي فإن علاقاتهم في مجالهم الإقليمي لم تكن تنم إلاّ عن الصراع. فمنذ أن جهر الشيخ محمد بن عبد الوهاب بدعوته لقي صدى

الدعوة رفضاً من حواضر نجد وأمراء الخوالد وأشراف الحجاز. وثارت الخلافات وغلى مرجلها وألقى بكل المعارضين من أمراء حواضر نجد وقبائلها إلى أطراف نجد، واستقر الكثير من هؤلاء في الزبير على أطراف العراق العثماني، كما لحق الكثير منهم بالقبائل المختلفة على أطراف نجد. وحين تمكن أمراء آل سعود من الإحساء، أرض الخوالد، كان لا بد من انتشارهم في قطر والبحرين والكويت والساحل العماني وعمان لتأمين انتصاراتهم ونشر دعوتهم. وبدأت دوائر الصراع تمتد وتتسع فجواتها كلما زادت في امتدادها. وكان المد السعودي من أبرز الأسباب التي دفعت بآل خليفة إلى النزوح من قطر إلى البحرين والاستقرار فيها. وقاوم أمراء القواسم السعوديين أولاً ثم دخلوا بعدئذٍ في الدعوة الوهابية وأصبحوا أقوى المناصرين للسعوديين في البحر الذي لم يكن للسعوديين فيه كبير باع. وبهذا زادت الفرقة بين أمراء القواسم الذين يسكنون ساحل عمان وبين أمراء عمان. وتأكد استقلال هذا الساحل عن عمان تماماً بينما وقف أمراء أبو ظبي في الغالب في صف أهل عمان، إلّا أنهم كقوة برية أقل نفراً من القوة السعودية وما كانوا يستطيعون توجيه أحداث البر الوجهة التي يريدونها. ولهذا نجد بعض أمرائهم ينتظرون نتائج الأحداث للسير في ركاب المنتصر. وازداد التناقض بين أمراء أبو ظبي من الهناويين الذين تلتقي أصولهم القحطانية مع أغلب سكان عمان، وبين القواسم الغافريين الذين تلتقي أصولهم العدنانية مع أغلب سكان نجد. ولهذا أيضاً نجد أن القواسم قد لعبوا دوراً بارزاً في نشر الفكر الوهابي في قبائل عمان طوال الفترة التي نحن بصددها، بينما قام أمراء أبو ظبي في الغالب بدور بارز في قطع امدادات السعوديين العسكرية لحامياتهم التي وضعوها في عمان وعلى أطرافها. وازداد الصراع بين أمراء الساحل العماني أنفسهم، ولن تجد ـ إلّا فيما ندر ـ عهد أمير ينتهي في هذه المنطقة إلّا بقتل ذلك الأمير أو بعزله. وتستمر دوامة القتل والعزل التي تغذيها الخلافات الإقليمية والمطامح الشخصية حتى تشمل أمراء عمان فتدخل منذ عهد ثويني بن سعيد في تلك الدائرة. يُقتل ثويني بتحريض من السعوديين،

ويُعزل ابنه سالم بثورة من القبائل الهناوية الأباضية، ولا يستمر عهد الإمامة العمانية بعدئذٍ كثيراً. وهكذا وجدت عمان نفسها أخيراً مقسّمة بين مدنها الساحلية الواقعة تحت حماية الأسطول البريطاني وبين عمان الداخلية المتمردة على الساحل وسلاطينه، والمنقسمة في الوقت نفسه على نفسها بين هناوية وغافرية أو قحطانية وعدنانية، وهكذا ضعفت تلك الدولة الضخمة التي وقفت يوماً ما ضد التسلط الأوروبي في الخليج وطردت منه القوى المستعمرة ودحرتها عسكرياً.

ما لبثت الدولة السعودية القديمة أن سقطت تحت وطأة العداء الدولي والإقليمي،وبقيت دعوة الشيخ صامدة حتى بعد أن آلت نجد لمحمد علي باشا. وازداد اهتمام بريطانيا بالمنطقة وتبلورت سياستها في الخليج في هذه الفترة. لم تكن بريطانيا صانعة الأحداث الرئيسة في المنطقة ولكنها كانت تعرف كيف تفيد من الأحداث. وجدت بريطانيا التفكك والتشقق الناجم من أثر الصراع في المنطقة فانسابت منه تياراً هادئاً ما لبث أن وسّع من قنواته حتى أصبح عارماً متدفقاً لا يستطيع أي أمير محلي أن يقف أمامه. ضرب البريطانيون في هذا الوقت أمراء القواسم، وبدأوا في تقييد المنطقة بالاتفاقيات والتعهدات، وأصبح المقيم البريطاني الملك غير المتوج في الخليج العربي يحكم بين أمرائه. صار المقيم ورجال مكتبه وقادة الأسطول الهندي ثم البريطاني في الخليج سَدَنَةَ هذه التعهدات،يحمونها بالترغيب وبالوعيد، ويعملون على التصدي لكل قوة تتطلع إلى وحدة أو توحيد.

أصبحت نجد ـ موئل السعوديين التي لم تكن قبل انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب شيئاً مذكوراً ـ بعد سقوط دولتها القديمة وغزو محمد علي لها، في دائرة الضوء. رأى الساسة البريطانيون أن نجد أصبحت طريقاً ممهداً لباشا مصر لتحقيق طموحاته في العراق العثماني والخليج العربي. وبالطبع فإن محمد علي ما كان يمكن له أن يحقّق طموحاته بالأسطول، فالأسطول البريطاني

وربيبه الهندي هما المسيطران على بحار المنطقة. أصبحت رمال نجد طريق عبور لمحمد علي باشا لتحقيق أهدافه. وكان على بريطانيا أن تواجه هذا الأمر بأساطيلها التي يجب أن يكون لها مرتكزات على اليابسة، ودفعها هذا الأمر لاستعمار عدن، وجثمت بنفوذها على البحرين، وألقت بظلالها على كل المناطق الساحلية الأخرى من شبه الجزيرة العربية. وانهارت سياسة الرمل تحت أقدام محمد علي في مواجهة سياسة البحر المتصل بالبر التي تبنتها بريطانيا. وهكذا انعكس مصير نجد وتفككها على عدن والمنامة ومسقط والشارقة وأبو ظبي وكل المناطق الساحلية ، وخصوصاً تلك التي تقع عند مخانق الخليج العربي والتي بدأت تحس بقبضة براثن الأسد الإنكليزي

ينحسر محمد علي باشا بضغط القوى الأوروبية إلى وادي النيل، ويبقى الصراع على نجد بين الأمير خالد الموالي لمصر وابن ثنيان المسنود ببدو نجد . وتنتهي دائرة الصراع أخيراً في كفة الأمير فيصل بن تركي الذي رأت فيه بريطانيا الرجل المستنير الذي خبر في منفاه في مصر معنى الامبراطورية البريطانية وأدرك قوتها ومنعتها . ويبدو أن الأمير السعودي كان يدرك دوره جيداً فقد أعلى بحصافته رايات السعوديين في نجد وعلى أطرافها حتى مياه الخليج العربي، ولم يحاول أن ينازع البريطانيين أبداً، كما حاول أن يبقي على علاقاته بالدولة العثمانية واهية ولكنْ موصولة الحبال. سعى فيصل لإقامة علاقات متوازنة مع البريطانيين ولكنه طالبهم بحزم أن يتركوا له حرية التعامل مع جيرانه. ولم يكن هذا الأمر ممكناً لأن جيرانه قد غدوا في أكثرهم جزءاً حيوياً من حزام الأمن الهندي. فالبحرين التي تجذب فيصل وأمراء عمان والأمراء الآخرين بسناء لؤلؤها وفيض بريقه، والتي أراد أمراء آل سعود وغيرهم التدخل في سياساتها والتأثير على بعض أمراء الأسرة الحاكمة فيها للعمل لحسابهم، أصبحت ركيزة من ركائز السياسة الهندوبريطانية بالخليج. وما كان يمكن لفيصل - والحالة هذه - بل ولا حتى للعثمانيين أو الفرس أن يتدخلوا في شؤونها. وبتدخل البريطانيين في شؤون البحرين اتسعت الهوة

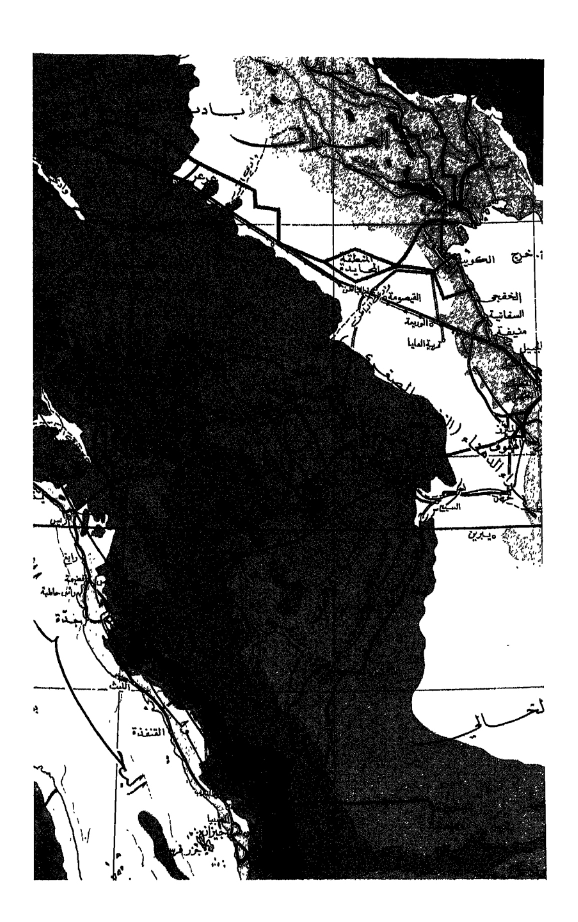
بين أمرائها من آل خليفة وأمراء آل ثاني في قطر وراحت البحرين وجزرها الراقدة على الرف القاري لقطر تحت حكامها من آل خليفة تنفصل عن قطر التي كانت لهم مستقراً ومقاماً في بداية هذه الفترة. وأصبح آل ثاني، الزاهدون في التعامل مع السياسة البريطانية زهدها في التعامل معهم، بالتدريج سادة قطر.

أدرك الأمير فيصل أن بريطانيا لا تريد أن تقيم معه علاقات متوازنة إنما تسعى لإملاء سياستها عليه، ولهذا قطع علاقاته المتصلة الوشائج سابقاً بالمقيم البريطاني. ورغم الجهود الهندوبريطانية التي بذلت لإرضائه والتي ذهبت سدى توفي فيصل مع تفاقم مسألته السياسية مع السلطات الهندوبريطانية التي ما كانت ترضى بتدخل ذلك الأمير السعودي في بعض المناطق العمانية أو جزر البحرين. وحين ورث الأمير عبد الله بن فيصل خلاف أبيه كان البريطانيون يقذفون الدمام بالمدافع ويطالبونه بدفع ديات القتلى من الرعايا البريطانيين الذين سقطوا في الأراضي العمانية. كما ثبت البريطانيون في الوقوف بينه وبين البحرين. وتبين لعبد الله أنه غير قادر على الدخول في حلبة الصراع ضد السياسة البريطانية، وضد أمراء عمان الذين فرضوا سيطرتهم على البريمي، وضد الثائرين على قائده السديري في ساحل عمان، وضد بعض أخوته وأفراد أسرته الذين تمردوا على سلطته في نجد، فآثر الأمير عبد الله التفاوض مع القوى المختلفة واتباع سياسة التهادن. ولم تُجدِ محاولات عبد الله الدبلوماسية شيئاً حيث تحطمت قوى دولته على صخرة الفتن والمشاكل الداخلية والضغوط الخارجية.

كان الخلاف هو الفجوة التي تسربت منها القوة الهندوبريطانية ـ على امتداد الفترة التي تناولناها في هذا البحث ـ إلى هذه المنطقة التي كانت تحت حكم قوى سياسية مختلفة الأهداف والمبادىء متعارضة المصالح والمطامح. وحين لاذ بعض الأمراء بقوة الهند البريطانية يستنصرونها ضد رفاق المصير المشترك، أسرعت الأخيرة تساند وتعاضد وتوسع هوة الخلاف لتحقق مرامي

سياستها. وحين رأى الأمراء المعارضون أن لا قبل لهم معارضة السياسة الهندوبريطانية سعوا إليها بدورهم علّهم يبعدونها عن مناصرة المناوئين لهم من زملائهم. وما يلبث هؤلاء أن يقعوا في الشباك ليصبح المقيم البريطاني الحكم الفرد في شؤون هؤلاء الأمراء جميعاً، فيملي وساطته الواجبة التنفيذ على الجميع. وبهذا خرجت المنطقة ومقدراتها - مع نهاية هذه الفترة - من أيدي أمرائها العرب لتستقر في يد المقيم البريطاني الذي كان لا ينفك يؤكد لهؤلاء الأمراء أن غايته تكمن في كف أيدي بعضهم عن البعض الآخر وإبقاء البحر مفتوحاً للملاحة الدولية والتجارة العالمية. وأدى هذا التأثير الخارجي الحاد إلى قيام إمارات جديدة في المنطقة، كما أدى إلى ذهاب بعض دولها لتعيش في ذمة التاريخ، وبقاء الأخرى ضعيفة مفككة تعيش على هامش التاريخ. وبهذا خضعت المنطقة للهيمنة البريطانية التي استطاعت، خصوصاً بعد عام ١٨٥٨ م، أن ترسي فيه قواعد الأمن الهندي.


الملاحق



ملحق رقم (١)

مراقبة تحركات الأمير فيصل تجاه البحرين في عام ١٨٥١
المصدر 125 / 1/ 15/ R (IOR)

Translation of a letter from Hajee
Jasseem Agent at Bahrein to Lieut.
Col: Kennell's Resident in the Persian
Gulf dated 19th February 1851.
A.C. When you were here I informed
to you that Fysul bin Saood has
arrived at a place called Joodah,
between Katif and Ahsah and that
he had with him a great number of
Bedouins from Nedjd and Ahsah
and of the Amaer Tribe, From what

I hear he is inwardly at enmity with the Sheiks of Bahrein. Those who arrive from Fysul assert he will certainly come to the Gutter Coast. He says the Bahrein Sheiks have squandered their property on my subjects and given them Horses in order to attach them to their own side while they excuse themselves from paying me tribute. Until now send back the Horses to Bahrein and accept the Sheik Ally's speech." ...

I [illegible] the Letter Chief concerned ... one ... messenger from Fysul "he will not be on good terms with the [illegible] until he relinquishes the 4000 Dollars that he annually demands from us, for we are not [illegible] that we

should pay tribute; if he will give up this claim we will be one with him. but if not we will oppose him in Guttur" This is the cause of Fysul's displeasure. The Bedouins with him advise him to send some of them to attack Bahrein, and the Amacer Tribe is urgent with him to take the Island they tell the Ameer that they will easily capture Bahrein if he will only proceed to Guttur. But the Chiefs of Sahsah are anxious for peace, and have written to that effect to Fysul there are however at present many in: cendiaries who are trying to imbroil the Beni Hajir and its Chief Hafee [illegible] from [illegible] the Coast of Guttur with Ally bin Khalifa. The former

has forwarded to have an interview with
the Ameer and the latter has left for
Biddah. Sheik Mahomed ben Khalifa
has interdicted his subjects and others
from communicating with Katif and
Bejer. He has launched a Bugla
and two Batels and prohibited the
vessels of his subject from visiting In-
-dia a second time this season. His
intention is to ascertain the designs
of Feysal and await the receipt of
letters from his brother Ali. When
Ben Saood is at a distance Sheik
Mahomed ben Khaleefa boasts
greatly of his own power, but now
when it is known the Wahabee
Ruler is come to these parts, he
is full of fear and trouble; as he
has no supporters at present for-
-merly he had the Bedouins the

vessels of his subjects and the fighters
of Butter. But when the Bedouins
gleanes
found [illegible] he was at enmity with
[illegible] the [illegible] him, and [illegible]
the strictest attention to [illegible] the
intentions of the Butter tribes are not
known but they are not trustworthy should
an attack be made on Bahrein
they will assist the invaders. Sheik
Mahomed is now so situated that he
has neither men nor money having
squandered all his coin on the Bedouins
At present it is his intention, should
hostilities break out between him
and Ben Saood, and the latter make
preparations for an attack to assemble
all the vessels belonging to his subjects
at their own expense. As yet Ben Saood

s at a place near Kateef. The [illegible]
summoned the Chiefs of the former town
to wait on him. It is reported by
persons from Kateef that a [illegible] had
arrived at that port from the [illegible]
[illegible] with letters
for Ajmed. The contents had not

transpired

59 [illegible]

transpired. The [illegible] is still at
Kateef waiting for Faisal's reply.

True Translation
(Signed) [illegible]
Accountt.

Enclosure No. 3.

Translated Substance of a letter
from Hajee Jassem Agent at
Bahrein to Lieutt. Col: [illegible]
Resident in the Persian Gulf dated
24th and received 27th February
1857.

I before reported that Tyza bin
Saood had arrived at Joodah, from
whence he marched via Mulya to
Khubrah near Ajeer where he has
assembled a large force. When Shaff
the Chief of the Beni Koyir joined
Tyzul the latter mediated a peace
between him and the Ajman and
Monrah Tribes. He has ordered Shaff
to collect all the horses given to the
Howazir Tribe by the Sheikh of Bah-
-rein. It is said that Shaffer re-
quested

115
requested the Ameer's meet that
[illegible] been Khalifa, but he would
not consent, no information has been
as yet received from Sheikh Ali by his
Brother Sheikh Mahomed, who
is waiting for his advice, before he

take any steps in respect to hostilities
with Ben Saood. The Sheikhs have how-
ever received a report that the family
of the late Abdoollah ben Ahmed in
[illegible] had informed Tyeub that as
soon as he had conquered Gutter,
Biddah and Doom &c they would
proceed with their adherents and
locate themselves at those places.
The terms are these; that on their
first arrival at Gutter they are
to pay 10,000 Dollars to Tyeub should
Bahrein be conquered for them by him
they are either to give a fixed Annual
Tribute or otherwise to make over
the income of the present Chiefship
they themselves will enjoy the share.

they

60 M.

they formerly possessed in Bahrein

and Vessels. It is reported that
Syed enquired of them whether
they are under any apprehensions
from the English on the Sea. They
in reply informed him they had no
fears after they had once located
themselves on the Coast of Sudan. Such
was in this way they said, that their
father had been conquered. When
the affair is finished excuses can
be made. Vessels that have arrived
from [illegible] do not mention any of these
particulars. There are two reports re-
-garding the stay of Syed in the co-
-ast. Some say he intends to proceed
to [illegible] and Sultan's messenger
had arrived on the 16th Rubee-ool-
Sanee from Sultan bin Suggur and
Shakhboot with letters intimating
their desire to have an interview

him at the former place he conceals
about proceeding arrival his force to
Oman. The Bedouins report as communi-
cated
"It is said that Mahomed bin Khuleifa is to be
brought back again up. Nejd and instated
to rule Oman as the ruler of Hasseen.
He formed the former forances, this
however does not appear probable but
Sheikh Mahomed believes it to be
true. He has therefore, as a precaution
launched his vessels and has sent
small boats to the Coast of Katter to
collect information. It is reported the Ameer
is much displeased with the Sheikh
on account of Sheikh Mahomed bin
Khuleifa having spoken disparag-
-ingly of him to the Bedouins who
used to visit Bahrein. He offers
apologies for this language telling him

that the family of Khalifa were his
(the Ameer's) foes and begging him
not to furnish them. He replied they
are the offsprings of the devil. I have
sold one for 4000 Dollars after having
already spent 2000 ~~[illegible]~~.
Had they sent me Pirates and ~~[illegible]~~
[illegible] asked forgiveness it
would
would have been granted. But their
attacks upon my reputation have
brought me to these parts. Should
[illegible] have reached there they
should have felt the consequences
before this but will remain here
until favorable opportunity offers.
These particulars have been derived
from our informations. Sheikh Moha-
-mmed is in much anxiety and [illegible]

regarding [illegible]. In his speeches
he is all boasting but in reality he
is under much fear and dread.
He is quite at a loss what steps to take
and has resolved upon nothing with
the exception of launching his vessels.

True translated substance,

(Signed) J. L. Edwards.

[illegible] Esq.

ملحق رقم (٢)

اعتراض الوهابيين لسفارة أمير البحرين إلى القاهرة في ١٨٥٣

المصدر R /15 /1 /138 (IOR)

Office No 37 of 1853 4 (4)
Cons: No 16 of 1853

From,
Captain A. B. Kemball
Resident in the Persian Gulf

To,
A. Malet Esqre.
Chief Secretary to Government.
Bombay

Political Department

Residency in the Persian Gulf
Bushire 11th February 1853

Sir,

The apprehensions raised by the projected expedition of Abdullah bin Fysul from Nedjd reported in my

[illegible] despatch No 57 of 9th Instant have prompted the Chief of Bahrein to address me a letter in the terms of the translation herewith enclosed, who in ascribing to Ameer Fysul the design of possessing himself of a portion of the coast of Guttur he proposes to prevent its execution by force and solicits the co-operation of the British Government for this purpose. From

2/. Enclosure 2 however being Extracts from letters from the British Agent on that island it will appear that the suspicions of Sheikh Mahomed bin Khuleefa have no better foundation than his own fears and that so far as

as the destination of the Wahabee force could be ascertained it was in the direction of Oman

3 The occupation of [illegible] to its well known advantages of po[illegible]

Margin notes: "rendered into English as enclosed"; "[illegible] at the bottom of the deep bight"

ition as a pirate retreat would cer-
tainly be distasteful to the British
Government but as the real object
of the Bahrein Chief would seem
to be to obtain assistance for the
protection of his own territory
situated in the same Quarter I
have by the general tenor of my
reply of which I likewise enclose
a translation for the information
of the Right Honorable the Governor
in Council endeavoured to discourage
an idea of unconditional support
on every occasion of fancied or threat-
ened danger, which might only have
the effect of making him negligent
in his own defence, while it ren-
dered him careless of embroiling
himself with his powerful neigh-
bours

formed by the breasts of Sec[r]y Guttar. The place was destroyed & its inhabitants removed to Abu Dhabi by the Bahrein authorities on the interference of the Resident in 1837—

3/

3 "How far the precautions taken by

by Sheikh Mahomed bin Khuleefa may have been justified by the occasion it is of course very difficult to determine but the interdict placed by him upon commercial intercourse with the Ports of Kuteef and Ojeer constituting as open a mark of hostility towards the Wahabee Ruler I have ventured also without impugning his judgment in a matter of such vital interest to himself to deprecate the hasty adoption of steps calculated to induce the evil which it may be desired to avert

4 " Assuming however the reality of a crisis such as that referred to by the Chief of Bahrein I respectfully solicit the instructions of Government for my guidance if hereafter Ameer Fysul should undertake the conquest of the island either as a principal

from motives of aggrandizement
was the ally of those, the sons of
the late Ex Chief, who are still re-
siding under his protection. The con-
ditions still exist which prompted
the deviation from our usual policy
of non-interference in the Summer
of 1851 and Ameer Fyzul being it is
presumed to the same extent a feu-
datory

datory of the Egypto Turkish Government
I would desire to be informed whether
any future invasion of the island
should in the same manner be re-
sisted by force. I may be permitted
here to remind you that we possess no
right to guide or control the external
relations of Sheikh Mahomed bin
Khaleefa, were indeed the exercise
of such a right either feasible or
desirable. The character of his internal

administration too has rendered him
in a high degree unpopular and
the presence of his rival kinsmen
at Demaum always a real source
of uneasiness and alarm might
at any time favor the success of a
Coup de Main which the numerical
weakness or pre-occupation of the
Persian Gulf Squadron might render it
extremely difficult to anticipate
5 The above considerations would
I believe under other circumstances
have justified my urging the Bah-
rein Chief to concede any reasonable
terms in order to effect an accommoda-
tion

tion with his recusant kinsmen, but
in the present state of excitement
any overtures on his part, as on the
occasion before adverted to, would

probably be misinterpreted and I have accordingly concurred with him in the propriety of postponing to a more favorable season the execution of the instructions furnished by me to Hajee Jassem in September last

[illegible] of 24 Sept

6 Moothuk ben Buttal the person alluded to in the last Para of the 2nd communication from Hajee Jassem was a seceder from Nedjd who had taken refuge at Bahrein and having thence started for Egypt via Koweit was supposed to have been charged with letters from Mahomed ben Khuleefa to Abbas Pasha In reply to an instruction from me to endeavour to ascertain the nature of the alleged communications the British Agent reported that he had reason to believe his previous announcement had been premature and moreover that this in-

dividual having been intercepted en route by the Wahabee Agents
had

had been compelled to retrace his steps and had met with his death by falling overboard while returning to the island from Kowcit. The correspondence now stated to have taken place between the Chief of Bahrein and the Egyptian Viceroy would appear to have been of a purely complimentary character.

I have &ca
(Signed) A. B. Kemball
Resident &ca:

ملحق رقم (٣)

- خطاب من عبدالله بن فيصل نجل الحاكم الوهابي وقائد الحملة السعودية إلى البريمي للمقيم البريطاني في ٢٥ مارس ١٨٥٣.
- ورد المقيم على عبدالله بن فيصل.
- خطاب من الشيخ سلطان بن صقر للمقيم ورد المقيم عليه.

المصدر (IOR) R /15 /1 /138

Translated Substance of a Letter from Abdullah bin Fysul, Son of the Wahabee Ameer & Chief of the Expedition from Nedjd to Bireymee, dated 14th Jumadee-ool-Sanee 69
25th March 1853
Received 29th March 1853.—

I have become cognisant of the Letters addressed by you to the Sheikhs, known as the People of the Coast, & have well understood your object as therein conveyed:—They are now all of them present with me with a view to the arrangement of their affairs —

It is not concealed from you what formerly took place amongst them, & around them, — what molestation was offered by the one to the other — what resulted therefrom in the shape of bloodshed rapine, & other manifest disorders, & my object in assembling them is to effect the adjustment of their respective affairs, & please God, to put a stop to commotion on all sides for they are connected with us, & are our dependents, & — their business resting with us, tis incumbent upon us to settle the matters between them now in the days that we are present amongst them; — for this reason they find themselves unable to come to you for a limited period, during which please God they will be guilty of no disorders — — will they (the above mentioned, commit themselves to any act, nor will any misunderstanding arise amongst them, I being observant over all of them.

True Translation
Signed) A. B. Kemball Resident
in the Persian Gulf

True Copy
A. B. Kemball
Resident Persian Gulf

Translated Substance of a Letter from Captain A. B. Kemball Resident in the Persian Gulf to Abdullah bin Fysul Commanding the Wahabee expedition from Nedgd to Oman dated Basidoo Roads March 31: 1853.

I have been honored by the receipt of your letter under date the 25 Instant, & have fully understood its contents more particularly as the reference to the motives which, you inform me, have led to your assembling around you, the maritime Chiefs

of Oman & which in so far as they are
indicative of your desire to promote
peace & tranquillity amongst them has
afforded me much gratification.
Considering however the intimate
relations subsisting between the parties
in question, & the British Government
I cannot but regret that any influ
ence should be exerted by you to
prevent their holding communica
tion in the usual manner with
its representative. Nor can I view such
a result otherwise than as, in some
measure, opposed to the friendship
& good understanding which for so
long a time has existed between
the Sultan & your Father H. Highness
Syed.

The British Government, it
is well known, does not pretend
to meddle with the internal concerns

of the Arab Tribes, but on the other
hand it can by no means overlook
or relinquish the arrangements to the
maintenance of which during the past
10 years it has devoted so much
care & trouble, & altho' I have every
confidence in your assurances that
they shall be guilty of no irregularity,
still as the orders of my superiors
require that I should meet the Chiefs
in person, I venture to hope that you
will exhibit proof of your friendli-
ness by forwarding the objection
[illegible] & by removing any further im-
pediments to their coming
Continue to favor me &c:-

True Translation

(Signed) A B Kemball

Resident P. G.

(iii)

Translated Substance of a Letter from Shaikh Sultan bin Suggur, Joasmee Chief to Captain A. B. Kemball Resident in the Pers. Gulf. —
dated 14th Jamadi-ool-sanee, by 25th March 1853

Received 29th March 1853.

In an auspicious hour your letter has reached me, & I have understood its contents — especially touching your arrival in these parts with the object of meeting us, I likewise have the same object & desire to meet you — As the communications I have to make to you cannot be comprised in a letter, my wish was to converse with you personally, but God willed that I should proceed at the present time to Sheikh Abdullah bin Imam Fysul at Bozmeh. —

At the period of my arrival negotiations were pending for an accommodation

between him & Sowsynee bin Saeed
bin Sultan, thro' the medium of
Sheikh Saeed bin Tahnoon, & as
this is were not closed, he (Abdul.
lah) opposed my leaving until
the business shown to be conclu.
:ded:

:ded. —

I very much regret my ina:
bility to wait upon you & ex:
:press my views & wishes with
respect to the Treaty & the main.
:tenance of Maritime tranquilli.
:ty, which is so much desired
by all, therefore I have instruc
:ted my brother Sheikh Saleh bin
Suggur, my son Mahomed bin Saleh,
& my friend Mahomed Alee Boo.
:[illegible] to wait upon you, &
have entrusted them with all
communications on my
part. — I have confided a
message to Mahomed bin Alee
which he will deliver unto
you — I hope & trust that you

will hold me excused, inasmuch
as you are aware of my being
at present detained here.

True translation

(Signed) A. B. Kemball
Resident in the Persian Gulf

True Copy
A. F. Osborne Assistant
Resident Persian Gulf.

ملحق رقم (٤)

صورة لتقلب البحرين بين القوى السياسية في الخليج العربي حماية لنفسها من أمير نجد.

المصدر (IOR) R /15 /1 /179

من قحطان بن شاهين بن خليع
الى الشيخ العزيز محمد
[illegible]

الى جناب عمدة الاصحاب المحب الاعز الاكرم صديقنا
من قحطان بن شاهين بن خليع خان بهادر
الشيخ محمد بن خليفة المحترم سلمه الله من الآفة والم وحماه من المخاوف والهم امين الموجب
للتحرير ابلاغك السلام ورحمة الله وبركاته ثم السؤال عن صحة حالك ولا زلت بخير بان
هذه الايام قد وصلت الينا كتب وفيها مضمون اخبارها بانك رغبة منك قد عرضت متعلقات
سلطنة البحرين وما يليها واستقلالك بنشر علم دولة العجم في البحرين وغيرها في ساير
الاعمال مما يكون مفهوم ينتجها الطاعة للدولة العجم وقد نتعجب من هذه لو كان موجب
من حيث انت شيخ البحرين وتوابعها ما على سلوكك وتخوف لذلك اللازم علينا ان نوضح
لك باسم دولة الانكليز بان علاقتك على الدولة الانكليزية الذين حسابنا
نحو ما هو بدون شك وكيف اننا نعرفك انك انت الحاكم للبحرين والصحيح الجواب
الا ان يبذل لنا الاستحسان دولة الانكليز في ذلك هذا ما لزم عرفناك ميلاد
لتعرف علما والسلام ٢٠ [illegible]

N.º 60

من محمد ابن خليفة في ترجمة جواب ما هو مذكور
واصل اليكم كتاب جونس الى صاحبينا
الرفيع محمد بيك وعبد القادر افندي
٢ شوال

جناب الكرام صاحبينا الرفيع محمد بيك وعبد القادر افندي المحترمين سلمهم الله

اما بعد فقد وصل الى ايديكم كتاب الوارد من مستر جونس باليوم الذي فيه صرحنا كاتب انه يحسنا خبر بانك
فاتح بينك ودولة العجم في البحرين ومحمد بن خليفة يا ليتنا من عجب قاعد يميل بحاصل
ودسيسا بينهم ويدركوا انا نبت الدولة العلية العثمانية وهم اعتابر قاعد يغيضها
لان مخصوص الدولة لشرع بخيل وعجم انما لنا عند الدولة العلية المؤيدة ولنا
علاقة بكافة الدول وعنايات فيها مدخلية قبل ذلك لدركنا ما تود العجم طلب فتح
بينك الى وكلائهم واعتناه ما دنه باب الملم نكل دولة لهم دخيل في بلاد عنه دولة
وعرفنا هذا ما يبتغي بيان القاعد فكتابه واصلكم ناصحا واعرضنا ما بيد من ضعفه
يكون لهم واليضم واخيرا نقل بكون مسلم والسلام

المخلص
محمد ابن خليفة شيخ
المسالح
بحاية

ملحق رقم (٥)

خطاب من المقيم البريطاني في الخليج بشأن سياسة شيخ البحرين القاضية بتفريغ ساحل قطر من سكانه.

المصدر: (IOR) R /15 /1 /29

No. 74 of 1863

Bushire 13th April 1863.

To

The Hon. H.L. Anderson

Chief Secretary to Government

Bombay

Sir,

It is agreeable to me to state that the Sheikh of Bahrein, has, without any urging from me, caused the evacuation of a place named Wukra on his main coast, where divers in debt, and disreputable characters, used to collect, and injure Trade, or disturb the peace.

2. The Sheikh has brought the Chief of Wukra to Bahrein in custody.

3. I have expressed my approval of the Bahrein Sheikh's common sense, and peaceful proceeding.

I have &ca.

sd/ L. Pelly Lt. Col.

Actg Pol. Resdt. P.G.

ملحق رقم (٦)

ترسيم حكومة الهند لاستقلال شيخ البحرين وعدم تبعيته لأية قوة أخرى
ويبدو أن هذا تأكيد لاتفاق ٣١ مايو ١٨٦١/ ٢٠ ذي العقدة ١٢٧٧

المصدر (IOR) R /15 /1 /29

No. 274 of 1867.

Fort William the 22nd March 1867.

To

The Secretary to the Govt. of Bombay.

Sir,

Having laid before the Right Hon. the Governor General in Council your letter No.41 dated 7th February last, regarding the position of the Chief of Bahrein, I am directed to observe that, this Ruler would appear from Col: Pelly's Statement (para 4 No.127 d/ 13th December 1866), to be liable to the Wahabee Chief for tribute, on account of certain lands held on the Arabian Coast, and so far as such territory is concerned, it may be presumed that he owes fealty to the Wahabee Government.

2. But, in so far as Bahrein proper comes in question, H.E. in Council concurs in the view expressed in your 2nd paragraph, that the Chief is independent and owes allegiance to no other power.

I have &c.

sd/-W. Muir

Secy. to the Government of India

Sheikh Ali bin Khaleefa received one year's tribute from Katr tribes-How much?	1. 9,000 Krans of which 4,000 Krans were paid to the Shaikh of the Noaim Tribe in Guttur, and 5,000 Krans to the Chief of Bahrein direct.
2. Was this made over to the Wahhabees?	2. No, Shaikh Ali declined to pay pending the Imaum's declaration of good will and friendship which, his harbouring Naser bin Mobarek and late requisition on the Guttur Chief for a force of 50 Horsemen and 50 Camelmen, tended to make doubtful-vide Major Way's report dated 21st August 1869-
3. Sheikh Esau also received one year's tribute- Was this paid to the Wahhabee?	3. No-For similar reasons as above and Shaikh Esau wrote as follows:-. In regard to the 5,000 Krans belonging to the Wahabee Chief, I have not heard anything from the Wahabees. Abdallah bin Faysal is my enemy and does not disguise this. I cannot therefore give him the 5,000 Krans unless he be friendly to me .- vide letter dated 27th Rajab 1287 / 22nd October 1870.
4. How much did the Wahhabee claim from Bahrein and Katr?	4. 4,000 Dollars or 20,000 Krans.
5. Did Chiefs of Bahrein levy in late times or any time levy taxes for their own benefit from Guttur?	5. No tax whatever- The 9,000 Krans were considered as contribution by Guttur towards a total sum (viz:- 20,000 Krans) payable by Bahrein and

Guttur combined in view to securing their frontiers from mobilisation--- molestation by the Naim and Wahabee Bedouins.

In a report to Govt. under date 18th Decr.1866,Col Pelly wrote to Govt. as follows:-

An Envoy from the Bahrein Chief

5.contd-

has called on me. x x x x x x x x
The Envoy states that the Sheikh of Bahrein holds himself absolutely independent of the Wahabee Ruler in so far as the Islands of Bahrein are concerned. But the Chief having occupied certain lands in Guttur on the mainland of Arabia receives revenue from these lands and pays to the Wahabee Ameer the sum of 4,000 Dollars per annum, on condition that the latter prevent his tribes from molesting the people residing on the Guttur lands.

With reference to the above -Govt. of India wrote as follows:-

x x x x x x x x x x x x x x x x

regarding the position of the Chief of Bahrein- I am directed to observe that this Ruler would appear from Col.Pelly's statement to be liable to the Wahabee Chief for tribute on account of certain lands held on the Arabian Coast, and so far as such territory is concerned it may be presumed that he owes fealty to the Wahabee Government. But in so far as Bahrein proper comes in question, H.E.in Council concurs in the opinion expressed in your 2nd Para: that the Chief is independent and owes allegiance to no other power.

ذيول وتعليقات

الفصل الأول:

(١) ابن بشر ، (عثمان بن عبد الله بن بشر النجدي الحنبلي) **عنوان المجد في تاريخ نجد** ، حققه وعلق عليه عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ ، ط ٤ ، دارة الملك عبد العزيز (٢٧) الرياض ١٤٠٢ . ص ٢٧ .

(١ ـ أ) تقول بعض الوثائق البريطانية الراجعة إلى تلك الفترة أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد سافر إلى بغداد حيث بقي فيها لفترة انتقل بعدها إلى دمشق ولبث هناك فترة أخرى في طلب العلم. وتضيف هذه الوثائق بأن الشيخ بدأ التبشير بدعوته في دمشق حيث نادى بآراء اعتبرها البعض خطيرة فبدأوا في مهاجمته دون هوادة. واضطر الشيخ أن يهرب من دمشق إلى الموصل . وفي الموصل عبّر الشيخ عن آرائه صراحة فهاجمه فقهاء الموصل واضطر بعدئذ أن يهرب بدعوته من هناك إلى العيينة .

راجع في هذا الصدد:

(IOR) **G/ 29 / 25. Factory Records,** Extract fiom a letter by Sii Straford Jons to Jaccob Esq. Chairman of the Honrable East India Company. Begdad. 1 st dec. 1798.

(٢) الفاخري (محمد بن عمر الفاخري) . **الأخبار النجدية** . دراسة وتحقيق وتعليق عبدالله بن يوسف الشبل (لجنة التأليف والترجمة والنشر رقم ١٠) جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض، دون تاريخ، ص ٧٥ .

(٣) الإحسائي (محمد بن عبد الله بن عبد المحسن بن عبد القادر الأنصاري الإحسائي) **تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد**، الرياض، ١٣٧٥ ، ص ١٢٣ .

(٤) الفاخري ، مصدر سبق ذكره، ص ٧٦ .

(٥) الاحسائي ، مرجع سبق ذكره، ص ١٢٤ .

(٦) عبد الله محمد بن خميس ، **المعجم الجغرافي للمملكة العربية السعودية** ، معجم اليمامة ، جـ ٢، الرباض ١٣٩٨ ، ص ٢٠١ ـ ٢٠٢ .

(٧) الفاخري ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٠٠ .

(٨) عبد الكريم الغرايبة ، قيام الدولة السعودية العربية ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٧٤، ص ٤٠ - ٤١ .
(٩) عبد الله محمد بن خميس، مرجع سبق ذكره ، جـ ٢، ص ٢٠٢
(١٠) عبد الكريم الغرايبة ، مرجع سبق ذكره، ص ٤١ .
(١١) مؤلف مجهول ، لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب ، تحقيق الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الله آل الشيخ ، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز (٢) الرياض، دون تاريخ ، ص ٣٢ .
(١٢) عبد العزيز عبد الغني ابراهيم ، علاقة ساحل عمان ببريطانيا - دراسة وثائقية ، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز (٢٥) الرياض ١٤٢ ، ص ١٢٤ .
(١٣) ابن بشر، مصدر سبق ذكره ، جـ ١ ، ص ٤٤ - ٤٥ .
(١٤) الفاخري ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٠٩ .
(١٥) ابن بشر، مصدر سبق ذكره، ز، جـ ١ ، ص ٨١ .
(١٦) لمع الشهاب ، ص ٣٨ .
(١٧) الاحسائي ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٢٩ .
(١٨) لمع الشهاب ، ص ٤١ .
(١٩) المصدر السابق ، ص ٤٢ .
(٢٠) الاحسائي ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٢٩ .
(٢١) ابن بشر ، مصدر سبق ذكره ، جـ ١ ، ص ١٢١ .
(٢٢) الفاخري ، مصدر سبق ذكره ، ص ١١٧ .
(٢٣) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، الدولة السعودية الأولى ١٧٤٥ - ١٨١٨ م ١١٥٨ - ١٢٣٣ هـ ، القاهرة ، ١٩٧٦ م، ص ٨٥ .
(٢٤) ابن بشر ، مصدر سبق ذكره ، جـ ١ ، ص ١٣٦ .
(٢٥) الإحسائي ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٣٠ .
(٢٦) المرجع نفسه والصفحة نفسها.
(٢٧) ابن بشر، مصدر سبق ذكره ، جـ ١ ، ص ١٤٠ .
(٢٨) الفاخري ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٢٠ .
(٢٩) الإحسائي، مرجع سبق ذكره ، ص ١٣١ .
(٣٠) الفاخري ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٢١ .
(٣١) ابن بشر ، مصدر سبق ذكره ، جـ ١ ، ص ١٥٩ .
(٣٢) المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٥٩ - ١٦١ .
(٣٣) الإحسائي ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٣١ .
(٣٤) ابن بشر ، مصدر سبق ذكره ، جـ ١ ، ص ١٦٧ - ١٦٨ .

(٣٥) المصدر السابق ، ١٧٠ .
(٣٦) عبد الكريم الغرايبة ، مرجع سبق ذكره ، ص ٧٤ .
(٣٧) ابن بشر، مصدر سبق ذكره، جـ ١ ، ص ١٧٠ .
(٣٨) المصدر السابق ، ص ١٧٩ .
(٣٩) الفاخري ، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٥ .
(٤٠) ابن بشر ، مصدر سبق ذكره، جـ ١ ، ص ٢٠٢ .
(٤١) الاحسائي ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٣٣ .
(٤٢) ابن بشر، مصدر سبق ذكره ، جـ١ ، ص ٢٠٥ .
(٤٣) المصدر السابق، ص ٢٠٦ .
(٤٤) الأحسائي ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٣٥ .
(٤٥) الفاخري، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٧ .
(٤٦) ابن بشر، مصدر سبق ذكره ، جـ ١ ، ص ٢٣٧ .
(٤٧) المصدر السابق، ص ٢١٩ .
(٤٨) المصدر السابق، ص ٢٥١ .
(٤٨ ـ أ) خرجت حملة علي باشا من بغداد في ٢٢ ربيع آخر ١٢١٣ هـ إلى البصرة والزبير فالروضتين فالجهرة . واستأجر شيخ الكويت مراكب لنقل المعدات الثقيلة إلى العقير . وبالرغم من الرمي بالمدافع ثبتت أمامهم القلعة وتسبب نقص الامدادات والدخائر في أن يطلب الجنود إلى رؤسائهم العودة . كانت الجمال قد هزلت ونفق منها عدد كبير ولهذا اضطر القائد أن يتلف الكثير من أسلحته أو يدفنها في الرمال . فتقهقرت الحملة إلى شباك وهنالك صارعت العوامل الجوية القاسية من أمطار ورياح . وفي هذه الأثناء وصلت جماعات عبد العزيز التي يقودها إبنه سعود إلى مخبات. وتقدم جيش الباشا إلى ثـاج ودارت مناوشات أرسل بعدها سعود يطلب الصلح .

رسول الكركوكلي (نقله إلى العربية موسى كاظم نورس) دولة الوزراء. ص ٢٠٥ ـ ٢٠٧ .

(٤٩) **(IOR) L / PAS / 20 / 240,** Precis of Najd affairs from 1804 to 1904, by saldanha, J. A., 5 th october 1904. p. 3.

(٤٩ ـ أ) أرسل سعود إلى علي كيخيا الخطاب التالي :«من سعود عبد العزيز إلى علي . أما بعد عرفنا سبب مجيئكم إلى الإحساء وعلى أي منوال جئتم . . . (والاحساء) ليست داخلة في حكم الروم وبعيدة عنكم ولم يحصل منها شيء يسوي تعبكم ، ولو أن جميع الاحساء ونواحيها يؤدي لكم دراهماً ما يوازي مصروفاتكم التي عملتموها في هذه السفرة ، ولا يوجد بيننا وبينكم من المضاغنة إلا ثويني فهو كان المعتدي ولقي جزاءه والان مأمولنا المصالحة وهي خير لنا ولكم والصلح سيد الأحكام» .

تلقى الباشا عرض الصلح وكتب إلى سعود :

«من علي باشا إلى سعود بن عبد العزيز. أمابعد فقد أتانا كتابك وكل ما ذكرت من أمر المصالحة صار معلوماً لدينا ولكنه على شروط نذكرها لك وإن أنت قبلتها وعملت بها فحسن وإلّا فما نحن بعاجزين عنك ولا عن طوائعك بعون الله وبقدرته . وعندنا الخبر الصحيح إذا اشتدت الهيجاء وانشقت العصا فحسبك المضحاك والسيف المهند حيث لنا مقدار أربعة أشهر في بلادك نجوب الفلا ونستأسر أهل القرى . . أما الشرط الأول فهو أن الإحساء لا تقربها بعد ذلك والثاني الأطواب التي أخذت من ثويني أنك ترجعها والشرط الثالث تعطينا جميع ما صرفنا في هذا السفر والرابع ألّا تتعرض للحاج التي تجيء إليك عن طرق العراق ولا تتعرض لأبناء السبيل وتكف غـزوك عن العراق وتكون منّا كالأول. . .»

ورد سعود رداً دبلوماسياً جاء فيه : «أما عن الشروط المذكورة فأولاً الاحساء هي قرية بعيدة عن دياركم وخارجة عن حكم الروم وما تجازي التعب ولا فيها شيء يستوجب الشقاق بيننا فهذه حالها».

للنصوص الكاملة لهذه الخطابات راجع : رسول الكركوكلي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٠٨ - ٢٠٩ .

(٥٠) لوريمر ج. ج. ، دليل الخليج ، ١٤ جزء ، قسم الترجمة بمكتب أمير دولة قطر ، القسم التاريخي ، ج ٣ ، ص ١٥٨٢ .

(٥١) (IOR) L / PAS / 20 / 240, Precis of Najd Affairs.., p 3.

(٥٢) ابن غنام ، حسين بن غنام ، روضة الأفكار والافهام لمرتاد حال الإمام تعداد غزوات ذوي الإسلام المسمى بتاريخ نجد ، تحقيق ناصر الدين الأسد ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٦١ ، ص ١٨٠ .

(٥٣) لمع الشهاب، ص ٧٩ .

(٥٤) ابن بشر ، مصدر سبق ذكره، جـ ١، ص ٢٠٩ .

(٥٥) المصدر السابق ، ص ٢١١ .

(٥٦) ابن غنام ، مصدر سبق ذكره ، جـ ٢، ص ١٨٠ .

(٥٦ ـ أ) ترجع بعض الوثائق تواجد العتوب في البحرين إلى عام ١١١٢ هـ / ١٧٠٠ م . راجع : علي عبد الرحمن أبا حسين ـ من تاريخ العتوب خلال المخطوطات والوثائق ، بحث غير منشور ، مركز الوثائق التاريخية ، البحرين .

(٥٧) لمع الشهاب ، ص ٧٩ .

(٥٧ ـ أ) تقول الوثائق البريطانية بأن الفرس قد احتلوا البصرة في ١١٩٠ هـ/ ١٧٧٦ م. وهجر الأثرياء البصرة إلى الزبارة فتحسّن اقتصادها وقوي موقف آل خليفة حكام الزبارة . وكان آل خليفة قد وفـدوا الزبارة من الكويت وذلك للمشاركة في الأعمال التجارية المزدهرة بتجارة لؤلؤ البحرين التي كانت تحت حكم فارس . وقد حاول الشيخ ناصر الحاكم الفارسي على بوشهر والبحرين أن يطرد آل خليفة من الزبارة في ١١٩١ هـ / ١٧٧٧ م إلا أن محاولته قد باءت بالفشل . وعندما

قتل كريم خان الزندي لفت الاضطرابات فارس وامتدت إلى البحرين . وقامت نزاعات عنيفة بين السنيين بزعامة أحمد بن ماجد البلادي وبين الشيعة . وقد أرسل البلادي إلى الزبارة ليستعين بآل خليفة . جاء آل خليفة إلى البحرين وعملوا على ضبط الأمور دون انحياز لفريق من الفـريقين قـام الفرس بغارة غير ناجحة لحصار الزبارة بمساعدة شيخ رأس الخيمة وقد ساعد آل خليفة أسطول أرسله عتوب الكويت . وانتهى الأمر فـي ٢٨ يوليو ١٧٨٣ م حين استقر محمد بن خليفة في البحرين وضمها نهائياً إلى إمارته .

راجع :

(IOR) **L / PAS/ 241, precis of Bahrain Affairs by Saldanha,** p. 2.

راجع كذلك :

جمال زكريا قاسم ، دراسة لتاريخ الامارات العربية ١٩٤٠ ـ ١٩١٤ ، ط ٢، الكويت ١٩٧٤ ، ص ٤١ .

(٥٨) النبهاني (محمد خليفة محمد بن موسى النبهاني) **التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية** ، ط ٢ ، ١ ، القاهرة ١٣٤٢ ، ص ١٣٠ .

(٥٩) ابن بشـر ، **مصدر سبق ذكره** ، جـ ١ ، ص ١٠٦ .

(٦٠) ابن غنام ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ٢٠٥ .

(٦١) النبهاني ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ١٣٢ ـ ١٣٣ .

٦٢) لوريمر، ج. ج. ، **مصدر سبق ذكره** ، القسم التاريخي ، جـ٣، ص ١٠١٢ .

(٦٣) النبهاني ، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٣٤ ـ ١٣٥ .

(٦٤) لوريمر، ج. ج. ، مرجع سبق ذكره، القسم التاريخي ، جـ٣، ص ١١٩٩ .

(٦٥) عن رحمة بن جابر راجع :

«Sketch of the Proceedings of Rahama bin Jabir.»

Selections From the Records of Bombay, XXIV.

جمال زكريا قاسم، «رحمة بن جابر الجلاهمة» ، **حولية كلية الآداب ، جامعة عين شمس** ، ١٩٦٤

(٦٦) النبهاني ، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٦٤ .

(٦٧) (IOR) **L / P & S/ 10 / 1045,** From Issue No 690 of August 29, 1932.

(٦٨) لوريمر، ج. ج. ، **مصدر سبق ذكره** ، القسم التاريخي ، جـ٣، ص ١٢٠٢ .

(٦٩) **المرجع نفسه والصفحة نفسها** .

(٧٠) عبد العزيز عبد الغني ابراهيم ، مرجع سبق ذكره، ص ١٣٠ ـ ١٣٢ .

(٧١) **لمع الشهاب**، ص ٧٩ .

(٧٢) **المرجع السابق** ، ص ٨١ .

(٧٣) «Historical sketch of the province of Oman»., **SRB,XXIV,** P. 44.

(٧٤) ابن بشر ، مصدر سبق ذكره، جـ ١، ص ٣١٩ .
(٧٥) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، مرجع سبق ذكره، ص ١٠٧ .
(٧٦) «Muscat: Chronological Table of Events», in **S.R.B., XXIV**, P. 123.
(٧٧) «Rise and progress of the Govt of Muscat..» in ibid, P. 193
(٧٨) لوريمر ، ج. ج. ، مصدر سبق ذكره، القسم التاريخي ،جـ٣،ص١٥٨٠ .
(٧٩) «Muscat: Chronological Table of Events», in **S. R. B, XXIV. P. 123.**
(٨٠) **Ibid.**, P. 124
(٨١) لوريمر ، ج. ج. ، مرجع سبق ذكره ، القسم التاريخي ،جـ ٣ ، ص ١٢٧٦ .
(٨٢) المصدر السابق ، ص ١٦٠٤ .
(٨٣) ابن بشر، مصدر سبق ذكره ، جـ ١، ص ٢٩٨ .
(٨٤) «Muscat: Chronological Table of Events» in **S.R.B. XXIV**, P. 124.
(٨٥) ابن بشر ، مرجع سبق ذكره ، جـ ١، ص ٢٩٨ .
(٨٦) المرجع السابق ، ص ٣٠٦ .
(٨٧) لوريمر ، ج. ج. ، مصدرسبق ذكره، القسم التاريخي، جـ٣، ص ١٦٠٣ .
(٨٨) «Historical sketch of Nuscat» in **S. R. B., XXIV**, P. 179.
(٨٩) «Province of Oman.» in **Ibid.** P. 43 – 44.
(٩٠) ابن بشر ، مرجع سبق ذكره ، جـ ١، ص ٣٠٦ .
(٩١) المصدر السابق، ص ٣١٧ - ٣١٨ .
(٩٢) لوريمر ، ج. ج ، مصدر سبق ذكره ، القسم التاريخي ، جـ٣، ص ١٦٠٥ .
(٩٣) المصدر السابق ، ص ١٢٧٧ .

الفصل الثاني:

(١) كان هذا البريد ينطلق من البصرة التي بدأت الشركة البريطانية الاتجار معها منذ عام ١١٣٦ هـ / ١٧٢٣ م . وأصبح للشركة في البصرة منذ عام ١١٧٦ هـ / ١٧٦٢ م مستودع تابع لوكالة جميرون إلا أنه لم يكن دائم النشاط والاستمرار . احتفظ البريطانيون بمستودع البصرة وطوّروه منذ ١١٧٨ هـ / ١٧٦٤ م وذلك لتأمين اتصال بريدي سريع بين لندن وبومباي . وكان ذلك نتيجة لما أملته حرب السنوات السبع والمجابهة الفرنسية البريطانية في الشرق . جابه بريد الشركة من البصرة الصعوبات منذ ١١٩٠ هـ / ١٧٧٦ م. للتفاصيل راجع :
عبد العزيز عبد الغني ابراهيم ، حكومة الهند البريطانية والادارة في الخليج العربي ، دراسة وثائقية ، دار المريخ ، الرياض ، ١٤٠١هـ ،ص ٧٨ - ٩٢ .
(١ - أ) «Rise and Progress of the Arab Tribes of the Persian Gulf» **In S. R. B.**, p. 192.

(٢) جاكلين برين ، اكتشاف جزيرة العرب ، خمسة قرون من المغامرة والعلم، نقله إلى العربية قدري قلعجي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، دون تاريخ ، ص ١٨٣ .

(٣) (IOR) G / 29 / 25, **Factory Records,** Extracts from a letter by Sir Straford Jones to Jaccob Boanqu Esq., Chairman of the Honorable East India Company. dated Begdad, 1st dec. 1798

(٤) **Loc. cit.**

(٥) **Loc. cit.**

(٦) عبد العزيز عبد الغني ابراهيم ، مصدر سبق ذكره، ص ٨٧ - ٩٢.

(٧) Aitchison, C.U. (ed.) **A Collection of Treaties Engagements and Sands Relating to India and Neighbouring Countries,** vol XI, pp 54 – 58.

(٨) جاكلين برين ، مرجع سبق ذكره ،ص ١٨٣ .

(٩) صلاح العقاد ، التيارات السياسية في الخليج العربي ، مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة ، ١٩٦٥ .

(١٠) عبد العزيز عبد الغني ابراهيم ، بريطانيا وامارات الساحل العماني - دراسة في العلاقات التعهدية ، منشورات مركز دراسات الخليج العربي ، جامعة البصرة ١٩٧٨ م .

(١١) **History of the Indian Navy** 1613 – 1833, vol I, London, 1877., p. 310.

(١٢) راجع التفاصيل في :

«Rise and Progress of the Arab Tribes of the Persian Gulf» in **S.R.B. XXIV**, P. 213

(١٣) **Ibid,** p. 214

(١٤) «Historical Sketch of the Joasmee tribes of Arabs.» in **S.R.B. XXIV**, p. 352

(١٥) عبد العزيز عبد الغني ابراهيم ، بريطانيا وامارات الساحل العماني . . . ص ١٣٩ - ١٤٤ .

(١٦) Kelly, J. B. **Britain and the Persian Gulf 1795 – 1880**, Oxford Clarendon Press, 1968. p. 128.

(١٧) المصدر نفسه.

(١٨) «Historical Sketch of the UTLOBI tribe of Arabs» in **S.R.B. XXIV** p. 366.

(١٩) (IOR) **L / P & S/ 6/ 169,** From Seton to Duncan 23/ 5/ 1805.

(٢٠) «Historical Sketch of the Joasmee Tribe of Arabs» in **S. R.B. XXIV**, P 352.

(٢١) عبد العزيز عبد الغني ابراهيم ، بريطانيا وامارات الساحل العماني. . ص ١٤٤ - ١٤٦ .

(٢١ - أ) خلف سلطان بن صقر أباه صقر بن راشد على مشيخة القواسم في ١٢١٨ هـ . وكان أبوه بدوره خليفة لأبيه راشد بن مطر المتوفى في ١١٩١ هـ / ١٧٧٧ م راجع :

«Memorand um on the Resources Localities and Relation of the Tribes inhabiting the Arabian

shores of the Persian Gulf». In **S.R.B. XXIV,** p. 17.

وكان لهذا التاريخ الطويل في الرئاسة أثره حين أراد الوالي السعودي في البريمي ، مطلق المطيري ، تنظيم الإدارة في منطقة الساحل العماني : راجع :

Historical Sketch of The **Whabbee Tribe of Arabs»** in S.R.B. XXIV, p. 430.

(٢٢) راجع نصوص الاتفاق في :

Aitchison C. U. (ed.) **of. cit.,** vol XI, pp. 72 – 73.

(٢٣) « Historical Sketch of the Wahabbee Tribe of Arabs» in **S.R.B. XXIV.** p. 431.

(٢٤) **Loc. cit.**

(٢٥) عبد العزيز عبد الغني ابراهيم ، بريطانيا وامارات الساحل العماني.. ص ١٤٦ . يورد الشيخ منصور معلومات مشوشة تفيد بأن السعوديين قد أقالوا سلطان بن صقر في ١٨٠٩ م بعد الحملة البريطانية على رأس الخيمة ، وذلك لأنه وافق على مصالحة السيد سعيد حاكم عمان والبريطانيين ودخل بذلك في دائرة الغضب السعودي .

راجع :

(٢٦) «Rise and Progress of the Arab Tribes of the Persian Gulf» in **S. R. B. XXIV,** p. 193.

(٢٧) Shaik Mansour, History of Said Seyd Sultan of Muscat, London 1819, p. 54.

Cf. Howley, Donald, **The Trucial States,** London, 1970, p. 101.

Cf. Wilson (Sir Arnold) **The Persian Gulf,** 3rd-ed London, 1959, P. 78.

(٢٨) لوريمر، ج. ج.، دليل الخليج، القسم التاريخي، جـ٣، ص ١٦٠٣ .

(٢٩) Miles, S. B., **The Countries and Tribes of the Persian Gulf,** (2 nd. ed) 2 vols in one . London. 1965, p. 313.

(٣٠) Kelly, J. B. **op. cit p.** p. 113.

(٣١) «**Historical** Sketch of The Whabbee Tribe of **Arabs»** in **S.R.B. XXIV,** p. 432.

(٣٢) Miles, S. B., **op. cit,** p. 315.

(٣٣) «Historical Sketch of the Muscat» in **S.R.B.,** XXIV, p. 178.

(٣٤) **Loc. cit.**

(٣٥) **Ibid,** p. 179.

(٣٦) لمعلومات أوفى راجع :

عبد العزيز عبد الغني ابراهيم ، بريطانيا وامارات الساحل ... ص ١٥٩ وما بعدها .

(٣٧) «Historical Sketch of Muscat..» In **S.R.B. XXIV,** p. 180

(٣٨) «Historical Sketch of the Wahabee..» In **Ibid,** p. 433.

(٣٩) السالمي ، نور الدين عبد الله بن حميد السالمي ، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ، جـ ٢ ، القاهرة ، ١٩٦١ ، ص ١٩٨ .

(٤٠) «Historical, Sketch of the Joasmee Tribe of The Arabs» in S. R. B. XXIV, p. 315.

(٤١) Miles, S.B., op. cit, p. 317.

(٤٢) Shaik Mansour, op. cit, p. 53.

(٤٣) «Historical Sketch of the Joasmee..» in S. R. B. XXIV, p. 316.

(٤٤) Ibid., p. 317.

(٤٥) لوريمر، ج. ج.، مصدر سبق ذكره ، القسم التاريخي، جـ٣، ص ١٦٠٦.

(٤٦) Miles S. B., op. cit. pp. 317 -318.

(٤٧) «Historical Sketch of the Joasmee».. in S.R.B., XXIV, p. 319

(٤٨) عن رحمة بن جابر الجلاهمة راجع :

«Sketch of the Proceding of Ruhma bin Jabir», In ibid, pp. 522 – 25.

(٤٩) (IOR) Bombay Political Proceedings, Range 383, vol. 14. cons. of 17 feb., 1810.

« HistoricalSketch of the UttobiTribe»: In S.R.B. XXIV p. 376.

(٤٩ ـ أ) حضر الشيخ منصور معركة شيناص واشترك في بعض عملياتها وقدم لها وصفاً تفصيلياً . يقول هذا الكاتب إنه في الصباح التالي للمعركة بينما كان البريطانيون على وشك الاقلاع ظهر على الساحل رجل يرفع خرقة بيضاء على رمح يشير بها طالباً الاجتماع به . أرسل القائد الانكليزي مركباً إلى الساحل لنقل المترجم. ووجد المترجم أن الرجل الذي يرفع الراية هو مطلق المطيري الذي عبر عن رغبته في الوصول إلى اتفاق على النحو التالي :

أولاً : أن لا يعتدي الوهابيون أو أتباعهم على السفن والرعايا البريطانيين مستقبلاً .

ثانياً : أن لا تقدم الحكومة البريطانية مستقبلاً للسيد سعيد المساعدة في الحرب التي شنها بعد أن خلع الولاء ورفض أداء الزكاة المنصوص عليها . ويسترسل الشيخ منصور ليقول إن القائد البريطاني قد أقر السلم على هذين الشرطين . غير أننا لا نعتقد في ذلك حيث لا تثبت وثائق الحملة ولا حكومة بومباي هذا الأمر، ولم تشر إليه إطلاقاً. وبالطبع لم يكن القائد البريطاني مخولاً بإجراء مفاوضات ولا إقامة صلح.

راجع :

Vicenzo Maurizi, op. cit, pp. 68 – 69.

(٥٠) «Historical Sketch of the Uttobi Tribe».. in S.R.B, XXIV, p. 376.

(٥١) Aitchison, C. U., (ed), op. cit. p. 238.

(٥٢) op. cit, pp. 53 - 4.

(٥٣) «Historical Sketch of the Wahabees».. in S.R.B. XXIV, p 433.

(٥٤) ibid. p. 434.

(٥٥) «Historical Sketch of Muscat» in Ibid., p. 182.

(٥٦) (IOR) Pengal Pol. Praceedings, Range 119, vol 8., Received Bushire 15 July 1810.

(٥٧) (IOR) **Same Series and Vol.**, Hanky Smith to Saud.

(٥٨) «Historical sketch of the Wahabee....» in **S.R.B, XXIV, P.** 433.

(٥٩) جمال زكريا قاسم - دولة بـو سعيد في عمان وشرق افريقيا ١٧٤١ - ١٨٦١ ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص ١٥٠ .

(٦٠) (IOR) **Bombay Political letters,** vol. 5, 22 Aug. 1815.

(٦١) **«Historical Sketch of the Wahabee..» in S.R.B, XXIV,** p. 435.

(٦٢) **Loc. cit.**

(٦٣) Shaik Mansour, **op, cit** p. 89.

(٦٤) **«Historical Sketch of the Wahabee..» in S.R.B., XXIV,** p. 435

(٦٥) Historical Sketch of Muscat, in **Ibid.,** p. 183.

(٦٦) **Loc. cit.**

(٦٧) MilesS.B., **op. cit,** pp. 319 - 20.

(٦٨) «Historical Sketch of Muscat», in **S.R.B, XXIV,** p. 183.

(٦٨ - أ) قتل مطلق المطيري في نوفمبر ١٨١٣ م بعد أن تمكن من أن يثأر لهزيمة السعوديين أمام الجيوش الفارسية العمانية المشتركة. راجع :

Vincenzo Maurizi (Shaik Mansour), **op. cit,** pp. 87 - 88.

(٦٩) Historical Sketch of Muscat, in **S.R.B. XXIV,** p. 184.

(٧٠) (IOR) **S/20/C. 240** Precis of Najd Affairs, p. 5.

(٧١) **«Historical Sketch of the Uttobi..» in S.R.B. XXIV,** p. 371.

(٧٢) «Historical Sketch of the Joasmee» in **Ibid** p. 328.

(٧٣) (IOR) **Persian Gulf corrspondance.**

(٧٤) «Historical Sketch of the Joasmee».. in **S.R.B. XXIV,** p. 329

(٧٥) **Loc. cit.**

(٧٦) Kelly, J.B., **op. cit,** p. 134.

(٧٧) **Ibid,** p. 136.

(٧٨) «Historical Sketch of the Joasmee» in **S.R.B, XXIV,** p. 309.

(٧٩) عبد العزيز عبد الغني ابراهيم ، بريطانيا وامارات الساحل . . . ، ص ١٦٩ .

(٨٠) Kelly, J. B., **op. cit,** p. 133.

(٨١) عبد العزيز عبد الغني ابراهيم ، بريطانيا وامارات الساحل. . . ، ص ١٧٠ .

(٨٢) «Historical Sketch of the Joasmee..» in **S.R.B., XXIV, P.** 321.

(٨٣) (IOR) **Bombay Secret Proceeding** vol I, received 28 feb. 1814.

(٨٤) (IOR) **Same Series and vol.,** Received Bushire 12 feb., 1814.

الفصل الثالث:

(١) Kelly, J. B. , **Britain and the Persian Gulf 1795 — 1880**, p p. 140 — 41.

(٢) عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، **علاقة ساحل عمان ببريطانيا** «دراسة وثائقية»، ص ١٧٦.

(٣) راجع تقرير تايلور في:

Extracts from brief notes containing historical and other Information connected with the Province of Oman Muscat.... and other ports and places in the Persian Gulf. **Selections fron the Records of Bombay, XXIV**, pp. 1 – 40.

(٤) G. Forester Sadlier, **Diary of a Jonrney Across Arabia**, Oleander Reprint, 1977. p p. 139 — 40.

(٥) **Loc. cit.**

(٦) **Loc. cit.**

(٧) **Ibid** p p. 12 – 13.

(٨) عبد العزيز عبد الغني (ترجمة واعداد)، **رحلة جورج فورستر سادلير من القطيف إلى ينبع ١٨١٩ - ١٨٢٠ م** عمل غير منشور، مركز البحوث، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. الإسلامية.

(٩) (IOR) **L/P & S /18 /B.9,** Memo. on the separate claims of Turkey and Persia to the Sovengnity over the island of Bahrain

(١٠) Kelly, J. B. , **op. eit,** p. 143,

(١١) عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، (ترجمة واعداد) **رحلة جورج فورستر**، ص ٣٤.

(١٢) المرجع السابق، ص ٣٤ - ٣٥.

(١٣) (IOR) **L/P&S/20/B.9,**Memo on the separate claims.

(١٤) ابن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، جـ ١، ص ٤٤١.

(١٥) الفاخري، **الأخبار النجدية**، ص ١٥٥.

(١٦) ابن بشر، مصدر سبق ذكره، جـ ١، ص ٤٤٩.

(١٧) المصدر السابق، جـ ٢، ص ٣٤.

(١٨) عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، **علاقة ساحل عمان ببريطانيا**..، ص ١٦٠.

(١٩) «Historical Sketch of the Wahabee tribe of Arabs». **S.R.B. XXIV,** ·p. 437.

(٢٠) النبهاني (محمد خليفة بن محمد بن موسى) **التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية**، ص ٢، القاهرة ١٣٤٢ هـ، ص ١٣٧ - ١٥١.

(٢١) ابن بشر، مصدر سبق ذكره، ص ٧٢.

(٢٢) «Historical Sketch of the Wahabee» in **S.R.B. XXIV**, p. 438.

(٢٣) (I O R) **L/P& S/20/247** Precis of Bahrein Affairs 1824 - 1904 by Saldana, J. A. p 8 Nov. 1904. p. 2.

(٢٤) «Historical Sketch of the Uttobi tribes of Arabs» in **S.R. B,XXIV**, p. 381.

(٢٥) (I O R) **L/P& S /20/B. 9** Memo, on the separate **claims.**

(٢٦) لوريمر، ج. ج.. دليل الخليج، القسم التاريخي، جـ٣، ص ١٦٣٢.

(٢٧) «Historical **Sketch** of the Uttobi» in **S. R. B. XXIV**, p.381.

(٢٨) «Historical Sketch of the Wahabee», in **Ibid**, p. 425.

(٢٩) **Ibid**, p. 429.

(٣٠) «Historical Sketch of the **Uttobi»** in **Ibid** p. 383.

(٣١) «Historical Sketch of the Wahabee» in **Ibid**, p. 447.

(٣٢) الفاخري، مصدر سبق ذكره، ص ١٧١.

(٣٣) ابن بشر، مصدر سبق ذكره، جـ٢، ص ١٠١.

(٣٤) لوريمر، ج. ج. مرجع سبق ذكره، القسم التاريخي، جـ٣، ص ١٦٣٥.

(٣٥) «Historical **Sketch** of the Wahabee» in **S.R.B.XXIV**, p. 442.

(٣٦) «Historical Sketch of the Uttobi» in **Ibid**, p. 383.

(٣٧) لوريمر، مصدر سبق ذكره، القسم التاريخي، جـ٣، ص ١٦٣٧.

(٣٨) «Historical Sketch of the Uttobi».., in **S.R.B. XXIV**, p. 384.

(٣٩) «Historical Sketch of the Wahabee..» **in Ibid**, p. 443.

(٤٠) **Ibid**, p. 429.

(٤١) **Ibid, p.** 443.

(٤٢) (I O R) **L/P&** S/20/247. Poecis of Bahrein Affairs 1858 — 1904. p. 2.

(٤٣) ابن بشر، مصدر سبق ذكره، جـ٢، ص ١٣٨.

(٤٤) لوريمر، ج، ج، ،مصدر سبق ذكره، القسم التاريخي، جـ٣، ص ١٦٣٧.

(٤٥) «Historical Sketch of the Joasmee Tribe of Arabs». in **S R B, XXIV**, p. 333.

(٤٦) **Loc. cit.**

(٤٧) لوريمر، ج. ج.، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٣٣.

(٤٨) «Historical Sketch of the Joasmee» .in **S.R.B. XXIV**, p. 334

(٤٩) **Loc. cit.**

(٥٠) «Historical Sketch of the Whabee» in **Ibid**, p. 429.

(٥١) لوريمر ج. ج.، مصدر سبق ذكره، القسم التاريخي جـ٣، ص ١٦٣٥.

(٥٢) (L O R) L /P& S/20 /C240. Precis of Nejed Affairs 1804— 1904, p p. 10.

(٥٣) عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، علاقة ساحل عمان ببريطانيا. .، ص ٢٦١.

(٥٤) «Historical Sketch of the Whabee» ,in S.R.B. XXIV, p 439.

(٥٥) Loc, cit.

(٥٦) «Historical Sketch of the Joasmee» in S R B, XXIV, p. 335.

(٥٧) Ibid p. 336.

(٥٨) «Historical Sketch of Muscat», in Ibid, p. 206.

(٥٩) Ibid, p. 207

(٦٠) (IOR) L/p & S/C. 240, - Precis of Nejed Affairs,,, p. 11

(٦١) Ibid, p.12.

(٦٢) Loc. cit.

(٦٣) «Historical Sketch of Nuscat» in S.R.B. XXIV, p. 207.

(٦٤) «Historical Sketch of the Whabee» in Ibid, p. 442.

(٦٥) «Historical Sketch of Muscat», in Ibid, p. 208.

(٦٦) «Chronological table of Events Muscat», in Ibid p. 128.

(٦٧) «Historical Sketch of the Wahabee» in Ibid p. 443.

(٦٨) Ibid, p. 444

(٦٩) Loc. cit.

(٧٠) ابن بشر، مصدر سبق ذكره، جـ ٢، ص ١٦٩ ـ ١٧١.

(٧١) «Historical Sketch of the Wahabee in S.R.B. XXIV, p. 445.

(٧٢) ابن بشر، مصدر سبق ذكره،جـ ٢،ص ١٧٣.

(٧٣) المصدر السابق، ص ١٧٤.

(٧٤) المصدر السابق، ص ١٧٤ ـ ١٧٥.

(٧٥) عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، علاقة ساحل عمان ببريطانيا. .، ص ٢٧٨.

(٧٦) L/P& S/20/240, Precis of Nejed Affairs, p. 23.

(٧٧) عن السياسة البريطانية في الخليج تجاه محمد علي باشا راجع :

Kely, J. B, op. cit, p p. 290 — 342.

(٧٨) عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، علاقة ساحل عمان ببريطانيا ص ٤٢٢.

(٧٩) (IOR) L/P&'S/20/240, precis of Nejed Affairs., p. 17.

(٨٠) دار الوثائق القومية، القاهرة، محفظة (٢٦٧) عابدين (١) أصلية (٦) حمراء، ١٧ محرم

٢/١٢٢٥ أبريل ١٨٣٩، رسالة من خورشيد باشا تفيد تعيينه لمحمد رفعت للإشراف على منطقة الإحساء. نقلاً عن عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم (اختيار وإعداد وتحقيق) من وثائق شبه الجزيرة العربية في عصر محمد علي ١٢٣٤ - ١٢٥٦ هـ / ١٨١٩ - ١٨٤٠ م، دار المتنبي للنشر والتوزيع، الدوحة، ١٤٠٢هـ، ص ٦٥٦ - ٦٥٧.

(٨١) «Historical Sketch of the Wahabee». in S.R.B XXIV, p. 446.

(٨٢) دار الوثائق القومية القاهرة، محفظة (٢٦٧) عابدين (٢) أصلية، (٣٧) حمراء، ١٩ محرم ١٢٥٥ هـ / ٤ أبريل ١٨٣٩ م نقلاً عن «من وثائق شبه الجزيرة...»، ص ٦٥٧.

(٨٣) جمال زكريا قاسم، دراسة لتاريخ الإمارات العربية ١٨٤٠ - ١٩١٤ م، ط ٢، الكويت ١٩٧٤، ص ٦٦.

(٨٤) (IOR) L /P& S/20/B.9 Memo on the Separate claims...

(٨٥) Kelly J. B., op. cit, p 303.

(٨٦) دار الوثائق القومية، القاهرة، محفظة (٢٦٧) عابدين (٧) أصلية (٥٠) حمراء مرفق عن البحرين، ٢١ محرم ٦/١٢٥٥ ابريل ١٨٣٩ من خورشيد إلى الباشمعاون نقلاًعن «من وثائق شبه الجزيرة»، ص ٦٦٢ - ٦٦٦.

(٨٧) (IOR) L /P& S/20/241 precis of Bahrien Affairs 1854 — 1904. p. 9.

(٨٨) Loc. cit.

(٨٩) «Historical Sketch of the Uttobi Tribe» in S R B. XXIV, p. 387.

(٩٠) دار الوثائق القومية، القاهرة، محفظة (٢٦٧) عابدين (١٣٧) حمراء، ١٨ جمادي الأولى ١٢٥٥هـ/ ٣٠ يوليو ١٨٣٩ م، رسالة من خورشيد باشا مرفق بها الجوابات والتقارير المتعلقة بالبحرين نقلاً عن «من وثائق شبه الجزيرة..»، ص. ٦٨.

(٩١) Kelly J. B. op. cit, p. 311.

(٩٢) Ibid, p p. 305 —8.

(٩٣) دار الوثائق القومية - القاهرة، محفظة (٢٦٧) عابدين (١٣٧) حمراء، ١٨ جمادي الأولى ١٢٥٥ هـ / ٣٠ يوليو ١٨٣٩ م، رسالة من خورشيد باشا مرفق بها بالجوابات والتقارير المتعلقة بالبحرين. نقلاً عن «من وثائق شبه الجزيرة..» ص ٦٧٤.

(٩٤) «Historical Sketch of the Uttobi Tribe..» in S.R.B, XXXIV, p. 390.

(٩٤ - أ) جاء في نص الاتفاق أن المبلغ هو «ثلاثة آلاف ريال فرانسه، لعبد الله بن أحمد منها خاصة سبعمائة وخمسين ريال. والباقي ألفين ومائتان وخمسين ريال يدفعها سنوياً». راجع الوثيقة في دار الوثائق القومية/ القاهرة (محفظة (٢٦٧) عابدين (١٣٧) حمراء، ١٨ جمادي الأولى ١٢٥٥هـ / ٣٠ يوليو ١٨٣٩ م رسالة من خورشيد باشا مرفق بها الجوابات والتقارير المتعلقة بالبحرين نقلاً عن «من وثائق شبه الجزيرة...»، ص ٦٨٤.

(٩٤ - ب) جاء في نص الاتفاق في الوثيقة السابقة ما يلي: «كذلك عرفناه أنه لا بد من إقامة رجل

بالبحرين، من أحد المعتمدين طرف سعادة المشار إليه، لقضاء أشغاله الذي يلزم بهذا الطرف، فقال لا بأس، غير أنه حينئذٍ يصير منها بعض التخوف للناس، فيحتاج حينئذٍ للصبر، وأنا أرتب لكم وكيل في البحرين من طرفنا لقضاء أشغال أفندينا، وبعد مدة أيام إن شاء الله إذا حضر أحد للإقامة من طرفه فلا بأس. . .». المرجع السابق، مرفقات الوثيقة السابقة.

(٩٥) «Historical Sketch of the Uttobi Tribe..» in **S.R.B, XXIV**, p. 390.

(٩٦) (IOR) **L / P& S/20/B.9,** Memo on Separate **claims..**

(٩٧) جمال زكريا قاسم، مرجع سبق ذكره، ص ٦٧ - ٦٨.

(٩٨) دار الوثائق القومية، القاهرة، محفظة (٢٦٧) عابدين (١٣٧) حمراء، ١٨ جمادي الأولى ١٢٥٥/ ٣٠ يوليو ١٨٣٩ رسالة من خورشيد باشا مرفق بها الجوابات والتقارير المتعلقة بالبحرين نقلاً عن «من وثائق شبه الجزيرة. . .» ص ٦٨٢.

(٩٩) صلاح العقاد، التيارات السياسية في الخليج العربي، ص ١٤٥.

(١٠٠) دار الوثائق القومية، القاهرة، محفظة (٢٦٧) عابدين (٣٩) أصلية (٦) حمراء، ٣ شعبان ١٢٢٥ هـ / ١٢ اكتوبر ١٨٣٩ م رسالة من خورشيد حول مسألة البحرين والموقف العام نقلاً عن «من وثائق شبه الجزيرة. . .»، ص ٧١٢.

(١٠١) «Historical Sketch of the Wahabee», in **S.R.B, XXIV**, p. 448.

(١٠٢) **Loc. Cit.**

(١٠٣) صلاح العقاد، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٥.

(١٠٤) (IOR) **L/P& S/ 20/ B. 9.** Memo on the Separate claims...

(١٠٥) «Historical Sketch of the Wahabee», **S.R.B, XXIV**, p. 446.

(١٠٦) لوريمر، ج. ج. ، مصدر سبق ذكره، القسم التاريخي، جـ٣، ص ١٦٤٢ - ١٦٤٣.

(١٠٧) «Historical Sketch of the Wahabee..», in **S.R.B, XXIV**, p. 446.

(١٠٨) عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، علاقة ساحل عمان. . ص. ٤٢٣.

(١٠٩) «Historical Sketch of the Wahabee..», in **S.R.B, XXIV**, p. 447.

(١١٠) **Loc. cit.**

(١١١) **Ibid**, p 448.

(١١٢) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٢٧٠) عابدين (١٩٤) حمراء والمرفقات العربية ١٢ جمادي الآخرة ١٢٥٥/ ٢٣ أغسطس ١٨٣٩ رسالة من خورشيد عن الوضع في منطقة الخليج. . نقلاً عن «من وثائق شبه الجزيرة العربية. .» ص ٦٩٧.

(١١٣) «Historical Sketch of the Wahabee of the Wahabee», in **S.R.B** p. 448.

(١١٤) لوريمر، ج. ج. ، مصدر سبق ذكره، القسم التاريخي، جـ٣، ص ١٦٤٥.

(١١٤ - أ) مسقط.

(١١٥) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٢٦٦) عابدين (١٨١) حمراء (٤٣) أصلية، ٥ أغسطس

١٨٣٨، جواب إمام مسقط إلى محمد علي حول مراسلة خالد بن سعود لأولاده... نقلاً عن «وثائق شبه الجزيرة العربية»، ص ٧٢٨ .

(١١٦) Kelly. J. B., op. cit. p. 318.

(١١٧) «Historical Sketch of Muscat»,in S.R.B.XXIV, p. 208.

(١١٨) Ibid, p. 209.

(١١٩) عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، حكومة الهند البريطانية والإدارة في الخليج العربي..، ص ١١٧.

(١٢٠) «Chrolological table of Events.. Muscat». in S.R.B., XXIV p. 128.

(١٢١) «Historical Sketch of the Wahabee» in Ibid p. 450.

(١٢٢) Loc. cit.

(١٢٣) Ibid, p. 451.

الفصل الرابع:

(١) «Historical Sketch of the Whabee Tribe of Arabs.», in S.R.B., XXIV p. 452.

(٢) ابن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، جـ٢، ص ١٩٥ .

(٣) «Historical Sketch of the Wahabee..» ,in S.R.B., XXIV, P. 452.

(٤) Ibid, p. 454.

(٥) (IOR) L/P & S/20/247, precis of Bahrain Affairs 1854 - 1904, by Saldana, Nov., 1904. p.3.

(٦) Loc. cit.

(٧) ابن بشر، مصدر سبق ذكره، جـ٢، ص ٢٠١ .

(٨) لوريمر، ج. ج. دليل الخليج، القسم التاريخي، جـ٣.

(٩) (IOR) L/P & S / 20 / 247, precis of Bahrains Affairs.. p. 3.

(١٠) «Accounts of the Tribes Inhabiting the Shores of the Persian Gulf». inS.R.B., XXIV.

(١١) (IOR) Enclosure to Bombay sec. Letters, vol 31, Enclosure to sec. Letter 29, 18 April 1841, Hennell to Willoughby, 25 febs. 1841.

(١٢) ابن بشر، مصدر سبق ذكره، جـ٢، ص ٢٢٦ .

(١٣) «Historical sketch of the Wahabee..» , in S.R.B., XXIV, p. 455.

(١٤) ابن بشر، مصدر سبق ذكره، جـ٢، ص ٢٢٦ .

(١٥) «Historical Sketch of the Wahabee..» , in S.R.B., XXIV, p. 447.

(١٦) لوريمر، ج. ج. دليل الخليج، القسم التاريخي، جـ٣، ص ١٣١٤ .

(١٧) «Historical sketch of Muscat» in S.R.B, XXIV, p. 259.

(١٨) (IOR) **L / P & S / 20 / C 240,** Precis of Nejed Affairs 1804 – 1904, p. 3.

(١٩) Kelly J. B. **Britain and the Persian Gulf 1795 – 1880,** p. 385.

(٢٠) «Historical sketch Muscat...» **S.R.B, XXIV,** p. 259.

(٢١) لوريمر، ج. ج. مصدر سبق ذكره، القسم التاريخي، جـ ٣، ص ١٣٣٦ .

(٢٢) (IOR) **L/P & S/20 /C. 240,** precis of Nejed Affairs..p. 15.

(٢٣) (IOR) **R / 15 / 1 / 125,** PR to Chief secretary Grovt. of Bombay, 3 Mar. 1851.

(٢٤) (IOR) **Same Series & Vol.,** Haje Gasim to PR Dated 27 feb. 1851.

(٢٥) (IOR) **Same Series & Vol.,** PA to Sec. GOI. 21 Mar., 1851.

(٢٦) (IOR) **Same Series & Vol.,** PA to COM Porter, 21 April 1851.

(٢٧) (IOR) **Precis of the Turkish expansion** on the Arab litorial of the Persian Gulf and Hasa and Katif Affairs, by Saldana Nov. 1904. p. 5.

(٢٨) (IOR) **L / P & S/ 18/ B. 66.** Memo respecting British interest in P. G. Feb. 1908.

(٢٩) Kelly. **op. cit.** p. 340.

(٣٠) (IOR) ſๆů'**L / P & S/ 20/ C. 240** Precis of Nejed Affairs 1804 – 1904. p. 15.

(٣١) (IOR) **L / P & S / 18/ B. 66.** Memo. respecting British interests in p. G.....

(٣٢) (IOR) **R / 15 / 1/ 138,** PR to chief sec. Gob 11 feb. 1853.

(٣٣) (IOR) **R/ 15/4/235.,** A. Bahrein to P. R., 12 May 1857.

(٣٤) (IOR) **L/P & S/ 20/ 247,** Precis of Bahrein Affairs.. p. 5.

(٣٥) (IOR) **L/P &S/ 18/ B.437** Historical Memoon the Relations of the Whabee Aims and Ibn Saud with Eastern Arabia and the British ovt. 1800 – 1834.

(٣٦) (IOR) **Precis of the Turkish Expansion** on the Arab litorial of the Persian Gulf. p. 10.

(٣٧) (IOR) **R / 15 / 1 / 16,7** Fysul to P. R. IZ Shawal 1271/ 27 Jul. 1853.

(٣٨) (IOR) **L/ p& S/ 20/ 247,** Precis of Buhrain Affairs.. p. 9. '

(٣٩) (IOR) **R/ 15 / 1 / 167.** From Mohmed b. Kalifa. SK. Bahrain to P. R. 10 Mar. 1857.

(٤٠) **Same series and vol.** P. R. to SK. Deman, 3 Apr. 1857, 3 Rajab 1273. vol.

(٤١) **Same series and vol.** From SK. Bahrain to PR 15 Apr. 1857, 6 Shabaan, 1273.

(٤٢) **Same series and vol.** From Hajee Jassim B.A. Bahrain to P. R. 14 April 1875.

(٤٣) **Same series and vol.** From Anderson S. G. I. to Felix Jones. P. R. 29 May 1857.

(٤٤) **Same series and vol.** P. R. to S. G. I.. 14 July 1957.

(٤٥) **Same series and vol.** From Mohamed B. Abdullah. chief of Damam, to F. Jones. P. R., 9 Shawal 1273. 2nd June 1857.

(٤٦) **Same series and vol.** P. R. to SK Mohmed b. Abdullah chief of Damam, 26 June 1857.

(٤٧) Same series and vol. Reply attached received 8 June 1857.

٤٨) ((IOR) L/P & S/C.240, precis of Nejed Affairs... p 37.

(٤٩) (IOR) R/15/1/167. Extract from a report made by capt. Felix Jones, P. R. While his tour in the Arabian ports in May 1858, dated 6 June 1858 enclosed in a secret dispatch No 184 of 1858.

(٥٠) Same series and vol. From P. R. to S. G. I., 16 Aug. 1858.

(٥١) (IOR) 15/1/179 Extract para. 4 and 5 of letter No 238 – dated 26 Jul. 1858, From P. R. to commander Griffith Genkins. com P. G squadron

(٥٢) (IOR) R / 15 / 1 / 167 Commander Genkins to P. R. No 100 of 1858.

(٥٣) Same series and vol. S.G.I. to P. R., 8 Nov. 1858.

(٥٤) Same series and vol. P.R. to S.G.I.

(٥٥) Same series and vol. B.A. Bahrain to P.R. 3 sept. 1858.

(٥٦) (IOR) 15 / 1 / 179 P. R. to SK. Bahrain. 27 Mohuram 1275, 6 Sept. 1858.

(٥٧) Same series and vol. Bu Sumait chief to P. R. N. D. Rec. Bushire, July 1858.

(٥٨) (IOR) R/15/1/167 P.R. to S.G.B., 29 March 1859.

(٥٩) Same Series and vol. P.R. to Mohmed B. Saeed, 23 Shabaan 1275, 29 Mar. 1859.

(٦٠) Same series and vol. Resolution by the Honroble, Board, 5 May 1859.

(٦١) Same series and vol. From SK. Mohmed B. Abdullah Sk. Damam to P.R. 5 Shabaan 1275, 11 Mar. 1859.

(٦٢) Same Series and vol. P.R. to Mohmed b. Abdullah, chief of Damam, 19 baan . 1275, 25 Mar. 1859.

(٦٣) (IOR) R / 15 / 1 / 179, P.R. to H.H. Amer Fysul, Whabe ruler of Nedjd, 15 Ramadan, 1275, 19 Apr. 1859.

(٦٤) (IOR) R / 15 / 1 / 167, Mohmed b. Ahmed Essuderyee, 15 Ramadan 1275, 19 Apr. 1859.

(٦٥) Same series and vol., Amir Fysul ruler of Nadjd to Felix Jones P.R. 28 Shawal 1276, 1 June 1859.

(٦٦) same series and vol. Ali b Khalifa to P.R. 13 Zilhijjeh, 1275.

(٦٧) (IOR) R / 15 / 1 / 179, P.R. to Mohmed b. Abdullah Sk. Damam. 16 Zilhijjeh 1275, 18 Jul. 1859

(٦٨) Same series and vol., P. R. to SK. Bahrain 21 Jul. 59, 20 Zilhijjeh 1275.

(٦٩) Same series and vol., Mohmed b. Abdullah to P. R. 18 Aug. 1859.

(٧٠) Same series and vol., P.R. to SNO, P. G. 30 August 1859.

(٧١) Same series and vol., P.R. to SK. Bahrain 18 Moharam 1275. 18 Aug. 1859.

(٧٢) Same series and vol., SK. Bahrain to P.R., 13 Saffar 1275. 11 Sept. 1859.

(٧٣) Same series and vol., P.R. to S N. O. 16 sept. 1859.

(٧٤) (IOR) R / 15 / 1 / 167. P.R. to Mohmed to Abdullah, 16 sept. 1859.

(٧٥) Same series and vol. P.R. to Amir Sysul, Ruler of Nedjd, 17 Sept. 1859, 19 Suffer 1276.

(٧٦) Same series and vol., P.R.to S.G.B., 10 Oct. 1859.

(٧٧) Same series and vol., Ahmed b. Mohmed Usudaree chief of Al hasa and leit of the Whabe ruler, N.D., rec. Bushire 22 sept. 1859.

(٧٨) (IOR) R / 15 / 1 / 179., Report of Com Balfour, 26 sept. 1859.

(٧٨ ـ أ) تجري صيغة التعهد على النحو التالي :

«أنا محمد بن عبد الله الموجود في الوقت الراهن على السفينة سميراميس التابعة لصاحب الجلالة . لقد طلبت العفو من الكابتن بلفور على ما اقترفته من جرم وقع على سفن الكويت وبغلة فارسية . وأتعهد بالالتزام بما يقرره المقيم في هذا الشأن وذلك دون أن أجشمه إرسال سفن أو اتخاذ أية إجراءات أخرى لتنفيذ أمره» .

راجع :

Agreement made by SK. Mohmed b. Abdullah, 24 Suffer 1276, 22 sept 1859 **attached to the above mentioned report.**

(٧٨ ـ ب) كما نجد في مرفقات هذا التقرير أيضاً التعهد التالي :

«أنامحمد بن عبد الله أتعهد والتزم بتسريح الجيش الذي جمعته وذلك في هذا اليوم حال أن تطأ قدماي الساحل كما أتعهد بتسريح كل القوارب التي جمعتها في الدمام والمناطق الأخرى بغرض شن الاغارة . وأتعهد بأن لا أقوم بمثل هذا العمل مرة أخرى لامن الدمام ولا من أية منطقة أخرى لقد قطعت هذا الوعد على نفسي بحضور الكابتن بلفور ، وإذا حدث أن وجد ضباط الحكومة ـ مني مثل هذا العمل مرة أخرى فإني سأكون حينئذ مستوجباً للعقوبة التي سيفرضها علي السركار .

راجع :

Loc. cit.

(٧٩) (IOR) R / 15 / 1 / 179., Report of Com. Balfour, 26 sept. 1859

(٨٠) Loc. cit.

(٨١) Same series and vol.,P.R.to SK. Bahrain, 3 Rubee Awel 1276, 30 sept. 1859.

(٨٢) Same series and vol., Com Balfour to P.R. 10 oct. 1859.

(٨٣) Same series and Vol., Ameer Fysal, Ruler of Nedjid to P. R. 7 Rubee owl Sanee 1276. 3

Nov. 1859.

(٨٤) Loc. cit.

(٨٥) Same Series andvol., P.R. to Ameer Fysal, Rule of Nedjd & 4 Jemadee Awel 1276,3 Nov1859

(٨٦) Loc. cit.

(٨٧) (IOR) R/15/1/167., P.R. to S.G.B, 21 Jan. 1860.

(٨٨) Same series and vol., P.R. to Hajee Jassim 7 feb. 1860. 11 Rajeb 1276.

(٨٩) (IOR) L/P & S/20/247, precis of Bahrein Affairs.. p. 8.

(٩٠) Loc. cit.

(٩١) (IOR) R/15/1/167., P.R. to M. Khalifa, 10 Oct. 59., 15 Rabi Al Thani.76.

(٩٢) Same series and Vol., S.G.I. to P. R, Resoultion by the Board, 15 fed. 1860.

(٩٣) Same series and Vol., P R. to S.G.I, 23 feb. 1860.

(٩٤) Same series and Vol., P. R. to SS. N. O. 12 sept. 1860.

(٩٥) (IOR) R/15/1/179., P. R to Sir Henry Rawlinson, 15 March. 1860.

(٩٦) Loc. cit.

(٩٧) Same series and Vol., Digest of Intel. from B. A. Bahrain attached to the adress of P. R. date of 6 – 12 Apr. 1860.

(٩٨) Same series and Vol., Rawlinson to P. R, Tehran, 4 May, 1860.

(٩٩) (IOR) R/15/1/179, From S. N. O to P. R., 20 May, 1860.

(١٠٠) (IOR) R/15/1 /167, P.R. to officiating P.R. Turkish Arabia.

(١٠١) (IOR) R/15/1/179., Copy of a letter from officiating Consul Genral at Bagdad to Governer Genral of Bagdad, 27 Jul. 1860.

(١٠٢) Same series and Vol., G. G. Bagdad to officiating C. G. 8 Zul Hijjeh 1276, 27 June 1860.

(١٠٣) مضبطة شيوخ البحرين في ٢٧ رمضان مع مرفقاتها وهي معروض من محمد بن خميفة إلى الدولة العلية، Same series and Vol., بتاريخ ٢٧ رمضان وصورة من خط ثاني محمد بن خليفة في ٢٧ رمضان.

(١٠٤) (I. O R) L/P& S/20/ C.S.G.B. to P.R. 8 dec 1860.

(١٠٥) (I.OR) L/P& S/ 15/1/ 167., Ameer Fysal, Whabe Ruler to F. Jones P.R. 26 Jumadee assanee 1277. 8 Jen. 1861.

(١٠٦) Same series and Vol., P. R. to S.N.O. 13 Jul. 1860.

(١٠٧) R/1/15/179. S. N. O to P. R. 20 May, 1860.

(١٠٨) R/15/1/167. From Draught to Mohmed b. Khalifa SK. Bahrain, 28 May 1861.

(١٠٩) Same series and Vol., From Draught to SK. Bahrain, 28 May 1861.

(١١٠) النبهاني، محمد خليفة بن محمد بن موسى النبهاني، التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية، ط ٢، ص .

(١١١) لنص الاتفاق راجع:

عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، سياسة الأمن لحكومة الهند في الخليج العربي ١٢٧٥ - ١٣٣٣هـ / ١٨٥٨ - ١٩١٤ م، ص ١٦٦ - ١٦٧.

المعاهدات المنعقدة فيما بين حاكم البحرين والدولة البهية الانكليس ١٨٢٠ - ١٩١٣.

(١١٢) **R /15 /1 /167,** P.R. to Rawlinson, 31 May 1861.

(١١٣) (L O R) **R /15 /1 /179.,** S.N.O. to P. R. 20 feb. 1861.

(١١٤) **Same series and Vol.,** P.R. to S. G. B.

(١١٥) **R /15 /1 /67.,** P. R. to Mohmed b. Abdullah of Daman, 20 June, 1861.

(١١٦) عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، مرجع سبق ذكره، ص ١٦٩.

(١١٧) (L O R) **R /15 /1 /167.,** P. R. to H. H. the Whabe Ameer, 20 June, 1861.

(١١٨) Acting S. B. G. to P. R. 20 July, 1861.

(١١٩) **Same series and Vol.,** P. R. to Draught, 21 Sept., 1861.

(١٢٠) **Same series and Vol.,** P. R. to Tien. comm. H. M. 8 Stope of War, Elphinstone, 13 sept 1861.

(١٢١) **Same series and Vol.** , Officiating S. G. to Acting S. G. B, 15 Oct. 1861.

(١٢٢) (L O R) **R /15 /1 /179.,** P.R. to S. N. O. , 6 Nov. 1861.

(١٢٣) **Same series and Vol,,** P. R. to Kemball, P. A. in Turkish Arabia, Bagdad, dated Bashire, 24 Oct., 1861.

(١٢٤) **Loc. cit.**

(١٢٥) من آغا قاسم خان إلى ميرمران الفخام صاحب العزة والسعادة الأقوم حضرة محمد منيب باشا ١٠ صفر ١٢٧٨ هـ/

(١٢٦) **Same series and Vol.** P. R. to S. G. B, 23 Nov. 1861.

(١٢٧) (I O R) **R /15 /1 /167,** Same series and Vol Ahmed Tawfic Pasha, Baghdad to Kemball, 25 Jemad el ewel 1278.

(١٢٨) **Same series and Vol.** , Kemball to G. G. Baghdad.

(١٢٩) **Same series and Vol.,** Kemball P. A. Turkish Arabia to SSI (F.D.) 4 Dec. 1861.

(١٣٠) **Same series and Vol.,** Ahmed Pasha G. G. Bagdad to British C. G., 16 Jumadee thanee 1278, 18 Dec. 1861.

(١٣١) (L O R) **R /15 /1 /29.,** To H. H. Amir Fysul, Ruler of the Wahabees, 8 Shabaan. 1278, 8 feb. 1826.

(١٣٢) Same series and Vol., Hajee Ibraheem Acting agent Bahrein to P. R. ,19 Ramad and 1278, 21 March 1862.

(١٣٣) Same series and Vol., Hajee Ibraheem to P. R., 6 Shawal 1278. 16 AP. 1862.

(١٣٤) (IOR) R /15 /1 /167 P. R. to P. A. Turkish Arabia, 8 May 1862.

(١٣٥) (IOR) L /P& S/ 20/ 247., Precis of Bahrein Affairs 1854 — 1904. p. 13.

(١٣٦) (IOR) R /15 /1 /29., L. Pelly to Acting sec. Gob.

(١٣٧) (IOR) L /P& S/ 20/ 227., Precis of Bahrein Affairs, p. 14.

(١٣٨) (IOR) R /15 /1 /29., sec. G.O.I to sec. G O B, 22 Mar. 1867

(١٣٩) (IOR) R / 15 / 1 / 122., P R to G O B.

(١٤٠) (I O R) R /15 /2 /29, Report to S. G. B. 22 Nov. 1870.

الفصل الخامس:

(١) التحكيم لتسوية النزاع الإقليمي بين مسقط وأبو ظبي وبين المملكة العربية السعودية، جـ ١، القاهرة، ١٩٥٥، ص ١٨٠ - ١٨١.

(٢) جمال زكريا قاسم، دراسة لتاريخ الإمارات العربية ١٨٤٠ - ١٩١٤، ص ٦٦.

(٣) «Historical Sketch of the Wahabee» .., in S.R.B,XXIV, p. 453.

(٤) Loc. cit.

(٥) Ibid, p. 454.

(٦) لوريمر، ج. ج.، دليل الخليج، القسم التاريخي، جـ ٣، ص ١٦٥٨.

(٧) «Historical Sketch of the Whabee»" S R B XXIV, p. 454.

(٨) عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، بريطانيا وإمارات الساحل العماني..، ص ٣٠٢.

(٩) (L O R) L P& S/ 20/ C. 240,.. Precis of Nejed Affairs, by Saldanha, 5 oct. 1904. p. 3.

(١٠) Ibid. p. 4

(١١) «Historical Sketch of the Wahabee..» , in S.R.B, XXIV, p. 456.

(١٢) I/ P & S/ 20/ C.240, precis of Nejid Affairs.. p. 9.

(١٣) Historical Sketch of Muscat, in S R B XXIV, p. 216.

(١٤) Miles, S. B., Countries and Tribes of the Persian gulf, p. 344.

(١٥) «Historical Sketch of the Joasmee.. in S R B XXIV p. 337.

(١٦) «historical Sketch of the Wahabee..» in, S. R. B. XXIV p. 455.

(١٧) «historical Sketch of the Joasmee..» in Ibid, p. 338.

(١٨) Loc. cit.

(١٩) ابن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، جـ ٢، ص ٢٤٨ - ٢٤٩.

(٢٠) Historical Sketch of the Bennyal Tribe of Arabs, S R B, **XXIV**, p. 479.

(٢١) (I O R) **R / 15 / 1 / 119, é 119,** Evaluation of saad. B. Mutlack, 20 Jan. 1850.

(٢٢) (IOR) **R / 15 / 1 / 122,** Com. Porter to S. Hennell, P A 24 Jan. 1850.

(٢٣) لوريمر ، ج. ج. دليل الخليج، القسم التاريخي ، جـ٣، ص ١٦٥٩

(٢٤) (IOR) **R / 15 / 1 / 138, P.R.** to chief sec. Gob, 1. feb. 1853.

(٢٥) «Historical Sketch of Muscat», in S.R.B, XXIV, p. 218.

(٢٦) (IOR) **R / 15 / 1 / 138,** Hajee Yagoub to P.R, 1 Mar. 1853.

(٢٦ - أ) هناك - فيما نرى - غموض في خطاب سلطان بن صقر للمقيم البريطاني إذ يقول له: «تتطلعون إلى مقابلتنا وهو أمر نسعى إليه بدورنا وذلك لأننا لا نستطيع أن نثبت لكم في هذا الخطاب ما نريد إبلاغه لكم شفاهة فقد شاء الله أن أكون في الوقت الراهن مع الشيخ عبد الله بن فيصل في البريمي . . . ».

راجع: **Same series and Vol,** sultan B. suggur to P A, 14 Jamadee Vol sani, 25 Mar. 1853.

(٢٧) **Same series and Vol,** Abdulla B. Fysul son of the Whabee Ameer to P.R. 14 Jamadee vol sani, 25 Mars. 1853.

(٢٨) **Same series and Vol.,** P.R. to Abdula B. Faysul, 30 Mar. 1853.

(٢٩) (I O R) **L /PS / 20 /240.** Precis of Nejed Affairs. p. 12.

(٣٠) (I O R) **Same series, & and vol. 248D. From** P.R. P R to S. G B., 6 Jun., 1855.

(٣١) لوريمر، ج. ج.، مصدر سبق ذكره، القسم التاريخي، جـ٣، ص ١٦٦٣.

(٣٢) (L O R) L **/P& S / 20 / C. 248D.** P. R to S. G. B, 6. Jun, 1855.

(٣٣) Historical Sketch of Muscat in **S.R.B. XXIV,** P. 219.

(٣٤) لوريمر، ج. ج.، مصدر سبق ذكره، القسم التاريخي، جـ٢، ص ٧١٢.

(٣٥) «Historical Sketch of Wahabee..» in **S.R.B., XXIV**, p. 456.

(٣٦) «Historical Sketch of Muscat..» in **S.R.B, XXIV**, p. 217.

(٣٧) لوريمر، ج. ج.، مصدر سبق ذكره، القسم التاريخي، جـ٢، ص ٧١٢.

(٣٨) (I O R) **L /P& S / 20 / C. 240,** Precis of Nejed Affairs, p. 14.

(٣٩) «Historical Sketch of Muscat» in **S R B XXIV, p. 218.**

(٤٠) «Historical Sketch of the Wahabee..» in S.R.B, XXIV, p. 453.

(٤١) (I O R) L / P& S / 20 / C.229, Precis of Muscat Affairs, p. 18.

(٤٢) **Loc. cit.**

(٤٣) (I O R) **L /P& S/ 20/ C. 240.,** Precis of Nejed Affairs, p. 26.

(٤٤) «Historical Sketch of Muscat» in **S.R.B, XXIV**, p. 209.

(٤٥) Kelly, J. B., **Op. cit**, p. 408.

(٤٦) Statistical & Miscellaneous Information Connected **With** the. Resources, Revenues **and Families...** etc. of H. H. the **Imam** of Muscat in **S R B, XXIV.**, p. 210.

(٤٧) Kelly. **op. cit.** p. 406.

(٤٨) **Ibid**, p. 407

(٤٩) راجع في هذا الصدد:

عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، بريطانيا وإمارات الساحل العماني، ص ٢٤١ ـ .

(٥٠) «Historical Sketch of the Whabee», in **S.R.B, XXIV**, p 460.

(٥١) (L O R) **L /P & S/ 20/ C.240**, Precis of Nejed Affairs.. p. 19.

(٥٢) **Ibid.** p. 20..

(٥٣) **Ibid**, p. 22.

(٥٤) عبد العزيز عبد الغني (إعداد وترجمة) رحلة لويس بيللي إلى الرياض في ١٨٦٥ ـ بحث غير منشور ـ مركز البحوث ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

(٥٥) المصدر السابق.

(٥٦) Lewis Pelly, **Report on a Journey to Riyadh In Central Arabia, 1865**. With New Introduction by R. L. Bidwell M. E Centre University of Cambridge, 1980, p18.

(٥٧) عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، **سياسة الأمن لحكومة الهند في الخليج العربي**، ص ١١٤ ـ ١١٦ .

(٥٨) المرجع السابق، ص ١٠٩ .

(٥٩) راجع:

Palgrave, William Gifford, **Narrative of a year's Journey Through Central and Eastern Arabia**, 2 Vols. London, 1865.**Passim**.

(٦٠) عبد العزيز عبد الغني إبراهيم (إعداد وترجمة) رحلة لويس بيللي. عمل غير منشور، مركز البحوث، جامعة الإمام، ص ١٢ .

(٦١) المصدر السابق، ص ٣٢.

(٦٢) المصدر السابق.

(٦٣) Lewis Pelly, **op. cit.** p. 52.

(٦٤) (I O R) **MSS EUR P 126 / 48,** PELLY'S PAPERS.

(٦٥) عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، سياسة الأمن لحكومة الهند في الخليج العربي، ص ١٢٤ .

(٦٦) (I O R) **L /P& S / 20 / C. 240,** Precis of Nejed Affairs, p. 20.

(٦٧) **Loc. cit.**

(٦٨) **Loc. cit.**

(٦٩) **Ibid.** p. 21.

(٧٠) Loc. cit.

(٧٢) (I O R) L /P& S / 20 / c. 240, Precis of Nejed Affairs.. p. 21.

(٧٣) إلى الأمير فيصل بن تركي، ١٧ أبريل ١٨٦٥ ,(I O R) R / 15 / 1 / 181

(٧٤) (I O R) R /15 /6 /4., Minute by His Excellency the governe 9 Oct. 1865.

(٧٥) Loc. cit.

(٧٦) Loc. cit.

(٧٧) Loc. cit.

(٧٨) (I O R) L /P& S / 20 / c. 240, Precis of Nejed Affairs.., p. 23.

(٧٩) Loc. cit.

(٨٠) (I O R) R /15 /6 /2., PR to S. G B., 25 Sept.

(٨١) (I O R) L /P& S / 20 / c. 240, Precis of Nejed Affairs, p. 27.

(٨٢) جمال زكريا قاسم، مرجع سبق ذكره، ص ٩٤ - ٩٥.

(٨٣) عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، سياسة الأمن لحكومة الهند في الخليج العربي، ص ١٢٦.

(٨٤) (I O R) R /15 /6 /2.

(٨٥) (I O R) L /P& S / 20 / c. 240, Precis Nejed Affairs, p. 25.

(٨٦) (I O R) L / P& S/ 20/ 248 D. Naval arrangement on Abolition of the Indian Navy, 1863 – 1871.

(٨٧) (I O R) L /P& S / 20 / c. 240, Precis of Nejed Affaiıs.. p. 28.

(٨٨) Loc. cit.

(٨٩) (I O R) L /P& S / 20 / c. 240, Naval Arrangement on Abolition of the Indian Navy 1863 — 1871.

(٩٠) عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، سياسة الأمن لحكومة الهند في الخليج العربي، ص ١٢٧.

(٩١) (I O R) L /P& S/ 20/ C.240, Precis of Nejed Affairs.. p. 28.

(٩٢) Loc. cit.

(٩٣) Loc. cit.

(٩٤) Ibid., p. 29.

(٩٥) جمال زكريا قاسم ، مرجع سبق ذكره، ص ٩٥ .

(٩٦) (IOR) R / 15 / 6 / 4. From S G.I (P. D) to S.G.B., 4 Apı. 1866.

(٩٧) (IOR) L / P & S / 240 C. Precis of Nejed Affairs, p. 30.

(٩٨) Aitchison, C.U., A Collection of Treaties, Engagements and Sandas Relating to India and Neighbouring Countries, Vol. XI, p. 102.

(٩٩) (IOR) L / P & S / 20 / c. 240, precis of Nejed Affairs.., p. 31.

(١٠٠) Loc. cit.

(١٠١) (IOR) L / P & S/ 18/ B. 437., Historical Memo. on the relations of the Wahabee Amirs...

(١٠٢) (IOR) L / P & S / 20 / C 240, Precis of Nejed Affairs... p. 31.

(١٠٣) (IOR) L / P & S / 18 / B. 437., Historical Memo. on the relations of the Wahabee Amirs.

(١٠٤) (IOR) L / P & S / 20 / c. 240, precis of Nejed Affairs, p. 31.

(١٠٥) Loc. cit.

(١٠٦) Loc. cit.

(١٠٧) (IOR) R / 15/ 6 / 4., S.G.I to S.G.B. No. 260.

(١٠٨) (IOR) L / P & S /20 /L. 248. Naval arrangement.

(١٠٩) (IOR) R / 15 / 6 / 4. P. R. to S.G.B, No 36 of 1866.

(١١٠) عبد العزيز عبد الغني ابراهيم ، سياسة الأمن لحكومة الهند في الخليج العربي، ص ١٣٩ .

(١١١) (IOR) L / P & S / 20 / c. 240, precis of Nejed Affairs.., p 34.

(١١٢) السالمي ، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ، ص ١٩٢ .

(١١٣) لوريمر، ج. ج. ، مصدر سبق ذكره، القسم التاريخي ، ص ٧٤٧ .

(١١٤) (IOR) R / 15 / 6 / 4, PA to GOB, 10 oct. 1869

(١١٤ ـ أ) جاء السديري إلى الشارقة لتولية حميد بن عبد الله حكمها نيابة عن أبناء الشيخ خالد بن سلطان المتوفى في عام ١٢٨٤ هـ / ١٨٦٨ م . وصل السديري إلى الشارقة في اخر ذي الحجة ١٢٨٥ هـ / ٧ أبريل ١٨٦٩ م وقبض على سالم أمير الشارقة . وحين علم أهل الشارقة بمصير أميرهم تجمعوا وأحاطوا بالمنزل الذي ضم السديري وجنده من السعوديين وسجيتهم وجرى تبادل اطلاق النار وانتهى الأمر بقتل كل السعوديين والأخرين الموجودين بالمنزل فيما عدا الشيخ سالم وأخي السديري الذي كان بدوره سجيناً في الشارقة وعمل على إنقاذ حياة الشيخ سالم .

(١١٥) (IOR) R / 15 / 6 / 2. P. A muscat to S.G.B. 9 jume 1869.

(١١٦) (IOR) Same Series and vol.,

(١١٧) (IOR) Same series and vol.,

(١١٨) (IOR) same series and vol., Abdool Rahman bin Ahmed Soodeyree, Whabee Lieutenant outpost. Brymee, 8 Rubee awal 86, 19 June 1869.

(١١٩) (IOR) Same series and vol., P.A. Muscat to S.Q.B, 8 June 1869.

(١٢٠) (IOR) Same series and vol., Translation of a letter from Azan b. Ges to Disbrowe P. A. Muscat. 4 Jul 1869

(١٢١) من امام المسلمين عزّان بن قيس الإمام (IOR) R/ 15 / 6 /3,

(١٢١ ـ أ) نص خطاب المقيم إلى عزان الذي أرسله له باللغة العربية «وصل إلينا كتابكم الذي تعرفنا فيه من هجومك وتسخيركم البريمي ومن استرداد أملاك القاطنين في تلك الأطراف التي أخذوهم طوائف الوهابية منهم وسواد كتابك نرسله إلى الدولة الانكليس في الهند تنتظر جوابه ويحتمل أننا سنجيء إلى مسقط». راجع: (IOR) **Same series and Vol.** من كرنل بيللي باليوز خليج فارس إلى جناب السيد عزان ١٥ جمادي الأولى ١٢٨٦ هـ.

(١٢٢) (IOR) **R/15/6/2,** P. A. Muscat to S.G. B. 7 AUg. 1869.

(١٢٣) (IOR) **Same series and vol.,** P.R. to P. A Muscat 16 Aug.. 1869.

(١٢٤) (IOR) **L / P & S/ 18/ B. 437,** Historical Memo on the relations of the Wahabee Amirs..

(١٢٥) (IOR) **L/P & S / 20 / C. 240.,** Precis of Nejed Affairs. p. 25.

(١٢٦) (IOR) **R / 15 / 6 / 2.,** P. A. Muscat to P.R. 31 July 1869.

(١٢٧) (IOR) **L/P & S / 20 / 240,** Precis of Nejed Affairs.. p. 32.

(١٢٨) **Ibid.,** p. 33.

(١٢٩) **Loc. cit.**

(١٣٠) (IOR) **L/P & S/ 20/ C., 240.** Precis of Nejed Affairs.. P. 36.

(١٣١) يروي السالمي في هذا الصدد أن إمام مسقط قد خرج بالخيل والرجال إلى البريمي. وعندما بلغ «ملك نجد انتظار الجنود هنالك خمدت همّته وسكنت حركته ويقال إنّه رجع القهقرى من الاحساء، والله أعلم بما هناك غير أنه لم يصل إلى عمان...».
راجع: السالمي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢٠.

مصادر الكتاب ومراجعه

أولاً : المصادر :

قام الكتاب على مجموعة من الوثائق غير المنشورة وعلى كتابات بعض السياسيين والرحالة والمراقبين الذين عاصروا أحداث الفترة التي يعالجها الكتاب ، وأسهموا في صنع أحداثها . كما اعتمد هذا الكتاب أيضاً على المذكرات التي كتبها الموظفون السياسيون في حكومة الهند ولعل سالدانها Saldanha هو أبرزهم في هذا المجال . واعتمدنا أيضاً في مصادر كتابنا هذا على مختارات أرشيف حكومة بومباي في جزئه الرابع والعشرين وهي مختارات معاصرة تماماً لأحداث فترتنا :

أ - يعتبر الملف (IOR) G/29/25 الخاص بسجلات الوكالة البريطانية من أقدم الوثائق غير المنشورة التي اعتمدنا عليها . وقد أفدنا منه بشكل خاص حين استعنا بالنص الكامل لخطاب سترافورد جونز الذي كتبه من بغداد في ١ ديسمبر ١٧٩٨ إلى رئيس شركة الهند الشرقية يسجل فيه أخبار الوهابيين . والخطاب هو أول سجل بريطاني كامل لأخبار هذه الجماعة ولآرائها وعليه ثبتت الأسس الأولى لسياسة الشركة تجاه شبه الجزيرة العربية وحكامها من الوهابيين .

ب - استعنّا بالمجموعة التالية من ملفات المقيمية في بوشهر :

(IOR) R / 15 / 1 / 29., (IOR) R / 15 / 1 / 119, (IOR) R/ 15/ 1/ 122.
(IOR) R /15 / 1 / 167., (IOR) R / 15 / 1 / 125, (IOR) R / 15 / 1 / 138.

(IOR) R / 15 / 1 / 179., (IOR) R / 15 / 1 / 181.

تمتاز هذه الوثائق الأصلية جميعها بمعاصرتها للأحداث ومتابعتها لها حيث احتوت على الكثير من الكتب المتبادلة بين فيصل بن تركي والمراسلات بين المقيم وشيخ البحرين في شأن المسائل المتعلقة بالإحساء والقطيف وقطر وبعض المسائل المتصلة بالسيادتين العثمانية والفارسية على البحرين وأثرهما على ساحل الإحساء السياسي. كما حوت هذه الملفات أيضاً الكتب المتبادلة بين المقيم وبعض مساعديه والوكلاء التابعين لمكتبه وقادة سفن الحرب البريطانية التي كانت تعمل إبان الأحداث في الخليج العربي . وشملت هذه الملفات أيضاً بعض القرارات الصادرة عن بومباي وسملا ولندن في شأن المسائل المتعلقة بساحل الإحساء وقطر وبعض التسويات المقترحة التي تمت أو لم تتم .

جـ ـ كما استعنا بمجموعة ملفات من وكالة مسقط السياسية وهي :

(IOR) R / 15 / 6 / 2.

(IOR) R / 15 / 6 / 3.

(IOR) R / 15 / 6 / 4.

وتمتاز أيضاً بمعاصرتها للأحداث حيث حوت المراسلات التي تمت بين المقيم البريطاني وحكومة بومباي في شأن المشاكل التي كانت تتعرض لها مسقط من جراء الامتداد الوهابي تجاه عمان ورأي المقيم وكذلك الوكيل السياسي في مسقط في مواجهة ذلك الامتداد . ونجد في هذه الملفات أيضاً الكثير من الكتب المتبادلة بين المقيم والجهات السياسية التي تحكم المنطقة، فهنالك خطابات أئمة مسقط وسلاطينها وخطابات من بعض أمراء البريمي وبعض الشيوخ والرؤساء المحليين . وتفيد هذه الملفات في كشف السياسة البريطانية تجاه عمان بصفة خاصة والخليج العربي بصفة عامة .

د ـ أما المذكرات السياسية فهي الموجودة في المجموعتين ١٨ و٢٠ من سلسلة المكتبة السياسية والسرية للهند والخاصة بفترتنا . وهذه المذكرات

بالرغم من أنها لا تمتاز ـ في أغلبها ـ بمعاصرتها للأحداث ، إذ كتب أغلبها في بداية هذا القرن ، إلاّ أنها كتبت لمعالجة مسائل سياسية تغوص جذورها إلى عمق فترتنا ، وقد أفدنا في بحثنا هذا من المجموعة التالية من المذكرات :

(IOR) L / P & S / 18 / B. 9.

وهي عبارة عن مذكرة خاصة بالسيادتين الفارسية والعثمانية على البحرين .

(IOR) L / P & S / 18 / B. 66.

وهي مذكرة خاصة بالمصالح البريطانية في الخليج العربي كتبت في فبراير ١٩٠٨ م .

(IOR) L / P & S / 18 / B. 437.

وهي مذكرة تاريخية بشأن العلاقات بين الأمراء الوهابيين وابن مسعود من جهة وبين حكام بعض مناطق الساحل الشرقي للجزيرة العربية والحكومة البريطانية من جهة أخرى .

كما استعنا بالمجموعة التالية :

(IOR) L / P & S / 20 / C 240.
(IOR) L / P & S / 20 / 241.
(IOR) L / P & S / 20 / 247.
(IOR) L / P & S / 20 / C 248 D.

وهي عبارة عن موجز لشئون نجد وموجز لشئون البحرين والسياسة البريطانية الهندية في الخليج العربي والشئون المتصلة بالإحساء والقطيف . أما المذكرة الأخيرة C 248D فهي الخاصة بالترتيبات المتعلقة بإبقاء الأسطول الهندي وقد كتبت في يونيو ١٨٥٥ م .

وبالنسبة للمذكرات الشخصية فقد أفدنا من الأوراق الخاصة بالمقيم

البريطاني بيللي وهي برقم :

(IOR) MSS/ EUR, P 26 / 48, Pelly's PApers.

هـ ـ أما كتاب :

Selections From The Records of Bombay, XXIV.

وهو من الوثائق المنشورة في بومباي في ١٨٥٦ ضمن منشورات المكتبة السرية والسياسية فقد راجعنا فيه الموضوعات التالية :

ـ موجز تاريخي عن مقاطعة عمان .

ـ مسقط : تسلسل زمني تتابعي للأحداث .

ـ موجز تاريخي عن مسقط .

ـ موجز تاريخي عن العتوب .

ـ موجز تاريخي عن الوهابيين .

ـ موجز لأعمال رحمة بن جابر .

ـ موجز تاريخي عن القواسم .

ـ نشأة القبائل العربية المساحلة للخليج وتطورها .

ـ مذكرة عن العلاقات المتبادلة بين القبائل التي تسكن ساحل الخليج والنظر في مناطق سكناها ومصادر دخولها .

ـ مذكرة كتربر تايلور بعنوان: مقتطفات من مذكرات قصيرة عن تاريخ عمان ومعلومات أخرى تتصل بهذه المقاطعة وبمسقط وبموانىء وأماكن أخرى من الخليج.

و ـ أما الكتب العربية التي عاصرت الأحداث أو اتصلت زمنياً بها بشكل لصيق فهي على النحو التالي :

ـ ابن بشر (عثمان بن عبد الله بن بشر النجدي الحنبلي) عنوان المجد في تاريخ نجد ، حققه وعلق عليه عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ ، ط ٤ ، جزءان ، دارة الملك عبد العزيز (٢٧) الرياض ١٤٠٢ هـ .

ـ ابن غنام (حسين بن غنام) روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام المسمى بتاريخ نجد ، تحقيق ناصر الدين الأسد ، ط ٢ ، القاهرة ١٩٦١ م .

ـ السالمي (نور الدين بن عبد الله بن حميد) تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، شرع في تأليفها الخميس لخمس خلون من شهر الله المحرم سنة ١٣٢٠ هـ ، جزءان في مجلد واحد ، نشر بالقاهرة ١٩٦١ م .

ـ الفاخري (محمد بن عمر الفاخري) الأخبار النجدية ، دراسة وتحقيق وتعليق عبد الله بن يوسف الشبل ، التأليف والترجمة والنشر رقم ١٠ ، جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية ، الرياض ، دون تاريخ .

ـ الكركوكلي ، رسول حاوي (نقله إلى العربية : موسى كاظم نورس) ، دوحة الوزراء .

ـ النبهاني (محمد خليفة محمد بن موسى النبهاني) التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية، ط ٢ ، القاهرة ١٣٤٢ هـ .

ـ مؤلف مجهول ، لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب ، تحقيق الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ ، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز (٢) الرياض، دون تاريخ.

تترجم هذه الكتب العربية المتصلة زمنياً بموضوع بحثنا آراء كتابها وتبين أهواءهم ومشاربهم وأهدافهم من وراء جهد التأليف . وبالرغم من افتقار أغلب هذه الكتب إلى الدقة لأن مؤلفيها كانوا خارج دائرة صنع القرار إلّا أنها ـ

مع هذا ـ شواهد مهمة على كثير من ظواهرفترتها. وعليه فقد أدمجناها في قائمة مصادرنا .

أما الكتب الأجنبية التي عاصرت أحداث فترة هذا الكتاب أو اتصلت بها زمنياً فهي على النحو التالي :

- Palgrave, William Gifford, Narrative of a year's Journey Through central and Eastern Arabia, 2 vols-London, 1885.

- Lewis Pelly, Report, on a Journey to Riyadh in Central Arabia, 1885, With New Introduction by R.L. Bidwell, M.E. Dentre, University of Cambridge., 1980.

- Low, C.R., History of the Indian Navy 1613 – 1663., vol. I. London, 1877.

- Miles, S.B., The Countries and the Tribes of The Persian Gulf., 2nd ed., 2 vols in one, London, 1965.

- Sadlier, G. Forester Diary of a Journey Across Arabia. Oleander-Reprint, Cambridge, 1977.

- Vincenzo, Maurizi (SK. Mamsour) History of Seyd Said Sultan of Muscat, The Oleander Press, Cambridge, 1984.

وهذه الكتب كلها لرجال عاصروا المنطقة في الفترة التي نعالجها وساهم أكثرهم في سياق أحداثها .

جـ ـ ومن مصادرنا كتابان وثائقيان هما :

ـ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، (اختيار واعداد وتحقيق) من وثائق شبه الجزيرة العربية في عهد محمد علي ١٢٣٤ ـ ١٢٥٦هـ / ١٨١٩ ـ ١٨٤٠م ـ دار المتنبي للنشر والتوزيع ، الدوحة ، ١٤٠٢ هـ .

Ailchison, C. U. (ed., A Collection of Treaties, engagements and sonads Relating to India and the Neighbouring, countries Vol. XI. Calcutta, 1876.

ط ـ ويحتل ذيل مصادرنا كتاب:

لوريمر ج. ج ، دليل الخليج ، ١٤ جزءاً ، قسم الترجمة بمكتب أمير دولة قطر ، دون تاريخ .

ثانياً : المراجع :

رجعنا إلى العديد من المراجع باللغة العربية التي أسهمت في سد نقص معلومات مصادرنا على تنوعها أو تلك التي أعانت بفكرة أو برأي .

ـ جاكلين بريت ، اكتشاف جزيرة العرب ، خمسة قرون من المغامرة والعلم ، نقله إلى العربية قدري قلعجي ، بيروت ، دون تاريخ .

ـ جمال زكريا قاسم ، دراسة لتاريخ الإمارات العربية ، ١٨٤٠ - ١٩١٤ م، ط ٢ ، الكويت، ١٩٧٤م .

ـ ، دولة بو سعيد في عمان وشرق افريقيا ١٧٤١ - ١٨٦١، القاهرة، ١٩٦٥ .

ـ صلاح العقاد، التيارات السياسية في الخليج العربي ، القاهرة ، ١٩٦٥ م .

ـ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، الدولة السعودية الأولى ١٧٤٥ - ١٨١٨ م/ ١١٥٨ - ١٢٣٣ هـ. ، ١٩٧٦ م .

ـ عبد العزيز عبد الغني ابراهيم ، بريطانيا وامارات الساحل العماني ، دراسة في العلاقات التعاهدية ، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة (٢١) ، مطبعة الارشاد ، بغداد ، ١٩٧٨ م .

- حكومة الهند البريطانية والإدارة في الخليج العربي، دراسة وثائقية ، دار المريخ ، الرياض ١٤٠١ هـ .

- ، سياسة الأمن لحكومة الهند في الخليج العربي ١٢٧٥ - ١٣٣٣ هـ - ١٨٥٨ - ١٩١٤م ، دراسة وثائقية، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز (٢٦) الرياض، ١٤٠٢ هـ .

- ، علاقة ساحل عمان ببريطانيا ، دراسة وثائقية ، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز (٢٥) الرياض ١٤٠٢ هـ .

- عبد الكريم الغرايبة ، قيام الدولة السعودية العربية ، القاهرة ١٩٧٤ م .

- عبد الله محمد بن خميس ، المعجم الجغرافي للمملكة العربية السعودية ، معجم اليمامة ، جـ ٢ ، الرياض ١٣٩٨ هـ .

- محمد عبد الله بن عبد المحسن بن عبد القادر الأنصاري الأحسائي ، تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد ، الرياض ، ١٣٧٥ هـ .

فهرس الموضوعات

المقدمة ٥

الفصل الأول: امتداد نجد إلى الخليج العربي ١٣

الفصل الثاني: علاقة الدولة السعودية الأولى بالخليج العربي .. ٤٣

الفصل الثالث: نجد في سياسة الخليج العربي
١٢٣٦ - ١٢٥٧ هـ / ١٨٢٠ - ١٨٤١ م .. ٧٧

الفصل الرابع: علاقة نجد بالبحرين والمجابهة البريطانية
١٢٥٨ - ١٢٨٧ هـ / ١٨٤٢ - ١٨٧٠ م . ١١٩

الفصل الخامس: علاقات نجد بالإمارات الساحلية وعُمان
وأثرها في السياسة البريطانية في المنطقة
١٢٥٨ - ١٢٨٧ هـ / ١٨٤٢ - ١٨٧٠ م ... ١٧٥

الخاتمة ٢٤٣

الملاحق ٢٤٩

ذيول وتعليقات . ٢٨٧

المصادر والمراجع ٣١٥

في منتصف القرن الثامن عشر نفضت نجد عن نفسها جموداً ضربها منذ فجر الاسلام. ذلك ان الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الذي ظهر فيها، نادى بفكر جديد وكسب اتباعاً له انتظموا تحت راية آل سعود، امراء الدرعية.

هكذا قامت الدولة السعودية التي ما لبثت ان اصبحت ذات دورين اقليمي وعالمي، واخذت نجد تكتسب اهمية لم تكن لها من قبل.

لقد تميزت الفترة التي تتناولها الدراسة هذه بالصراع بين القوى المحلية في الخليج، تميّزها بتعرض المنطقة كلها للصراع بين فرنسا وبريطانيا وقوى دولية اقل شأناً. وفي زمن كهذا يشتد تعارض المصالح وتباين الأهداف، فضلاً عن توطد السيطرة البريطانية بصفتها سيطرة الطرف الأقوى.

ما يسعى اليه الكتاب، بين أهداف اخرى، هو البرهنة على ان نزاعات المنطقة هي أولاً بأول بنت المنطقة ونتاجها. اما الاستعمار فعمل على تطوير النزاعات القائمة وجهد في استثمارها.

ISBN 1 85516 042 0

